ذكرات

يم وايزمان

Chaim We

187

دار الخلود

للنشر والتوزيع

חיים עזריאל ויצמן

مذكرات حاييم وايزمان

Chaim Weizmann 1874 - 1952

ولد حاييم وايزمان فى روسيا، وكان نشيطا فى الحركة الصهيونية منذ بدايتها. شارك عام 1903 فى تأسيس الكتلة الديمقراطية التي نادت بالصهيونية العملية، فى عام 1904 هاجر إلى بريطانيا حيث حصل على شهادة جامعية فى الكيمياء من جامعة مانشستر.

ساهم فى المناقشات التي أدت إلى صدور "وعد بلفور" عام 1917. وفى الرابع من حزيران (يونيو) عام 1918 التقى مع الأمير فيصل، الذى أصبح بعد ذلك ولفترة قصيرة ملكاً على سوريا وبعد ذلك على العراق، وتحدث معه عن التعاون اليهود... ي. ترأس وايزمان اتحاد النقابات الصهيونية ..."، واعتبر رجل الارتباط الأساسى مع حكومة ... بين عامى 1921 و1946 مع توقف قصير بين عامي 1931 و1935. أيد قرار تقسيم فلسطين، وكان يميل إلى انضمام إسرائيل إلى اتحاد شرق أوسطى.

AL-AHRAM ESTABLISHED 1875

ISBN 978-977-5313-33-1

دار الخلود

للنشر والتوزيع

مذكرات

حاييم وايزمان

أول رئيس لإسرائيل

مذكرات حاييم وايزمان

التجربة والخطأ

د/ الحسيني الحسيني معدي

اســــم الـمـكـتــاب: مذكرات حاييم وايزمان

اســــم المــؤلــف: د/ الحسيني الحسيني معدى

الــنـــاشـــر: دار الخلود للنشر والتوزيع

رقــم الإيـــداع: 2015/28025

الـتـرقـيـم الـدولى: 978/977/758/026/4

الإشـــراف الـعـام: وائـل سمـيـر

دار الخلود للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة لدار الخلود للنشر والتوزيع وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

....

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة

محمول: ٠١٢٨١٦٠٧١٨٥ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٥٣٩٩٠٩

فاكس: ٢٥٠٦٩٥٨٢

E-Mail: DAR_ AlKHOLOUD@YAHOO.COM

تقديم

يعد حاييم وايزمان (٢٧ نوفمبر ١٨٧٤ ـ ٩ نوفمبر ١٩٥٢) أشهر الشخصيات الصهيونية بعد هرتزل، وقد لعب الدور الأهم فى استصدار وعد بلفور الشهير عام ١٩١٧، وكان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٤٦، ثم انتخب كأول رئيس لدولة إسرائيل عام ١٩٤٩.

ولد حاييم وايزمان فى بلدة (موتول) فى ولاية (بنسك) إحدى ولايات روسيا البيضاء عام ١٨٧٤. كان والده من وجهاء مزارل المتدينين وكان يعمل تاجراً للأخشاب يقوم بتقطيعها من الغابات ثم يتم نقلها بعد ذلك إلى الموانئ الروسية لتصديرها.

بدأ حاييم وايزمان حياته الدراسية فى معهد البلدة حيث درس مبادئ الدين والتاريخ اليهوديين واللغة الروسية ولغة (اليديش) التى كان يتحدث بها يهود روسيا. ثم أبوه إلى (بنسك) لتلقى تعليمه العالى هناك متخصصاً فى الكيمياء، وأكمل دراسته فى مدرسة (البولتيكنيكوم) الألمانية التى كانت تعتبر أشهر معاهد

تدريس الكيمياء فى أوروبا آنذاك وحصل منها عام ١٨٩٩ على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف. وفى عام ١٩٠١ اختارته جامعة جنيف للعمل بها محاضراً مساعداً، وفى عام ١٩٠٤ أصبح أستاذاً بجامعة مانشستر فى بريطانيا.

تزوج حاييم وايزمان من فيرا وأنجب منها ولدين هما بنيامين وميخائيل وقد توفى الأخير فى حادث تحطم طائرة أثناء الحرب العالمية الثانية.

آمن وايزمان بضرورة إنشاء وطن قومى لليهود يحفظ لهم هويتهم وكيانهم من الذوبان فى المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها. وقد وهب علمه وجهده وماله لتحقيق هذا الأمر، وكان يسعى دائماً إلى التقريب بين الفرقاء اليهود وجمع كلمتهم ومحاولة التنسيق بين جهودهم لخدمة الهدف الأعلى وهو إقامة الدولة، وكان من منهج وايزمان فى العمل السياسى استعمال كافة الوسائل المتاحة لتحقيق الهدف، فاستعمل الدبلوماسية والعلاقات الشخصية ووسائل الإعلام والمال والتنظيم الدقيق للجماعات والمنظمات الصهيونية ثم الوسائل العسكرية لتحقيق ما يحلم به اليهود وبالفعل نجح فى ذلك عام ١٩٤٨. ويعتبر وايزمان أول من حول مسار الحركة الصهيونية إلى مجال الاستيطان والتعمير بدلاً من سياسة

المفاوضات والاتفاقية التى كان هرتزل يحصر تفكير الحركة فيها. وحصل وايزمان على وعد بلفور الذى بنى عليه اليهود دولتهم.

بدأت اهتمامات وايزمان بالسياسة فى وقت مبكر حيث كان يرفض فكرة اندماج اليهود فى أوروبا حتى لا يفقدوا هويتهم وكيانهم رغم أن هذه الفكرة كانت تسيطر على معظم اليهود آنذاك خوفاً من الاضطهاد الذى كانوا يشعرون به. وأثناء دراسته فى مدرسة (البوليتكنيكوم) كان طالباً مميزاً ونشيطاً وسط الطلاب اليهود فى ألمانيا ونشط فى إقامة علاقات بينه وبين غيره من الطلاب فى الجامعات الأوروبية المختلفة.

كلف المؤتمر الصهيونى الثانى حاييم وايزمان بتشكيل الوفد الروسى لحضور المؤتمر، وفى عام ١٩٠١ كلفه بحمل اليهود على شراء أسهم البنك اليهودى الدولى وبنك الاستعمار اليهودي. وبزغ نجمه داخل المؤتمر واختير عضواً فى الحركة الصهيونية.

رفض وايزمان عام ١٩٠٣ فكرة اختيار أوغندا مكاناً بديلاً لليهود ينشئون عليه دولتهم بعيداً عن فلسطين، وقال عام ١٩٠٦ أثناء مقابلته جيمس أرثر بلفور (إن اليهود يعتقدون أن استبدال فلسطين بأى بقعة أخرى فى العالم نوع من الكفر، فهو أساس التاريخ اليهودي، ولو أن موسى نفسه جاء ليدعو إلى غيرها ما تبعه

أحد، وسيأتي اليوم الذي سننجح فيه في استعادة بلادنا، فهذا أمر لا شك فيه).

انقسمت الحركة الصهيونية بعد فكرة أوغندا والمؤتمر الصهيونى السابع عام ١٩٠٧ إلى قسمين: الصهيونية السياسية التى كانت تسعى للحصول على تصريح من السلطان العثمانى قبل التفكير فى العودة إلى فلسطين، والصهيونية العملية التى عملت على إحياء اللغة العبرية والاهتمام بالناحية الروحية وخلق واقع صهيونى فى فلسطين.

كانت أهم إنجازات وايزمان خلال الحرب العالمية الأولى حيث ساعدت اكتشافاته العلمية وبالأخص مادة (الأسيتون) فى تقربه من القيادات السياسية والعسكرية البريطانية التى راح يلح عليها فى استصدار قرار بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فكان وعد بلفور عام ١٩١٧.

كانت المرة الأولى التى سافر فيها وايزمان إلى فلسطين عام ١٩٠٨ حينما اتهمه خصومه السياسيون بأنه يجاهد من فوق المنابر بالكلمات ولا يعرف شيئاً عن أوضاع اليهود هناك ولا يتحمل العيش وسطهم. ووجد بعد سفره أن اليهود فى فلسطين يعملون فى مزارع المليونير اليهودى روتشليد وليس عندهم روح المغامرة ويغلب عليهم التواكل، فلما عاد مرة أخرى إلى بريطانيا قرر العمل

بأسلوب مختلف يعتمد على تشجيع الهجرة إلى فلسطين على أن يعتمد اليهود على أنفسهم وسواعدهم فى العيش هناك.

والمرة الثانية التي سافر فيها إلى فلسطين كانت عام ١٩١٨ ضمن وفد صهيونى قررت الحكومة البريطانية إرساله إلى هناك لدراسة الأوضاع على الطبيعة فى ضوء تصريح بلفور وقد نصحه اللنبى قائد القوات البريطانية فى فلسطين بزيارة الأمير فيصل ابن الشريف حسين أمير مكة وقائد الجيش العربى وقتئذ، فقابله وربط بينهما صداقة استمرت مدى الحياة. وفي تلك الزيارة وضع حجر الأساس للجامعة العبرية التي افتتحت بعد ذلك بسبع سنوات ١٩٢٥.

فى عام ١٩٢٠ انتخب المؤتمر الصهيونى الذى عقد في لندن آنذاك حاييم وايزمان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٤٦.

نص صك الانتداب البريطانى فى فلسطين فى مادته الرابعة على (إقامة وكالة يهودية معترف بها لتقديم النصح للإدارة البريطانية، والتعاون معها فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فيما يتعلق بتأسيس الوطن القومي اليهودى مع اعتبار الجمعية الصهيونية القائمة هى الوكالة اليهودية حتى يتم تشكيلها) فدعا وايزمان المنظمات اليهودية العالمية للاجتماع عام ١٩٢٩ لانتخاب أعضاء الوكالة

وتم الاجتماع وانتخبت الوكالة وظهرت إلى الوجود فى العام نفسه وأصبحت تتحدث باسم اليهودية العالمية.

وافق وايزمان على الكتاب الأبيض الذى أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ بعد اتصالات هادئة أجراها مع رئيس الحكومة رمزى ماكدونالد على السماح بهجرة ٤٠ ألف يهودى إلى فلسطين عام ١٩٣٤ و٦٢ ألفاً عام ١٩٣٥ وحصل بذلك على خطاب بالموافقة من ماكاندونالد فأعلن موافقته على الكتاب الأبيض لكن الموتمر الصهيونى رفض ذلك وطالب بوضع مواثيق تضمن ما أسماه بعدم التنازل ونصحهم وايزمان بالعمل وبألا يضيعوا أوقاتهم فى مثل هذه المواثيق لكن المؤتمر رفض وأسقط وايزمان وانتخب مكانه سوكولوف للرئاسة، لكن وايزمان عاد ونجح فى الانتخابات التى أجريت عام ١٩٣٥.

فى هذه الأثناء اختير وايزمان مستشاراً كيماوياً فخرياً لوزة التموين التى كان يرأسها هربرت موريسون وخصص له معمل يجرى فيه أبحاثه وتجربه وبدأ تجاربه فى إنتاج البنزين الصناعى عن طريق التقطير وعن عمليات التخمير واستخراج الكحول والمطاط الصناعي.

غادر وايزمان بريطانيا عام ١٩٤٢ لتلبية دعوة من الولايات المتحدة للإقامة بها لمواصلة إنتاجه فى المطاط الصناعى وقال له

تشرشل وهو يودعه ــ كما كتب وايزمان فى مذكراته ــ إنه يتمنى بعد انتهاء الحرب مساعدة عبد العزيز آل سعود فى أن يصبح سيداً على الشرق على ألا يعارض فى تحقيق أهدافه، وطلب منه تشرشل أن يحتفظ بهذا السر وألا يبوح به إلا لرئيس الولايات المتحدة روزفلت حينما يقابله، وبالفعل وافق روزفلت على هذا الأمر بعد مقابلة وايزمان له.

وفى عام ١٩٤٧ وأثناء اقامة وايزمان فى الولايات المتحدة عرضت بريطانيا القضية الفلسطينية برمتها على الأمم المتحدة، وركز وايزمان جهده لمتابعة مشروع تقسيم فلسطين كما عرض آنذاك.

اتفق وايزمان ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ترومان على خطة التقسيم التى ستعمل الولايات المتحدة بثقلها على إقرارها فى داخل أروقة الأمم المتحدة، واتفق معه على أن صحراء النقب ستكون تابعة لإسرائيل بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية وجود المياه الجوفية بها، وعلى أن يكون لإسرائيل منفذ على البحر الأحمر.

وصدر قرار التقسيم بالفعل فى ١٩٤٧/١١/٢٩ بموافقة ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً وقبل اليهود القرار على الفور لأنه أعطاهم الأرض التى كانوا يحلمون بها، بينما قاوم العرب هذا القرار ولكى تتجنب واشنطن الغضب العربى والإسلامى تحايلت على الوضع فقررت فى ١٩٤٨/٣/١٩ إعادة

مذكرات حاييم وايزمان

النظر فى الأمر وعرض الموضوع على الجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ قرار بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بمجرد انتهاء الانتداب يوم ١٥ مايو/ أيار ١٩٤٨، لكن كان رد وايزمان قاطعاً (إننى لا أقيم وزن لخرافة القوة العربية العسكرية ولابد لليهود من إعلان استقلالهم فى اليوم التالى لإنتهاء الانتداب هذه هى الخطوة العملية للخروج من هذا الموقف) وبالفعل فى ١٤ مايو/أيار ١٩٤٨ أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية واعترفت بها على الفور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

اختير وايزمان عام ١٩٤٨ رئيساً للمجلس الرئاسى المؤقت وفى عام ١٩٤٩ انتخب كأول رئيس للدولة الإسرائيلية.

ألف واذمان فى عام ١٩٤٩ كتابه الذى يتضمن سيرته الذاتية (التجربة والخطأ) وبعد صراع مع المرض توفى عام ١٩٥٢ عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.

د. الحسينى الحسينى معدي

اليهودية والصهيونية

١ ـ اليهودية

تعريف اليهودية: هى ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم ١ والمعروفين بالأسباط من بنى إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً.

التأسيس وأبرز الشخصيات

موسى عليه السلام : رجل من بنى إسرائيل، ولد فى مصر أيام فرعونها رمسيس الثانى (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ ق.م) وقد تربى فى قصر الفرعون بعد أن ألقته أمه فى النهر وهو داخل التابوت، ولما شب قتل مصرياً مما دفعه للهرب إلى مدين حيث عمل راعياً لدى شعيب الذى زوجه إحدى ابنتيه.

فى طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه فى سيناء وأمره بأن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون لدعوته ولاستخلاص بنى إسرائيل، فذهب إليه لكنه أعرض عنهم. فخرج بهم، وقد كان ذلك سنة ١٢١٣ ق.م فى عهد فرعونها منفتاح الذى خلف أباه رمسيس الثاني، وقد لحق بهم، لكن الله أغرقه فى اليم ونجى موسى وقومه.

فى صحراء سيناء صعد موسى الجبل ليكلم ربه وليستلم الألواح، لكنه لما عاد وجدهم قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامرى فزجرهم موسي، ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: (إن فيها قوماً جبارين، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فغضب الله عليهم وتركهم يتيهون فى الصحراء أربعين سنة مات خلالها موسى ودفن فى كثيب أحمر دون أن يدخل فلسطين.

مات كذلك أخوه هارون ودفن فى جبل هور ويذكر المؤرخون أن الذين كانوا مع موسى ماتوا كلهم فى التيه، باستثناء اثنين كان يوشع واحداً منهما.

يوشع بن نون: تولى القيادة بعد موسي، ودخل ببنى إسرائيل عن طريق شرقى الأردن إلى أريحا، وقد مات يوشع سنة ١١٣٠ ق.م.

تقسمت الأرض المفتوحة بين الاثنى عشر سبطاً، يحكمهم قضاة من الكهنة، وقد ظهرت فيهم خلال ذلك قاضية اسمها دبورة، واستمر هذا العهد العشائرى البدائى حوالى قرن من الزمان حسب تقدير المؤرخين.

آخر القضاة صموئيل شاءول صار ملكاً عليهم وهو الذى يسميه القرآن طالوت، وهو الذى قادهم فى معارك ضارية ضد من حولهم، وكان داود واحداً من جنوده، وفى إحدى المعارك تغلب داود على جالوت قائد الفلسطينيين ومن هنا ظهر داود كقائد له أهميته.

داود أصبح الملك الثانى فيهم، وقد بقى المُلك فى أولاده وراثياً، واتخذ من أورشليم (القدس) عاصمة ملكه، مشيداً الهيكل المقدس، ناقلاً إليه التابوت، وقد دام حكمه أربعين سنة.

سليمان بن داود: خلف أباه، وقد علا نجمه حتى إنه صاهر فرعون مصر شيشنق لكن ملكه انكمش فى آخر عهده مقتصراً على غرب الأردن.

خلفه رحبعام: الذى صار ملكاً سنة ٩٣٥ ق.م إلا أنه لم يحظ بمبايعة الأسباط، فمال عنه بنو إسرائيل إلى أخيه يربعام، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين:

- شمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم.
- جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم.

حكم فى كل من المملكتين و١٩ ملكاً، اتصل الملك فى ذرية سليمان فى مملكة يهوذا فيما تنقل فى عدد من الأسر فى مملكة إسرائيل.

عاموس نبى ظهر حوالى سنة ٧٥٠ ق.م وهو أقدم أنبياء العهد القديم الذين وردت أقوالهم إلينا مكتوبة إذ عاش أيام يربعام الثانى (٧٨٣ ــ ٧٤٣ ق.م).

وقع اليهود الإسرائيليون فى سنة ٧٢١ ق.م تحت قبضة الآشوريين فى عهد الملك سرجون الثانى ملك آشور فزالوا من التاريخ، فيما سقطت

مملكة يهوذا تحت قبضة البابليين سنة ٥٨٦ ق.م وقد دمر نبوخذ نصر (بختنصر) أورشليم والمعبد وسبى اليهود إلى بابل وهذا هو التدمير الأول.

سنة ٥٣٨ ق.م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل وقد سمح لهم قورش بالعودة إلى فلسطين ولكن لم يرجع منهم إلا القليل.

فى سنة ٣٢٠ ق.م آل الحكم فى فلسطين إلى الإسكندر الأكبر ومن بعده إلى البطالسة.

اكتسح الرومان فلسطين سنة ٦٣ ق.م واستولى على القدس بقيادة بامبيوس وفي سنة ٢٠ ق.م بنى هيرودوس هيكل سليمان من جديد، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠ م حيث دمر الإمبراطور تيطس المدينة وأحرق الهيكل وهذا هو التدمير الثاني، وقد جاء أوريانوس سنة ١٣٥ م ليزيل معالم المدينة تماماً ويتخلص من اليهود بقتلهم وتشريدهم، وقد بنى هيكلاً وثنياً (اسمه جوبيتار) مكان الهيكل المقدس، وقد استمر هذا الهيكل الوثنى حتى دمره المسحيون فى عهد الإمبراطور قسطنطين.

فى سنة ٦٣٦ م فتح المسلمون فلسطين وأجلوا عنها الرومان، وقد اشترط عليهم صفرونيوس بطريرك النصارى أن لا يسكن المدينة أحد من اليهود.

فى سنة ١٨٩٧ م بدأت الحركة الجديدة لليهود تحت اسم الصهيونية لبناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين (يراجع بحث الصهيونية).

أشعيا: عاش فى القرن الثامن ق.م وقد كان من مستشارى الملك حزقيا ملك يهوذا (٧٢٩ ـ ٦٦٨ ق.م).

إرميا: (٦٥٠ ـ ٥٨٠ ق.م) ندد بأخطاء قومه، وقد تنبأ بسقوط أورشليم، نادى بالخضوع لملوك بابل مما عل اليهود يضطهدونه ويعتدون عليه.

حزقيال: ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد، قال بالبعث والحساب وبالمسيح الذى سيجئ من نسل داود ليصبح ملكاً على اليهود، وقد عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا، أبعد إلى بابل بعد استسلام أورشليم.

دانيال: أعلن مستقبل الشعب الإسرائيلى إذ كان مشتهراً بالمنامات والرؤى الرمزية، وقد وعد شعبه بالخلاص على يد المسيح.

الأفكار والمعتقدات

أولاً: الفرَق اليهودية:

١ ـ الفريسيون: أى المتشددون، يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث وبالملائكة وبالعالم الآخر.

٢ ـ الصدقيون: وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

٣ ــ المتعصبون: فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية، قاموا فى مطلع القرن الميلادى الأول بثورة قتلوا فيها الرومان وكذلك كل من يتعــاون من اليهود مع هؤلاء الرومان فأطلق عليهم إسم السفاكين.

٤ ــ الكتبة أو النسَّاخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم فى النسخ والكتابة فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وقد أثروا ثراء فاحشاً على مدارسهم ومريديهم.

٥ ــ القرّاءون: هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حريتهم فى شرح التوراة.

٦ ــ السامريون: طائفة من المتهودين الذى دخلوا اليهودية من غير بنى إسرائيل، كانوا يسكنون جبال بيت المقدس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من بعدهم، ظهر فيهم رجل يقال له الألفان ادعى النبوة وذلك قبل المسيح بمائة سنة، وقد تفرقوا إلى دوستانية وهم الألفانية وإلى كوستانية أى الجماعة المتصوفة، وقبلة السامرة إلى جبل يقال له غريزيم بين بيت المقدس ونابلس، ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

٧ ــ السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ الذى دخل الإسلام ليدمره من الداخل، فهو الذى نقل الثورة ضد عثمان من القول إلى

العمل مشعلاً الفتنة، وهو الذى دسَّ الأحاديث الموضوعة ليدعم بها رأيه، فهو بحق رائد الفتن السياسية الدينية فى الإسلام.

ثانياً: كتبهم:

العهد القديم: وهو مقدس لدى اليهود والنصارى إذ إنه سجل فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء... وينقسم إلى قسمين:

أ ــ التوراة: وفيه خمسة أسفار: التكوين أو الخلق ... الخروج ... اللاويين (الأخبار) العدد ... التثنية، ويطلق عليها إسم أسفار موسى.

ب ــ أسفار الأنبياء: وهى نوعان:

١ ــ أسفار الأنبياء المتقدمين: يشوع (يوشع بن نون) ــ قضاة ــ صموئيل الأول ــ صموئيل الثانى ــ الملوك الأول ــ الملوك الثاني.

٢ ــ أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعيا ــ إرميا ــ حزقيال ــ هوشع ــ يوئيل ــ عاموس ــ عوبديا ــ يونان (يونس) ــ ميخا ــ ناحوم ــ حبقوق ــ صفنيا ــ حجى ــ زكريا ــ ملاخي.

جـ ــ الكتابات:

١ ــ الكتابات العظيمة: المزامير (الزبور) ــ الأمثال (أمثال سليمان) ــ أيوب.

٣ ــ المجلات الخمس: نشيد الإنشاد ــ راعوث ــ إسرائي (مراثي إرميا) ــ الجامعة ــ أستير.

٤ ــ الكتب: دانيال ــ عزرا ــ نحميا ــ أخبار الأيام الأول ــ أخبار الأيام الثاني.

هذه الأسفار السابقة الذكر معترف بها لدى اليهود، وكذلك لدى البروتستانت.

أما الكنيسة الكاثوليكية: فتضيف سبعة أخرى هي: (طوبيا ــ يهوديت ــ الحكمة ــ يسوع بن سيراخ ــ باروخ ــ المكابين الأول ــ المكابين الثاني) كما تجعل أسفار الملوك الأربعة وأولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني.

استر ويهوديت: كل منها أسطورة تحكى قصة امرأة تحت حاكم من غير بنى إسرائيل حيث تستخدم جمالها وفتنتها فى سبيل رفع الظلم عن اليهود، فضلاً عن تقديم خدمات لهم.

التلمود: هو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام يوضاس سنة ١٥٠ فى كتاب أسماه (المشنا) أى الشريعة المكررة لها فى توراة موسى كالإيضاح والتفسير، وقد أتم الربى يهوذا سنة ٢١٦ م تدوين زيادات وروايات شفوية. وقد تم شرح هذه المشنا فى كتا سمى (جمارا)، ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود،

ويحتل التلمود عند اليهود منزلة مهمة جداً تزيد على منزلة التوراة.

ثالثاً: أعيادهم:

١ ــ يوم الفصح: وهو عيد خروج بنى إسرائيل من مصر، يبدأ من ١٤ أبريل مساء وينتهى ٢١ منه ويكون الطعام فيه خبزاً غير مختمر.

٢ ــ يوم التكفير: فى الشهر العاشر من السنة اليهودية ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم وتسمى أيام التوبة، وفى اليوم العاشر الذى هو يوم التكفير لا يأكل فيه اليهودى ولا يشرب ويمضى وقته فى العبادة حيث تغفر جميع سيئاته ويستعد فيه لاستقبال عام جديد.

٣ ــ زيارة بيت المقدس: يتحتم على كل يهودى ذكر رشيد زيارة البيت المقدس مرتين كل عام.

٤ ــ الهلال الجديد: كانوا يحتفلون لميلاد كل هلال جديد حيث كانت تنفخ الأبواق فى البيت المقدس وتشعل النيران ابتهاجاً به.

٥ ــ يوم السبت: لا يجوز لديهم الاشتغال فى هذا اليوم لأنه اليوم الذى استراح فيه الرب ــ كما يعتقدون ــ فقد اجتمعت اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى.

رابعاً: الإله:

اليهود كتابيون موحدون وهذا هو الأصل.

كانوا يتجهون إلى التعدد والتجسيم والنفعية مما أدى إلى كثرة الأنبياء فيهم لردهم إلى جادة التوحيد كلما أصابهم انحراف فى مفهوم الألوهية.

اتخذوا العجل معبوداً لهم بعيد خروجهم من مصر، ويروى العهد القديم بأن موسى قد عمل لهم حية من نحاس وأن بنى إسرائيل قد عبدوها بعد ذلك، كما أن الأفعى مقدسة لديهم لأنها تمثل الحكمة والدهاء.

الإله لديهم اسمه يهوه وهو ليس إلهاً معصوماً بل يخطئ ويثور ويقع فى الندم وهو يأمر بالسرقة، وهو قاس، متعصب، مدمر لشعبه، إنه إله بنى إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآخرين، إنه يسير أمام جماعة من بنى إسرائيل فى عمود من سحاب.

عزرا هو الذى أوجد توراة موسى بعد أن ضاعت، فبسبب ذلك وبسبب إعادته بناء الهيكل سمى عزرا ابن الله، وهو الذى يسميه القرآن العزير.

خامساً: أفكار ومعتقدات أخري:

يعتقدون بأن الذبيح من ولد إبراهيم إنما هو إسحاق المولود من سارة. والصحيح أنه إسماعيل.

لقد عدوا فى السبت فكان منهم القردة والخنازير عقاباً وزجراً لهم.

لم يرد فى دينهم شئ ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة غير عميقة ذلك أن هذه الأمور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودى المادي.

الثواب والعقاب: إنما يتم فى الدنيا، الثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل والاستعباد.

التابوت: هو صندوق كانوا يحفظون فيه أغلى ما يملكون من ثروات ومواثيق وكتب مقدسة.

المذبح: مكان مخصص لإيقاد البخور يوضع قدام الحجاب الذى أمام التابوت.

الهيكل: هو البناء الذى أمر به داود وأقامه سليمان، فقد بنى بداخله المحراب أى قدس الأقداس وهيأ كذلك بداخله مكاناً يوضع فيه تابوت عهد الرب.

الكهانة: إنها تختص بأبناء ليفى أحد أبناء يعقوب، فهم وحدهم لهم حق تفسير النصوص وتقديم القرابين، وهم معفون من الضرائب وشخصياتهم وسيلة يقرب بها إلى الله، فاصبحوا بذلك أقوى من الملوك.

القرابين: كانت تشمل الضحايا البشرية إى جانب الحيوان

والثمار، ثم اكتفى الإله بعد ذلك بجزء من الإنسان وهو ما يقتطع منه في عملية الختان التي يتمسك بها اليهود إلى يومنا هذا فضلاً عن الثمار والحيوان إلى جانب ذلك.

يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أمي (جوييم) إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي.

يجوز غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه، ذلك أن غير اليهود كالكلاب والخنازير والبهائم، بل إنهم يتقربون إلى الله بذلك.

يقول التلمود عن المسيح: إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري (باندارا) عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة.

بسبب ظروف الاضطهاد نشأت لديهم فكرة المسيح المنتظر كنوع من التنفيس والبحث عن أمل ورجاء.

يتحدث العهد القديم عن حادثة مدبرة وقعت في بيت داود: كان لأبشالوم بن داود شقيقة جميلة اسمها ثامار. وقد أحبها وتيم بها أخ لها من أبيها اسمه أمنون، وحدث أن أمنون طلب من أبيه أن تحضر أخت

لتعد طعاماً وتطعمه، ولما حضرت أخته أخلى المكان وزنى بها على الرغم منها وخرجت ثامار صارخة باكية، ولما عرف أبشالوم شقيقها هذا الأمر، دبر في نفسه مكيدة لينتقم من أمنون فدعاه هو وأخوته إلى الطعام وأوصى عبيده أن يثقلوا الطعام والشراب لأمنون حتى يسكر ثم يقتلوه.

يقولون بأن يعقوب قد صارع الرب، وأن لوطاً قد شرب الخمر وزنى بابنتيه بعد نجاته إلى جبل صوغر، وأن داود قبيح في عين الرب.

لقد فقدت توراة موسى بعد تخريب الهيكل أيام بختنصر فلما كتبت مرة ثانية أيام ارتحشتا ملك فارس جاءت محرفة عن أصلها، يقول الله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به).

إن ديانتهم خاصة بهم، مقفلة على الشعب اليهودي.

قال الله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ).

قال الله تعالى: (كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ) الولد الأكبر الذكر هو أول من يرث وله حظ اثنين من إخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح شرعي أو غير شرعي في الميراث.

بعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، ومالها ملك له، ولكن لكثرة الخلافات فقد أقر بعد ذلك أن تملك الزوجة رقبة المال

والزوج يملك المنفعة.

من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعاً بدون حد فقد حدده الربانيون بأربع زوجات بينما أطلقه القراءون.

الجذور الفكرية والعقائدية

عبادة العجل مأخوذة عن قدماء المصريين حيث كانوا هناك قبل الخروج، والفكر المصرى القديم يعد مصدراً رئيسياً للأسفار في العهد القديم.

من مصادر العهد القديم الفكر البابلي والفارسي (انظر عباس محمود العقاد: (الله) ص ١١٧).

أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع حمورابي الذي يرجع إلى نحو سنة ١٩٠٠ ق.م، وقد اكتشف هذا التشريع في سنة ١٩٠٢ محفوراً على عمود أسود من الصخر وهو أقدم تشريع سامي معروف حتى الآن.

يقول التلمود بالتناسخ وهي فكرة تسربت لبابل من الهند فنقلها حاخامات بابل إلى الفكر اليهودي.

- تأثروا بالفكر المسيحى فتراهم يقولون: (تسبب يأبانا فى نعود إلى شريعتك، قربنا يا ملكنا إلى عبادتك وعد بنا إلى التوبة النصوح فى حضرتك).

- فى بعض مراحلهم عبدوا آلهة البلعيم والعشتارت وآلهه ارام وآلهة صيدوم، وآلهة مؤاب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين (سفر القضاء: ١٠/٦).

الانتشار ومواقع النفوذ

العبريون فى الأصل عاشوا فى منطقة الأردن وفلسطين، ثم انتقل بنو إسرائيل إلى مصر، وقد ارتحلوا إلى فلسطين ليقيموا هناك مجتمعاً يهودياً، ولكن لانعزاليتهم واستعلائهم وعنصريتهم وتآمرهم اضطهدوا وشردوا فتفرقوا فى دول العالم فوصل بعضهم إلى أوروبا وروسيا ودول البلقان والأمريكتين وإسبانيا، بينما اتجه بعضهم إلى داخل الجزيرة العربية التى أجلوا عنها مع فجر الإسلام، كما عاش بعضهم فى أفريقيا واسيا.

- منذ نهاية القرن الميلادى الماضى ما يزالون يجمعون أشتاتهم فى أرض فلسطين تحرضهم على ذلك وتشجيعهم الصهيونية والاستعمار.

- مما لاشك فيه أن اليهود الحاليين- والذين يبلغون حوالى خمسة عشر مليوناً- لا يمتون بصلة إلى العبرانيين الإسرائيليين القدماء المتحدرين من إبراهيم عليه السلام إذ إنهم حالياً أخلاط من شعوب الأرض المتهودين الذين تسوقهم دوافع استعمارية.

أما الذين يرجعون إلى أصول إسرائيلية فعلا هم اليوم - وفى إسرائيل بخاصة- يهود من الدرجة الدنيا.

مراجع للتوسع:

إظهار الحق	رحمة الله الهندي
اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم	زكي شنودة – ط 1 – مكتبة نهضة مصر – 1974
تاريخ الأقباط	زكي شنودة
الله	عباس محمود العقاد
خطر اليهود العالمية على الإسلام والمسيحية	عبد الله التل
مقارنة الأديان اليهودية	د. أحمد شلبي – ط 4 – النهضة المصرية – 1974
اليهود في تاريخ الحضارات الأولى	غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر – طبعة عيسى البابي الحلبي
التوراة: عرض وتحليل	د. فؤاد حسنين
تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم	محمد عزة دروزة
الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة	عبد القادر شيبة الحمد – مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المراجع الأجنبية:

1 - Berry: Religions of the world
2 - Reinach: History of religion
3 - Smith J. W. d: God and man in Early Israel
4 - Kirk: A shorth history of middle East
5 - Max margolis and Alexander marx: A History of the Jewish peeple
6 - Hertzl: The Jewish State
7 - Weech: Civilization of neer East
8 - Wells: A Short History of the world

١ ـ الصهيونية

ZIONISM

تعريف

الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمى إلى إقامة دولة لليهود فى فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) فى القدس حيث تطمع الصهيونية أن تشيد فيها هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها. ارتبطت الحركة الصهيونية بشخصية اليهودى النمساوى (هرتزل) الذى يعد الداعية الأول للفكر الصهيونى الذى تقوم على آرائه الحركة الصهيونية فى العالم.

التأسيس وأبرز الشخصيات

للصهيونية العالمية جذور تاريخية فكرية وسياسية تجعل من الواجب الوقوف عند الأدوار التالية:

١- حركة المكابيين التى أعقبت العودة من السبى البابلى

(٥٨٦-٥٣٨م) قبل الميلاد، وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان.

٢- حركة باركو خبا (١١٨-١٣٨م) وقد أثار هذا اليهودى الحماسة فى نفوس اليهود وحثهم على التجمع فى فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها.

٣- حركة موزس الكريتى وكانت شبيهة بحركة باركو خبا.

٤- مرحلة الركود فى النشاط اليهودى بسبب اضطهاد اليهود وتشتتهم. ومع ذلك فقد ظل الشعور القومى عند اليهود عنيفاً لم يضعف.

٥- حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ (١٥٠١م-١٥٣٢) وقد حثا اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك إسرائيل فى فلسطين.

٦- حركة منشه بن إسرائيل (١٦٠٤-١٦٥٧م) وهى النواة الأولى التى وجهت خطط الصهيونية وركزتها على أساس استخدام بريطانيا فى تحقيق أهداف الصهيونية.

٧- حركة شبتاى زفى (١٦٢٦-١٦٧٦م) الذى أدعى أنه مسيح اليهود المخلص فأخذ اليهود يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلصهم مات.

٨- حركة رجال المال التى تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيورى وكانت تهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية فى فلسطين كخطوة أولى لامتلاك الأرض ثم إقامة دولة اليهود.

٩- الحركة الفكرية الاستعمارية التى دعت إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين فى بداية القرن التاسع عشر.

١٠- حركة صهيونية عنيفة قامت إثر مذابح اليود فى روسيا سنة ١٨٨٢م وفى هذه الفترة ألف هيكلر الجرمانى كتاب بعنوان (إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الأنبياء).

١١- الصهيونية الحديثة وهى الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفى اليهودى النمساوى (١٨٦٠-١٩٠٤م) وهدفها الأساسى الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءاً بإقامة دولة لهم فى فلسطين. وقد فاوض السلطان عبدالحميد بهذا الخصوص فى محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

وقد أقام هرتزل أول مؤتمر صهيونى عالمى سنة ١٨٩٧م، ونجح فى تجميع يهود العالم حوله كما نجح فى جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات فى تاريخ العالم وهى (بروتوكلات حكماء صهيون) المستمدة من تعاليم كتب اليهود

المحرفة التى يقدسونها، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء لتحقيق أهدافهم التدميرية التى أصبحت نتائجها واضحة للعيان فى زمننا هذا.

الأفكار والمعتقدات

- تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التى حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها فى (بروتوكولات حكماء صهيون).

- تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة هى الجنسية الإسرائيلية.

- تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما وعدهم إلههم يهوه، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التى تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات.

- يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذى يجب أن يسود وكل الشعوب الأخرى خدم لهم.

- يرون أن أقوم السبل لحكم العالم هو إقامة الحكم على أساس التخويف والعنف.

- يدعون إلى تسخير الحرية السياسية من أجل السيطرة على

الجماهير ويقولون: يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذى يوقعهم فى شباكنا.

- يقولون لقد انتهى العهد الذى كانت فيه السلطة للدين، والسلطة اليوم للذهب وحده فلابد من تجميعه فى قبضتنا بكل وسيلة لتسهل سيطرتنا على العالم.

- يرون أن السياسة نقيض للأخلاق ولابد فيها من المكر والرياء أما الفضائل والصدق فهى رذائل فى عرف السياسة.

- يقولون: لابد من إغراق الأمميين فى الرذائل بتدبيرنا عن طريق من نهيئهم لذلك من أساتذة وخدم وحاضنات ونساء الملاهي.

- يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا.

- يقولون: يجب أن نعمل على بث الفزع الذى يضمن لنا الطاعة العمياء ويكفى أن يشتهر عنا أننا أهل بأس شديد ليذوب كل تمرد وعصيان.

- يقولون: نادى بشعارات (الحرية والمساواة والإخاء) لينخدع بها الناس ويهتفوا بها وينساقوا وراء ما نريد لهم.

- يقولون: لابد من تشييد ارستقراطية تقوم على المال الذى

هو فى يدنا والعالم الذى اختص به علماونا.

- يقولون: سنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا وسيكون تعيينهم فى أيدينا واختيارهم يكون حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق الدنيئة وحب الزعامة وقلة الخبرة.

- يقولون: سنسيطر على الصحافة تلك القوة الفعالة التى توجه العالم نحو ما نريد.

- يقولون: لابد من توسيع الشقة بين الحكام والشعوب وبالعكس ليصبح السلطان كالأعمى الذى فقد عصاه ويلجأ إلينا لتثبيت كرسيه.

- يقولون: لابد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع وجعل السلطة هدفاً مقدساً تتنافس كل القوى للوصول إليه، ولابد من اشعال نار الحرب بين الدول بل داخل كل دولة عند ذلك تضمحل القوى وتسقط الحكومات وتقوم حكومتنا العالمية على أنقاضها.

- يقولون: ستتقدم إلى الشعوب الفقيرة المظلومة فى زى محرريها ومنقذيها من الظلم وندعوها إلى الانضمام إلى صفوف جنودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين والماسونيين وبفضل الجوع سنتحكم فى الجماهير ونستخدم سواعدهم لسحق

كل من يعترض سبيلنا.

- يقولون: لابد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية لكى يخضع لنا الجميع بفضل الذهب الذى احتكرناه.

- يقولون: إننا الآن بفضل وسائلنا الخفية فى وضع منيع بحيث إذا هاجمتنا دولة نهضت أخرى للدفاع عنا.

- يقولون: إن كلمة الحرية تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته فلنشعها هى وأمثالها إلى أن تصبح السلطة فى أيدينا.

- يقولون: لنا قوة خفية لا يستطيع أحد تدميرها تعمل فى صمت وخفاء وجبروت ويتغير أعضاؤها على الدوام وهى الكفيلة بتوجيه حكام الأمميين كما نريد.

- يقولون: لابد أن نهدم دولة الإيمان فى قلوب الشعوب وننزع من عقولهم فكرة وجود الله ونحل محلها قوانين رياضية مادية لأن الشعب يحيا سعيداً هانئاً تحت رعاية دولة الإيمان. ولكى لا ندع للناس فرصة المراجعة يجب أن نشغلهم بشتى الوسائل وبذلك لا يفطنوا لعدوهم العام فى الصراع العالمي.

- يقولون: سنعمل على إنشاء مجتمعات منحلة مجردة من الإنسانية والأخلاق، متحجرة المشاعر، ناقمة أشد النقمة على الدين والسياسة،

ليصبح رجاؤها الوحيد تحقيق الملاذ المادية، وحينئذ يصبحون عاجزين عن أى مقاومة فيقعوا تحت أيدينا صاغرين.

- يقولون: سنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى ونسيطر على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدى رعايانا وبذلك نستطيع فى كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها من الأمميين.

- يقولون: لقد بثثنا بذور الشقاق فى كل مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية فى مجتمعاتهم ولم ننفك عن بذل جهودنا فى اشعالها منذ ٢٠ قرناً ولذلك من المستحيل على أى حكومة أن تجد عوناً من أخرى لضربنا وأن الدول لن تقدم على ابرام أى اتفاق مهما كان ضئيلاً دون موافقتنا لأن محرك آلة الدول فى قبضتنا.

- يقولون: لقد هيأنا الله لحكم العالم وزودنا بخصائص وامتيازات لاتوجد عند الأمميين ولو كان فى صفوفهم عباقرة لاستطاعوا مقاومتنا.

- يقولون: لابد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا عوض إخمادها ولابد من الاستيلاء على أفكار الآخرين وترجمتها بما يتفق مع مصالحنا بدل قتلها.

ليصبح رجاؤها الوحيد تحقيق الملاذ المادية، وحينئذ يصبحون عاجزين عن أي مقاومة فيقعوا تحت أيدينا صاغرين.

- يقولون: سنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى ونسيطر على جميع الوظائف وتكون السياسة بأيدى رعايانا وبذلك نستطيع فى كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها من الأمميين.

- يقولون: لقد بثثنا بذور الشقاق فى كل مكان بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية فى مجتمعاتهم ولم ننفك عن بذل جهودنا فى اشعالها منذ ٢٠ قرناً ولذلك من المستحيل على أى حكومة أن تجد عوناً من أخرى لضربنا وأن الدول لن تقدم على ابرام أى اتفاق مهما كان ضئيلاً دون موافقتنا لأن محرك آلة الدول فى قبضتنا.

- يقولون: لقد هيأنا الله لحكم العالم وزودنا بخصائص وامتيازات لاتوجد عند الأمميين ولو كان فى صفوفهم عباقرة لاستطاعوا مقاومتنا.

- يقولون: لابد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا عوض إخمادها ولابد من الاستيلاء على أفكار الآخرين وترجمتها بما يتفق مع مصالحنا بدل قتلها.

- يقولون: سنولى عناية كبرى بالرأى العام إلى أن نفقده القدرة على التفكير السليم ونشغله حتى نجعله يعتقد أن شائعاتنا حقائق ثابتة ونجعله غير قادر على التمييز بين الوعود الممكن إنجازها والوعود الكاذبة فلابد أن نكون هيئات يشتغل أعضاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التى تغدق الوعود ولابد أن نبث فى الشعوب فكرة عدم فهمهم للسياسة وخير لهم أن يدعوها لأهلها.

- يقولون: سنكثر من إشاعة المتناقضات ونلهب الشهوات ونؤجج العواطف.

- يقولون: سننشئ (إدارة الحكومة العليا) ذات الأيدى الكثيرة الممتدة إلى كل أقطار الأرض والتى يخضع لها كل الحكام.

- يقولون: يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

- يقولون: فى الرسميات يجب علينا أن نتظاهر بنقيض ما نضمر فنستنكر الظلم ونادى بالحريات ونندد بالطغيان.

- يقولون: إن الصحافة جميعاً بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق وسنشغل بها

- يقولون: سنولى عناية كبرى بالرأى العام إلى أن نفقده القدرة على التفكير السليم ونشغله حتى نجعله يعتقد أن شائعاتنا حقائق ثابتة ونجعله غير قادر على التمييز بين الوعود الممكن إنجازها والوعود الكاذبة فلابد أن نكون هيئات يشتغل أعضاؤها بإلقاء الخطب الرنانة التى تغدق الوعود ولابد أن نبث فى الشعوب فكرة عدم فهمهم للسياسة وخير لهم أن يدعوها لأهلها.

- يقولون: سنكثر من إشاعة المتناقضات ونلهب الشهوات ونؤجج العواطف.

- يقولون: سننشىء (إدارة الحكومة العليا) ذات الأيدى الكثيرة الممتدة إلى كل أقطار الأرض والتى يخضع لها كل الحكام.

- يقولون: يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

- يقولون: فى الرسميات يجب علينا أن نتظاهر بنقيض ما نضمر فنستنكر الظلم وننادى بالحريات ونندد بالطغيان.

- يقولون: إن الصحافة جميعاً بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق وسنشغل بها

الأمميين عما ينفعهم ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة.

- يقولون: الحكام أعجز من أن يعصوا أوامرنا لأنهم يدركون أن السجن أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم فيكونوا أعظم طاعة لنا وأشد حرصاً ورعاية لمصالحنا.

- يقولون: سنعمل على ألا يكشف مخططنا قبل وقته ولا نهدم قوة الأمميين قبل الأوان.

- يقولون: نحن الذين وضعنا طريقة التصويت ونظام الأغلبية المطلقة ليصل إلى الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيأنا الرأى العام للتصويت عليهم.

- يقولون: سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية فى كل فرد ليتمرد ونحول دون وصول ذوى الامتياز إلى الرتب العالية.

- يقولون: لا يصل إلى الحكم إلا أصحاب الصحائف السود غير المكشوفة وهؤلاء سيكونون أمناء على تنفيذ أوامرنا خشية الفضيحة والتشهير. كما نقوم بصنع الزعامات وإضفاء العظمة والبطولة عليها.

- يقولون: سنستعين بالانقلابات والثورات كلما رأينا فائدة لذلك.

- يقولون: لقد أنشأنا قوانا الخفية لتحقيق أهدافنا ولكن البهائم

من الأمميين يجهلون أسرارها فوثقوا بها وانتسبوا إلى محافلها فسيطرنا عليهم وسخرناهم لخدمتنا.

- يقولون: إن تشتيت شعب الله المختار نعمة وليست ضعفاً وهو الذى أفضى بنا إلى السيادة العالمية.

- يقولون: ستكون كل دور النشر بأيدينا وستكون سجلات التعبير عن الفكر الإنسانى بيد حكومتنا وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون.

يقولون: ستكون لنا مجلات وصحف كثيرة مختلفة النزعات والمبادئ وكلها تخدم أهدافنا.

- يقولون: لابد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهى والألعاب والمنتديات العامة والفنون والجنس والمخدرات لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا.

- يقولون: سنمحو كل ماهو جماعى وسنبدأ المرحلة بتغيير الجامعات وسنعيد تأسيسها حسب خططنا الخاصة.

- يقولون: سنتصرف مع كل من يقف فى طريقنا بكل عنف وقسوة.

- يقولون: سنكثر من المحافل الماسونية وننشرها فى كل وسط لتوسيع نطاق سيطرتنا.

- يقولون: عندما تصبح السلطة فى أيدينا لن نسمح بوجود دين غير ديننا على الأرض.

الجذور الفكرية والعقائدية

- الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها وهى التى أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى. وحركة هرتزل إنما هى تجديد وتنظيم للصهيونية القديمة.

- تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود. ولكن لابد من الإشارة إلى ان عدداً من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية والاقتصادية.

الانتشار ومواقع النفوذ

- الصهيونية هى الواجهة السياسية لليهودية العالمية وهى كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندى فشنو الذى له مائة يد) فهى لها فى جل الأجهزة الحكومية فى العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها.

- هى التى تقود إسرائيل وتخطط لها.

- الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها

زعماء العالم ومفكريه.

- للصهيونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمركيا فى مختلف المجالات التى تبدو متناقضة فى الظاهر لكنها كلها فى الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية.

- هناك من يبالغ فى قوتها مبالغة كبيرة جداً، وهناك من يهون من شأنها، والرأيان فيهما خطأ، على أن استقراء الواقع يدل على أن اليهود الآن يحيون فترة علو استثنائية.

مراجع للتوسع:

جذور البلاء	عبد الله التل
المخططات التلمودية الصهيونية	أنور الجندي
اليهودية في غزو العالم الإسلامي	
بروتوكولات صهيون	ترجمة أحمد عبد الغفور العطار
القوى الخفية	ل. فراي
مؤامرة الصهيونية على العالم	أحمد عبد الغفور العطار
الصهيونية وربيبتها إسرائيل	عمر رشدي
الصهيونية العالمية	عباس محمود العقاد
اليهودي العالمي	هنري فورد
هذه هي الصهيونية	إسرائيل كوهين
إسرائيل الزائفة	فريد عبد الله جورجي

حاييم وايزمان والمنظمة الصهيونية العالمية

عملت المنظمة الصهيونية العالمية بجد منذ صدر قرار تأسيسها فى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ على إقامة وطن لليهود، وهو ما تحقق على أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

النشأة والأهداف

نجح ثيودور هرتزل فى الترويج لفكرة العودة إلى فلسطين وإقامة وطن لليهود هناك، وتبلور ذلك النجاح فى عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وكان من أهم نتائجه إقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الصهيونى الذى ينص على أن (هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين يضمنه القانون العام).

أجهزة المنظمة

اتخذت المنظمة لنفسها عدة موسسات وأجهزة داخلية تقوم

على تنفيذ هدف إقامة الدولة، من هذه الأجهزة رئيس المنظمة ونائب الرئيس ومكتب التوجيه المركزى واللجنة التنفيذية والمجلس العام (شبه التنفيذى شبه التشريعي) والمؤتمر الصهيونى وهو السلطة التشريعية العليا فى الحركة الصهيونية. أما الأجهزة المحلية فى المنظمة فى كل بلد على حدة فقد ترك تقرير شكلها النهائى وشكل العضوية فيها للظروف المحلية السائدة فى ذلك البلد.

أعضاء المنظمة

فتحت المنظمة باب العضوية فيها لكل من يؤمن بالأفكار الصهيونية ويعمل على الإسراع بتحقيق أمانى وتطلعات الشعب اليهودي، ونمت هذه العضوية بشكل كبير، ففى المؤتمر الصهيونى السادس الذى انعقد عام ١٩٠٣ وصل عدد أعضائها إلى ٦٠٠ عضو وكان عدد الجمعيات الصهيونية ١٥٧٢ جمعية موزعة على بلدان مختلفة، ثم ازداد بصورة كبيرة أثناء ترؤس حاييم وايزمان فأصبح فى عام ١٩٣٩ تعداد الأعضاء قرابة ٥ , ١ مليون عضو.

الصهيونية العملية والسياسية

برز داخل المنظمة الصهيونية العالمية اتجاهان كادا يعصفان بوحدتها.

الاتجاه الأول: يقوده ثيودور هرتزل ويؤمن بأن الخلاص

لليهود لا يمكن تحقيقه عبر عملية متقطعة لإقامة المستعمرات وإنما عبر عمل سياسى كامل محمى على الصعيد العالمي، ولذا فقد كرس أصحاب هذا الاتجاه جهودهم للحصول على موافقة الدول الكبرى وبالأخص تركيا بوصفها بلد الخلافة الإسلامية ليكون لليهود موطئ قدم فى فلسطين.

الاتجاه الثاني: يعتبر الصهيونية العملية التى يقودها حاييم وايزمان وديفيد بن غوريون مهمتها العمل بكل جدية على تهجير أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين وزيادة المستوطنات بها.

العلاقة مع بريطانيا

تأثرت المنظمة الصهيونية بالحرب العالمية الأولى تأثراً سلبيا فى بعض جوانبه وإيجابيا فى جوانب أخرى فقد دبت الفوضى الإدارية فى صفوفها وانقطعت مكاتبها المركزية عن الأجهزة والوحدات المحلية والأعضاء، وتعرضت الأجهزة الصهيونية فى فلسطين إلى هزات قاسية أدت إلى حل الكثير منها وهجرة الكثير من الصهيونيين إلى خارج فلسطين، لكنها فى المقابل وبجهود حاييم وايزمان أعادت إبراز أهدافها وتحديدها فى النقاط الأربع التالية:

- ضرورة انتصار الحلفاء.
- إقامة انتداب بريطانى فى فلسطين.

- يسهل هذا الانتداب دخول مليون يهودي أو أكثر إلى فلسطين.

وأسفرت جهود المنظمة ورئيسها حاييم وايزمان عن الحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧ ثم التفت إلى إعادة ترتيب أوضاعها واستكمال الناقص من أجهزتها التأسيسية، فأنشأت الصندوق التأسيسي لفلسطين الذي اختص بنشاطات الهجرة والاستيطان، و(الوكالة اليهودية الموسعة) التي ضمت غير الصهيونيين بعد أن تأكدت من سيطرتها على هذه الوكالة.

المنظمة بعد قيام إسرائيل

عادت الصراعات الداخلية تدب في صفوف المنظمة بعد قيام دولة إسرائيل إذ رأى البعض أن وجودها أصبح غير ذي جدوى ويجب أن تندمج في مؤسسات الدولة، في حين رأى البعض الآخر أن تظل المنظمة مستقلة وتنشط في خدمة إسرائيل في الخارج.

وقد تغلب أصحاب الاتجاه الأول وزاد تأثيرهم بعد انتخاب ناحوم غولدمان رئيساً للمنظمة عام ١٩٤٩.

أهداف المنظمة بعد قيام إسرائيل

عدلت المنظامة الصهيونية من أهدافها بعد قيام إسرائيل، ثم عادت إلى بلورة أهدافها من مرة ثانية بعد هزيمة العرب عام ١٩٦٧.

ففي المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين الذي عقد عام ١٩٦٨ صدر (برنامج أورشليم) ونص على أن أهداف الصهيونية هي:

- وحدة الشعب اليهودي ومركزية أرض إسرائيل.
- جمع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي عن طريق الهجرة من كل بقاع الأرض.

(المحافظة على أصالة الشعب بتنمية التعليم اليهودي واللغة العبرية وبث القيم الروحية والثقافة اليهودية.

كما ورد في ذلك البرنامج نصوص واضحة تؤكد الغلبة الحاسمة لإسرائيل على المنظمة الصهيونية، وقد رحب المؤتمر الصهيوني (أعلى سلطة تشريعية) بمنح إسرائيل واحداً من أهم اختصاصات المنظمة ألا وهو استيعاب المهاجرين اليهود وذلك باستحداث وزارة الاستيعاب، كما أقر المؤتمر تحويل المنظمة إلى (حركة عامة) تفسح المجال أمام انضمام الفئات والجماعات التي لا تنتمي إلى أحزاب صهيونية. فتبنى المؤتمر قراراً بتأسيس (حركة الهجرة) لإنجاز هجرة اليهود إلى فلسطين.

كيف يفكر.. حاييم وايزمان؟

(لو أن موسى نفسه جاء يدعو لغير فلسطين وطناً قومياً لليهود ما تبعه أحد. إن أي ابتعاد عن فلسطين يشكل نوعاً من أنواع الكفر).

فى عام ١٨٧٤ فى بلدة (موتول) فى ولاية (بنسك) إحدى ولايات روسيا البيضاء ولد (حاييم وايزمان).

والده هو (عازار وايزمان) من وجهاء يهود (موتول) المتدينين وكان يعمل تاجرا للاخشاب يقوم بتقطيعها من الغابات ثم ينقلها بعد ذلك إلى الموانى الروسية لتصديرها.

وبدأ (حاييم) حياته الدراسية فى معبد البلدة حيث درس مبادئ الدين والتاريخ اليهوديين واللغة الروسية ولغة (اليديش) التى كان يتحدث بها يهود روسيا.

ومنذ صغره بدأ يسمع عن فلسطين.. بدأ يسمع كيف أن الأتراك يقفلون الأبواب فى وجه اليهود ويمنعونهم من الدخول إلى هناك.. وكيف كان على كل يهودى يدخل فلسطين حمل بطاقة حمراء يبرزها لرجال الزمن عند الطلب. وسمع أيضاً كيف كانت السلطات التركية

تحرم عليهم امتلاك الأراضى والعقارات.. وإلى جانب كل ذلك سمع أيضاً أنه بالرغم من كل هذه القيود (فإن اليهود تمكنوا من شراء الأراضى فى فلسطين باسماء مستعارة أحياناً وبواسطة الرشوة أحياناً أخرى. فقد كان الموظفون الأتراك أكثر فساداً من الموظفين الروس. بل تمكنوا من بناء الدور والعمارات برغم القوانين التى كانت تحرم عليهم ذلك وفى الوقت نفسه أنشأوا المستعمرات اليهودية الأولى باستخدام الرشوة واتباع كافة الوسائل للتحايل على القانون).

وحينما تجاوز (حاييم) مرحلة الطفولة أرسلوه إلى (بنسك) ليتلقى تعليمه العالى هناك متخصصاً فى الكيمياء ولم يقتصر نشاطه فى (بنسك) على تعلم الكيمياء بل امتد إلى النشاط الصهيونى ليتلقى تجاربه الأولى فى هذا المجال.

كانت حركة (شيبات زيون) أى (أحباء صهيون) منتشرة هناك فانضم اليها وأخذ يقوم بدوره فى الدعوة للحركة الصهيونية مروجا أخبارها منتهزاً فرصة الاعياد والمواسم لجمع التبرعات، (وكانت الطبقات الفقيرة والمتوسطة تدفع للحركة أكثر من طبقة الأغنياء والأثرياء).

وفى ذلك الوقت أيضاً قامت حركة بين اليهود تدعو إلى اندماجهم فى الشعوب التى يعيشون بينها كوسيلة للقضاء على الروح المعادية للسامية التى كانت منتشرة وقتئذ فى بلاد كثيرة، وقد وحدت

هذه الفكرة تشجيعاً كثيراً من بعض الأوساط اليهودية إلا أن حاييم وايزمان لم ير رأيهم إذ كان يعتقد أن الأندماج فيه خطر كبير على الصهيونية وأحلامها، فأخذ يعارض الفكرة ويقاومها بشتى الوسائل.

وتاق (وايزمان) إلى مواصلة دراسته العالية في الكيمياء ولم يطل به التفكير فقرر السفر إلى المانيا فاستقل إحدى السفن النهرية الصغيرة عاملا كبحار على سطحها حتى وصل إلى مدينة دانزج. ولم يكن لديه جواز سفر يسمح له بدخول المانيا فما كان منه إلا أنه عبر الحدود خلسة.

وانتهى به المطاف ليلتحق فى جامعة (دار مستاد) فى بلدة (مونفستاد) وعمل فى الوقت نفسه مدرساً للغة الروسية والعبرية فى إحدى المدارس اليهودية بالبلدة.

واستأنف نشاطه الصهيونى فى المانيا وراعه ما كان عليه اليهود هناك من شعور بمركب النقص. فاعتقد منذ ذلك الوقت أن العمود الفقرى للحركة الصهيونية هو يهود روسيا لثقافتهم اليهودية العميقة وشعورهم بكيانهم القومى ووجد أن الدعوة للاندماج والتى سبق أن قاومها فى (بنسك) منتشرة بطريقة أوسع فى المانيا فأخذ يشارك فى مقاومتها لأن اليهود الألمان (كانوا يسيرون بخطوات واسعة نحو محو كيانهم اليهودى بالاندماج فى الشعب الألماني. إنهم

ضعفاء جبناء يظنون أن الاندماج علاج للعداء للسامية. إن هذا خطأ كبير فسيظل الألمان على كراهيتهم لليهود مهما حدث بل ستزداد هذه الكراهية بمرور الزمن).

وقطع دراسته وعاد إلى (بنسك) ليعمل عاملا فى أحد المعامل الكيماوية. وقد طلب للتجنيد بعد وصوله مباشرة إلا أنه بذل ما فى وسعه للتهرب من الخدمة العسكرية، إذ أنه (لم يكن مستعداً أن يضيع أربعة أعوام من عمره فى خدمة القيصر).

ولكنه ما لبث أن عاد إلى ألمانيا ثانية عام ١٨٩٥ ليلتحق بمدرسة (البولتيكنيكوم) التى كانت تعتبر أحسن معاهد أوروبا فى العلوم والكيمياء. وهناك قابل عدداً كبيراً من الطلبة اليهود الروس وكانوا مشتتى الفكر بين العودة إلى روسيا بعد انتهاء دراساتهم حيث يواجهون الاضطهاد، وبين البقاء فى الغرب حيث يعيشون ولم يجدوا مخرجاً لحيرتهم إلا أن كونوا فيما بينهم (طبقة ثائرة) تنادى بالبعث أى العودة إلى فلسطين، وأخذت هذه الجماعة تتصل بالطلبة اليهود فى البلاد المختلفة لتنشر أفكارها وتوطد العلاقات بينها.

وبعد أن انتهى (وايزمان) من دراسته فى برلين انتقل إلى جنيف عام ١٨٩٨ ليعمل مدرساً فى جامعتها وكان يعود إلى (بنسك) كل عام لزيارة أسرته ولتأدية بعض المهام فى خدمة الصهيونية، فكلف

عام ١٨٩٧ بتشكيل الوفد الروسى لحضور المؤتمر الصهيونى الأول فى (بازل) الذى دعا اليه (هرزل). ثم كلف فى السنة التالية بحمل اليهود على شراء أسهم البنك اليهودى الدولى وبنك الاستعمار اليهودي.

وفى عام ١٨٩٦ نشر (هرزل) كتابه عن الدولة اليهودية وما لبث أن دعا لعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى (بازل) عام ١٨٩٧، ولم يتيسر (لوايزمان) حضور هذا المؤتمر. وفى عام ١٨٩٨ تقابل (وايزمان) مع (هرزل) لأول مرة فى المؤتمر الصهيونى الثانى ولم يجد (وايزمان) فى (هرزل) ما يثير الانتباه فى بادئ الأمر. فلم يكن فيه ما يميزه عن أى فرد عادي. إلا أنه كلما ازدادت معرفته به عمقا فى المؤتمر التالية ازداد احترامه وتقديره له.

ولم يمنع هذا الاحترام (وايزمان) من الاعتقاد بأن (هرزل) كان سياسياً ساذجاً، إذ كانت صهيونيته ضرباً من الدوافع الخيرية والإنسانية تتلخص فى أنه من الواجب أن يقوم أغنياء اليهود بمساعدة فقرائهم بالنفوذ والمال وكان سلطان تركيا يملك فلسطين وكان فى الوقت نفسه فى حاجة إلى المال بصفة دائمة ففكر (هرتزل) أن يحمل اليهود الأغنياء على دفع المال للسلطان ليسمح بدوره لفقراء اليهود بالذهاب إلى فلسطين.

ويرى (وايزمان) أنه حينما حصر (هرزل) تفكيره فى هذا المجال تبلورت اتجاهاته فى ضرورة الاقدام على خطوتين: الأولى اقناع اليهود الأغنياء بتقديم الأموال لاعطائها السلطان، ومن ثم يقدم على الخطوة الثانية باقناع الدول الكبرى بالضغط على سلطان تركيا لمنح فلسطين لليهود.

إنه تفكير يتسم بالسطحية والسذاجة كان لابد أن يكون مصيره الاخفاق.

فلم تكن الحركة الصهيونية - فى رأى (وايزمان) فى يوم من الأيام حركة انسانية خيرية بل كانت على الدوام حركة ارتقاء نمت كالشجرة الصغيرة التى تحتاج إلى رعاية حتى تثمر.. والشعب هو الذى يبنى الدولة ولم يكن (هرزل) من الشعب فكان من الطبيعى أن تتسم قيادته للحركة الصهيونية بسمات الإرستقراطية والكبرياء فاقتصرت جهوده على ملاحقة بعض عظماء القادة والأمراء والحكام (ليعطوه فلسطين)، وزاد اعتماده فى الوقت نفسه على الأثرياء وأصحاب البنوك والممولين من اليهود وبذلك سقطت قيادة الحركة الصهيونية فى أيدى اليمين.

ولم تكن قيادة يمينية بهذه الصورة بقادرة إلا على بذل مجرد مساع دبلوماسية للحصول على تأييد دولى لهجرة يهودية واسعة إلى فلسطين،

الأمر الذى لم يكن يرقى إلى ما تحتاج إليه الحركة الصهيونية من جهود فى شتى المجالات. لذا كان مصير هذه القيادة الاخفاق وألا يبقى من جهودها إلا مجرد شعارات تتردد على الأروقة.

ولتلافى ذلك اتجه (حاييم وايزمان) بفكره وعمله إلى الشعب.. إلى أوساط الطلبة اليهود الذين تركوا روسيا طلبا للعلم فى جامعات الدول الغربية المختلفة وكان هؤلاء على اتصال بأعضاء (جماعة العصاة) الذين رفعوا راية العصيان ضد القيصر من أمثال نيكولاى لينين، وبيلخانوف، وتروتسكي.

إلا أن تعصب اليهود الروس- بوصفهم الحركة الصهيونية وفكرة العودة إلى فلسطين فى المقام الأول لتفكيرهم بدلا من مقاومة الحكم القيصرى فى روسيا- جعل كلا من لينين وتروتسكى يعرضان عنهم إذ كانا يعتقدان أنه على اليهود أن يعتبروا أنفسهم روسيين أولا قبل أن يكونوا يهودا فما كان من (وايزمان) إلا أن شكل لجنة يهودية ثورية تعمل للحركة الصهيونية ولمقاومة القيصر فى الوقت نفسه سماها (البوند) أى (الرابطة) وبدأ الشقاق يتعمق بين (جماعة العصاة) و(البوند) بمرور الزمن.

وفى الوقت نفسه لم يكن (وايزمان) راضياً عن الاتجاهات اليمينية لقيادة الحركة الصهيونية بزعامة (هرزل) فدفعه هذا إلى

تكوين (المنظمة الديمقراطية) من الشبان الصهاينة لمقاومتها كانت (المنظمة الديمقراطية) تؤمن بأن العقيدة اليهودية الغربية عقيدة مبتورة ينقصها الكثير من المبادئ اليهودية السليمة، التى كانت تتوافر لدى اليهودية الروسية بجذورها الضاربة بعمق فى تقاليد الشعب اليهودى ونفوسه. وكانت اليهودية الروسية هى العمود الفقرى للحركة الصهيونية وبالرغم من ذلك لم تكن ممثلة فى زعامة الحركة الصهيونية التى انفردت بها اليهودية الغربية ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ركزت القيادة الصهيونية على ضرورة ارسال اليهود الروس إلى فلسطين دون غيرهم للقيام بعمليات الاستيطان فكأن دور اليهود الروس والحالة هذه مقصور على أن يكونوا كوقود للحركة الصهيونية دون أن يسمح لهم بالاشتراك فى زعامة الحركة وقيادتها.

وتجلى الخلاف بأوسع معانيه بين اليهود الروسيين والغربيين فى المؤتمر السادس الصهيونى عام ١٩٠٣ حينما تلى (هرزل) رسالة من اللورد (لاندسداون) وزير الخارجية البريطانية يعرض فيها باسم حكومته أوغندة لاقامة اليهود متمتعين فيها بحكم ذاتي، ويصف (وايزمان) فى مذكراته تلك الجلسة فيقول: (كانت العادة فى المؤتمرات السابقة أن توضع خريطة فلسطين خلف مقعد الرئاسة أما هذه المرة فقد استبدلت بخريطة لمحمية أوغندة.

تكوين (المنظمة الديمقراطية) من الشبان الصهاينة لمقاومتها كانت (المنظمة الديمقراطية) تؤمن بأن العقيدة اليهودية الغربية عقيدة مبتورة ينقصها الكثير من المبادئ اليهودية السليمة، التى كانت تتوافر لدى اليهودية الروسية بجذورها الضاربة بعمق فى تقاليد الشعب اليهودى ونفوسه. وكانت اليهودية الروسية هى العمود الفقرى للحركة الصهيونية وبالرغم من ذلك لم تكن ممثلة فى زعامة الحركة الصهيونية التى انفردت بها اليهودية الغربية ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ركزت القيادة الصهيونية على ضرورة ارسال اليهود الروس إلى فلسطين دون غيرهم للقيام بعمليات الاستيطان فكأن دور اليهود الروس والحالة هذه مقصور على أن يكونوا كوقود للحركة الصهيونية دون أن يسمح لهم بالاشتراك فى زعامة الحركة وقيادتها.

وتجلى الخلاف بأوسع معانيه بين اليهود الروسيين والغربيين فى المؤتمر السادس الصهيونى عام ١٩٠٣ حينما تلى (هرزل) رسالة من اللورد (لاندسداون) وزير الخارجية البريطانية يعرض فيها باسم حكومته أوغندة لاقامة اليهود متمتعين فيها بحكم ذاتي، ويصف (وايزمان) فى مذكراته تلك الجلسة فيقول: (كانت العادة فى المؤتمرات السابقة أن توضع خريطة فلسطين خلف مقعد الرئاسة أما هذه المرة فقد استبدلت بخريطة لمحمية أوغندة.

فأثارنا هذا العمل وادخل الخوف والشك فى قلوبنا، وحينما خطب (هرتزل) عرض مشروع أوغندة كحل سريع لانقاذ اليهود من المذابح التى كان عليهم أن يواجهوها. لم يتنازل عن فلسطين كوطن قومى لليهود ولم يقترح على المؤتمر الموافقة على مشروع أوغندة بطريقة مباشرة ولكنه طالب بارسال لجنة لدراسة الحالة هناك وتقديم تقرير عن مدى صلاحيتها. لقد ملأ الحزن قلبى لمجرد عرض المشروع، فأوغندة لا تحقق حاجة اليهود. ولقد سبب الاقتراح انقساما خطيراً بين أعضاء المؤتمر، وعند تأجيل الجلسة الأولى صعدت فتاة إلى المنصة وبحركة عنيفة مزقت خريطة أوغندة التى علقت خلف مقعد الرئاسة بدلا من خريطة فلسطين لقد أحببنا (هرزل) واحترمناه ولكننا قاومناه داخل الحركة لأننا شعرنا أن الجماهير اليهودية كانت تحتاج إلى أمور أخرى غير الطريق الدبلوماسي. لم يكن يكفى القضية أن يقوم (هرزل) برحلتين أو أكثر حول العالم لمقابلة العظماء والقادة من أجلنا. نحن الذين نمثل الجماهير اليهودية ولنا الحق فى التحدث باسمها لأننا نفهم الصهيونية ونعمل من أجل تحقيق أهدافها).

كان اليهود الروس هم أكثر الأصوات معارضة للتخلى عن فلسطين برغم المذابح التى كانوا يتعرضون لها، وقد على (هرزل) على هذا الموقف قائلاً: (أعناقهم ملفوفة بالحبال ومع ذلك فهم

فأثارنا هذا العمل وادخل الخوف والشك فى قلوبنا، وحينما خطب (هرتزل) عرض مشروع أوغندة كحل سريع لانقاذ اليهود من المذابح التى كان عليهم أن يواجهوها. لم يتنازل عن فلسطين كوطن قومى لليهود ولم يقترح على المؤتمر الموافقة على مشروع أوغندة بطريقة مباشرة ولكنه طالب بارسال لجنة لدراسة الحالة هناك وتقديم تقرير عن مدى صلاحيتها. لقد ملأ الحزن قلبى لمجرد عرض المشروع، فأوغندة لا تحقق حاجة اليهود. ولقد سبب الاقتراح انقساما خطيراً بين أعضاء المؤتمر، وعند تأجيل الجلسة الأولى صعدت فتاة إلى المنصة وبحركة عنيفة مزقت خريطة أوغندة التى علقت خلف مقعد الرئاسة بدلا من خريطة فلسطين لقد أحببنا (هرزل) واحترمناه ولكننا قاومناه داخل الحركة لأننا شعرنا أن الجماهير اليهودية كانت تحتاج إلى أمور أخرى غير الطريق الدبلوماسي. لم يكن يكفى القضية أن يقوم (هرزل) برحلتين أو أكثر حول العالم لمقابلة العظماء والقادة من أجلنا. نحن الذين نمثل الجماهير اليهودية ولنا الحق فى التحدث باسمها لأننا نفهم الصهيونية ونعمل من أجل تحقيق أهدافها).

كان اليهود الروس هم أكثر الأصوات معارضة للتخلى عن فلسطين برغم المذابح التى كانوا يتعرضون لها، وقد على (هرزل) على هذا الموقف قائلاً: (أعناقهم ملفوفة بالحبال ومع ذلك فهم

يرفضون). وانسحب الأعضاء الروس من المؤتمر بعد أن أعلنوا أنهم لن يتنازلوا عن فلسطين، وكان (وايزمان) يقف بينهم خطيبا يثير حماستهم مشجعاً اياهم. وأخذ بعضهم ينتحب وبعضهم الآخر يجلس على الأرض فى ذهول، لدرجة أنه حينما حضر اليهم (هرزل) بنفسه ليهدئ من ثورتهم قابلوه بفتور ولم يقف أحد منهم احتراماً له.. حتى حينما تحدث لم يستمع إليه أحد. فغادر الاجتماع بالفتور نفسه الذى استقبل به وكان هذا هو آخر لقاء بين (هرتزل) و(وايزمان) اذ مات (هرزل) فى العام التالي.

وكان (وايزمان) محبذا مشروع سيناء معتقدا فى الوقت نفسه أن (هرزل) قد عالج الموضوع علاجا غير سليم فإن الخطأ الجسيم الذى وقع فيه أنه لم يركز أعمال اللجنة فى استعمار العريش وما حولها والتى يطلق عليها فى مذكراته جنوب فلسطين، بل توسعت اللجنة فى أبحاثها واستكشافاتها لتشمل سيناء كلها، لقد علمنى المؤتمر السادس أشياء كثيرة، فأفضل شيء تعلمته هو أننا لا يمكن أن نحصل على شيء عن طريق الخوف والذعر. فالذعر أيضاً هو الذى جلعه ينصرف عن مشروع استعمار العريش. إن أحداث هذا الؤتمر قد خلفتني وأنا أعانى أزمات نفسية حادة من عدم جدوى رئاسة الحركة الصهيونية فى شكلها القائم. إن الحركة الصهيونية، الآن على مفترق الطرق وأصبح من الواجب انقاذها وتوجيهها

الوجهة الصحيحة).

ولذلك أخذ (وايزمان) فى أثناء وجوده فى جنيف- حيث كان يقيم وقتئذ- يعمل على تقوية الجناح المتطرف للحركة الصهيونية، وكان أغلب أعضائه من اليهود الروس فانضم إليه كثير من الشبان وأصدر عدة صحف للدعوة للحركة الصهيونية، وأنشأ دارا للطباعة وكون لجنة مالية وأخرى لشئون الدعاية والتنظيم للحركة. كما أنشأ مكتبا سماه (مكتب الجامعة العبرية) ليشرف على تنفيذ اقامة جامعة عبرية بفلسطين تنفيذاً لقرارات المؤتمر الصهيونى الأول.

* * *

وفاة (هرتزل)

وبعد وفاة (هرتزل) نقل (وايزمان) محل اقامته من جنيف إلى لندن. وهناك بدأ صفحة جديدة.

كان الحال هناك مخالفاً تماماً للحال الذى عاش فيه فى سويسرا.

فقد شعر من أول لحظة أن يهود بريطانيا لا ينظرون إلى وجوده بينهم بارتياح. شعر بأنهم كانوا يرتابون فيه ويحذرون منه.. ذلك لأنه كان من أشد المعارضين لمشروع أوغندة الذى كانوا يتحمسون له ويعلقون عليه الآمال.

ووجد نفسه غريباً منعزلا فى ذلك المجتمع الجديد الذى انتقل إليه. وزاد من صعوبة موقفه سوء موقفه المالى الذى لم يكن يسمح له بكسر العزلة التى فرضت عليه أو إقامة علاقات اجتماعية مع الإنجليز سواء كانوا يهودا أم غير يهود. فآثر الانزواء عن الحياة العامة والتفرغ لدراسة الكيمياء.

وكانت مانشستر هى المركز الرئيسى لصناعة الكيمياء وبها

جامعتها الشهيرة فقرر السفر إلى هناك.

وانتقل فعلا إلى مانشستر وكان عمره لم يتجاوز الثلاثين عاماً. وهناك قسم وقته بين العمل فى المصانع والتدريس فى الجامعة التى أصبح أستاذاً مساعداً بها. فزادت شهرته العلمية وتحسنت موارده المالية فأخذ يفكر جدياً فى العودة إلى الحياة العامة وإلى نشاطه الصهيونى القديم.

فأخذ يتصل بيهود مانشستر وتمكن من اقناع الكثيرين منهم بوجهة نظره وما لبثت نظرة اليهود إليه أن تغيرت ولم يصبح ذلك الشخص المكروه الذى يحارب أمانيهم. وبعد فترة وجيزة أصبحت مانشستر مركزاً قوياً من مراكز الصهيونية وأضحى (وايزمان) من أكبر زعماء الحركة فى بريطانيا بالإضافة إلى مركزه المرموق فى الحركة الصهيونية فى روسيا وسويسرا.

وقد حدث فى أوائل عام ١٩٠٦ أن تقرر إجراء انتخابات عامة فى بريطانيا ورشح (بلفور) نفسه عن دائرة شمال مانشستر وكان (بلفور) أحد الساسة الذين يتحمسون لمشروع أوغندة كحل للقضية اليهودية فصمم (وايزمان) على مقابلته.

وتمت أولى المقابلات بينهما وكانت سببا فى توضيد العلاقة بينهما والتى انتهت بصدور وعد (بلفور) عام ١٩١٧ ويحسن بنا أن

نقل جزءاً من الحوار الذى تم بينهما فى هذه المقابلة:

بلفور: لماذا يعارض بعض اليهود مشروع أوغندة؟ إن الحكومة البريطانية صادقة فى عرضها وتعتقد أنه سيساهم فى التخفيف من آلام اليهود وما يعانونه من اضطهاد. إنه مشروع عملى لا ينبغى لأى فرد معارضته.

وايزمان: ان الأمر الذى يجمع عليه اليهود كأساس لحركتهم هو فلسطين ولا شيء غيرها لو أن موسى نفسه جاء يدعو لغيرها ما تبعه أحد ويعتقد اليهود أن استبدال فلسطين بأية بقعة من الأرض مهما كانت نوع من أنواع الكفر. فأساس التاريخ اليهودى هو فلسطين. وسيأتى اليوم الذى سننجح فيه فى استعادة بلادنا. فهذا أمر لا شك فيه.

بلفور: ولكن مشروع أوغندة يخفف عنكم ما تعانونه من آلام.

وايزمان: اننى أعلم نبل مشاعركم حينما قدمتهم لنا أوغندة ولكننى واثق أن الشعب اليهودى لن يتحمس لغير فلسطين ولن يهب الأموال لغير فلسطين بغض النظر عن صلاحية مشروع أوغندة أو عدم صلاحيته لسكناهم. ولنفرض أنه فى امكانى تقديم باريس لكم بدلا من لندن.. فهل كنتم تقبلون؟

بلفور: ولكن لندن فى أيدينا.

وايزمان: هذا صحيح. ولكن أورشليم كانت لنا عندما كانت لندن مستنقعا من المستنقعات.

بلفور: هل هناك يهود كثيرون يفكرون بمثل تفكيرك؟

وايزمان: نعم، فأنا اتحدث معبراً عن مشاعر الملايين منهم.

بلفور: إذا كان ذلك صحيحاً فإنكم ستصبحون قوة فى يوم ما غريب جداً أن اليهود الذين أقابلهم يختلفون تماماً عنك.

وايزمان: لعلك لا تقابل إلا يهودا من النوع الردئ.

ويعلق وايزمان على المقابلة (لقد تعلمت أمرين: الأول أن رجلا مثل بلفور لا يدرى حقيقة الصهيونية على الرغم من الدعاية التى نقوم بها منذ سنوات فى بريطانيا، والثانى أنه لو وجد فى بريطانيا من يعرف المشكلة اليهودية على وجهها الصحيح لأمكننا كسب عطف السلطات البريطانية بل مساعدتها لقضيتنا).

وفى العام التالى عام ١٩٠٧ حضر (وايزمان) المؤتمر الصينوين السابع وكانت الحركة الصهيونية بعد مشروع أوغندة قد انقسمت إلى قسمين: الصهيونية السياسية والصهيونية العلمية. فكان أنصار الصهيونية السياسية ينادون بضرورة الحصول على تصريح من السلطان العثمانى قبل التفكير فى العودة إلى فلسطين أما أنصار

الصهيونية العلمية فكانوا يعتقدون أنه مع ايمانهم بضرورة العمل السياسى فإن الضرورة تقضى بالاهتمام بالناحية الروحية واحياء اللغة العبرية وفوق كل ذلك بخلق واقع صهيونى فى فلسطين.

وكان (وايزمان) زعيما لأصحاب الصهيونية العلمية إلا أنه أراد أن يوحد بين الاتجاهين فى هذا المؤتمر فخطب يقول (إذا أمكنا التنسيق بين المذهبين فسنصل إلى أهدافنا بسرعة. اننى أرفض وضع العراقيل واثارة الصعوبات التى تقوم بها الحكومة التركية لتحول بيننا وبين أهدافنا ومع ذلك فليست السلطات التركية وحدها هى المسئولة عن عدم قيامنا بالعمل فى فلسطين إذ أن المسئولية تقع على أكتافنا أيضاً فهناك كثير من الطرق التى يجب اتباعها وليكن معلوما أننا إذا حصلنا على التعهد الذى نسعى إليه من السلطات العثمانية فلن يكون إلا قصاصة ورق إلا إذا اعتمد على عمل نقوم به فوق أراضى فلسطين، ولا شك أن الشعب اليهودى قادر على ذلك. إن مصلحة القضية تقضى بأن تبقى قائمة من الناحية السياسية فى المحافل الدولية ولكن الأهم من ذلك هو الإنشاء والتهجير والاستعمار).

وكان بعض اليهود قد تحدوا (وايزمان) أن يسافر إلى فلسطين بنفسه بدلا من الجهاد على المنابر، ونتيجة لذلك سافر إلى فلسطين

لأول مرة عام ١٩٠٧ بعد انتهاء المؤتمر السابع، وأصيب بخيبة أمل من حالة المستعمرات الصهيونية التى كانت تحت سيطرة البارون روتشيلد لاعتمادها بصفة تامة على المساعدات المالية التى كان يمولها بها. وكان من نتيجة هذا التواكل أن فقد سكان المستعمرات روح التوثب والمثابرة والتوسع وبناء الدولة، بل فقدوا حتى الرغبة فى العمل وأصبح الشباب يغادرون المستعمرات إلى المدن، بل أخذ بعضهم يعود إلى بلادهم الاصلية تاركين فلسطين إلى الابد. كل ذلك نتيجة للاسلوب البيروقراطى للبارون روتشيلد.

وحينما عاد إلى بريطانيا كلف بالذهاب إلى برلين لرئاسة الحركة الصهيونية بألمانيا إلا أنه رفض ذلك (حيث أن طريقتنا إلى فلسطين لن يكون عن طريق برلين).

وبقى فى بريطانيا.. وما لبث أن حصل على الجنسية البريطانية.

واندلعت نيران الحرب العالمية الأولي.

وتوقع (وايزمان) انتشارها فى منطقة الشرق الأوسط.

وأن حدث هذا لابد للصهيونية من الاستفادة من هذا الموقف لحل قضيتها.

وكان (وايزمان) قد تعرف بالمستر (سكوت) محرر المانشستر

جارديان الذى كان يميل إلى اليهود. فأراد (وايزمان) أن يستغله فى الوصول إلى بعض المسئولين البريطانيين، فكتب إليه يقول: (ماذا لو تصورنا أن فلسطين بعد أن تنتهى الحرب تصبح منطقة نفوذ بريطانية؟ وماذا لو تصورنا أنه إن حدث ذلك فإن الحكومة البريطانية سوف توافق عندئذ على تشجيع هجرة اليهود إليها؟ فى هذه الحالة يمكن توطين مليون يهودى هناك خلال عشرين أو ثلاثين عاماً.. يزرعون الأرض وينشرون المدنية فى ربوعها ويشكلون حراسة عملية لقناة السويس).

ولم يمض وقت طويل على هذا الخطاب إلا وكان (سكوت) قد دبر له مقابلة مع كل من (لويد جورج) وزير المالية وسير (هربورت صمويل) ووعد الأخير بأن يتقدم بمذكرة بأفكار (وايزمان) إلى المستر (اسكويث) رئيس وزراء بريطانيا يقترح فيها إنشاء دولة يهودية فى فلسطين.

وفى الوقت نفسه اجتمع (وايزمان) بصديقه القديم (بلفور) وزير الحربية حينئذ وحدثه عن أفكاره، وفى نهاية المقابلة قال له (بلفور): (إننى أعتقد أنه حالما تتوقف البنادق والمدافع عن اطلاق نيرانها فإنكم ستسترجعون قدسكم).

ومنذ ذلك الوقت تعددت الاجتماعات بين (وايزمان) و(بلفور).

وكانت وزارة الحربية قد طلبت من العلماء عند نشوب الحرب

أن يتقدموا إليها بما لديهم من اختراعات فتقدم (وايزمان) ضمن من تقدموا ببحث عن تخمير بعض المواد يفيد فى التغلب على بعض نواحى المشكلة الغذائية، وما لبثت وزارة الحربية أن استدعته ليعمل بها. وكلف بتحضير مادة الآسيتون لاستعمالها فى تحسين قذائف الاسطول. وكان الأمر من الأهمية بالنسبة للاسطول لدرجة أن (ونستون تشرشل) وزير البحرية استدعى (وايزمان) لمقابلته مقابلة خاصة وأعطاه كافة الامكانيات ومطلق الحرية لتنفيذ ما كلف به.

وتجح (وايزمان) فى تحضير ما طلب منه فعهدت إليه وزارة الحربية بأعمال أخرى انتهت بنجاح. ورفض أن يتقاضى مكافأة مغرية من المال عرضت عليه نظير خدماته مكتفياً بمرتبه الشهرى الذى كان يتقاضاه من وزارة الحربية وفى نهاية الحرب باع (وايزمان) امتيازات اختراعاته فى مقابل مبالغ كبيرة أمنت له موردا دائماً من المال. كما قبل مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه استرلينى من الحكومة البريطانية فى نهاية خدمته بها.

ولكنه لم ينس فى يوم من الأيام القضية اليهودية بالرغم من مشاغله العلمية بل كان يعد العدة لخطوة كبيرة بالحصول على وعد بلفور.

كان الاتحاد الصهيونى البريطانى قد أصدر كتابا عن الصهيونية قدم له (وايزمان) فى صفحاته الأولى وانتشر الكتاب وتداولته

الأيدي، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الدعاية العريضة التى عملت له علاوة على ما كتبه عنه اللورد (كرومر) فى مجلة (سبكتاتور) منوهاً اياه. وعلاوة على ذلك أخذ يراسل رؤساء الأحزاب البريطانية ويكتب لرجال الحكومة البريطانية والصحافة والذين عارضا لهم القضية اليهودية.

وكان (وايزمان) بحكم عمله فى وزارة الحربية البريطانية- قد وطد صداقته مع كثير من المسئولين البريطانيين ممن كانوا يشغلون أخطر المراكز الحساسة، وكان دائم الاجتماع بهم لاقناعهم بوجهة نظره.

وحينما أصبح الجو مهيئا تقدم فى يناير ١٩١٧ بمذكرة إلى السير (مارك سايكس) السكرتير العام لوزارة الحرب- وهى المذكرة الرسمية الأولى المقدمة للحكومة البريطانية- شارحاً فيها أهداف الصهيونية فى فلسطين، وقد تضمنت المذكرة عدة نقاط كانت فى مجملها الأساس الذى بنى عليه وعد بلفور وصك الانتداب البريطانى على فلسطين فيما بعد.

وفى ١٩١٧/٣/٢٢ خلف (بلفور) السير (ادوارد جراي) فى وزارة الخارجية البريطانية وتحدث (بلفور) إلى (وايزمان) عن مخاوفه من اعتراض فرنسا على ما كان تدبر فى الخفاء مقترحاً وضع فلسطين تحت الحماية المشتركة لكل من بريطانيا والولايات

المتحدة الأمريكية فى حالة عدم التوصل إلى تفاهم مع فرنسا إلا أن (وايزمان) اعترض على ذلك بشدة لأنه كان يريد أن يتعامل مع سيد واحد.

وفى ذلك الوقت حدثت قصة لها دلالات واضحة لا تحتاج إلى تعليق..

كانت تركيا قد تلقت عدداً من الضربات جعلتها تترنح وأوشكت على السقوط كانت الأمبراطورية العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة ونبتت فكرة لدى المستر (هنرى مورجانتو) السفير السابق للولايات المتحدة فى استنبول ملخصها أنه بالامكان استغلال الحالة التى وصلت إليها تركيا لاقناعها بالتخلى عن ألمانيا والخروج من الحرب. وعرض (مورجانتو) فكرته على الرئيس ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فلاقت هوى فى نفسه وكلف (مورجانتو) بالسفر إلى جبل طارق لبدء اتصالاته مع الاتراك لتنفيذ فكرته.

واتصل (ويلسون) بكل من حليفتيه بريطانيا وفرنسا وأبلغهما تفاصيل المشروع وبموافقته عليه، كما طلب ارسال ممثليهم للانضمام إلى لجنة (مورجانتو) فى جبل طارق على أن تحاط أعمال اللجنة المشتركة بستار كثيف من السرية.

أول رئيس لإسرائيل التجربة والخطأ

وكان نجاح هذه اللجنة فى مهمتها يعتبر ضربة قاصمة لآمال الصهيونية فى فلسطين ولكل ما بذله (وايزمان) من جهد وتخطيط. إذا كان الفكر السائد فى كل من واشنطن وباريس أنه فى حالة نجاح (مورجانتو) فى مهمته فإن تركيا ستحتفظ بجزء من امبراطوريتها ومن ضمنها فلسطين كثمن لخروجها من الحرب، وكانت تركيا تعارض على الدوام أى وجود صهيونى هناك.

ولم يكن (وايزمان) على علم بما يدور من وراء الستار إلا أن رسالة سرية غامضة وصلته من وشنطن فى يونيو ١٩١٧ أرسلها إليه القاضى اليهودى (برنديس) رئيس المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية يطلب منه السفر فوراً للاتصال بلجنة أمريكية فى طريقها إلى الشرق وفى جيبها مشروع خطير.

وكان كل شيء غامضاً أمام (وايزمان) فبدأ فى اتصالات واسعة للوقوف على ما يجرى ولتفسير ما ورد فى رسالة (برنديس) الغامضة. وعندما اتصل (وايزمان) (بيلفور) وزير الخارجية البريطانية أخبره فى الحال بواجب اللجنة وتفاصيل الاتصالات التى دارت بخصوصها مضيفاً أن بريطانيا لا ترحب بالمشروع، وأنها تود من صميم قلبها أحباط أعمال اللجنة وابجارها على قطع مهمتها والعودة ثانية من حيث أتت.

واتفق (بلفور) مع (وايزمان) على أن يعينه ممثلاً لبريطانيا فى اللجنة!! وحينئذ يمكن (لوايزمان) أن يحبط أعمالها. وسارع (بلفور) بتزويد (وايزمان) بأوراق الاعتماد اللازمة.

وسافر (وايزمان) مندوب بريطانيا فى اللجنة إلى جبل طارق فى انتظار وصولها.

وبدأ أعضاء الوفود فى الوصول.

وصل (الكولونيل ويل) مندوب فرنسا فى اللجنة.

ووصل (مورجانتو) رئيس الوفد الأمريكى ومعه عضوان هما البروفيسور (فيلكس فوانكفورتر) مساعد وزير الخارجية الأمريكية وقتئذ والمستر (لوبى أبشتاين) وهو صهيونى قديم.

فكان (مورجانتو) والحالة هذه رئيساً لوفد أمريكى أعضاؤه من اليهود فى خدمة أهداف الصهيونية.

وتمكن (وايزمان) بمساعدة عضوى الوفد الأمريكى من اقناع (مورجانتو) بصعوبة المهمة التى يسعى إلى تحقيقها، وبأن تركيا لن توافق على قبول صلح منفرد. فاقتنع (مورجانتو). ويعلق (وايزمان) فى مذاكراته قائلاً: (وسألت (فيلكس فرانكفورتر) كيف قبل عضوية مثل هذه اللجنة التى لو نجحت فى مهمتها لقضت على

آمالهم التى يسعون لتحقيقها؟! فذكر لى ((فرانكفورتر) أنه قبلها خصيصا ليتمكن من مراقبة الأمور عن كثب!! وبعد يومين عاد (مورجانتو) من حيث أتي).

وبذلك أخفقت مأمورية (مورجانتو)!!

مأمورية كانت فى الأصل تهدف تحقيق مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وإلا ما كان من المعقول أن يوافق عليها الرئيس ويلسون!!

فيفشى أسرارها القاضى (برنديس) الأمريكى مفضلاً صالح الصهيونية على صالح بلاده.

ويتآمر فيها وزير الخارجية البريطانية ضد صالح الحلفاء مفضلاً صالح الصهيونية على كل شيء!!.

وبعد أن نجح (وايزمان) فى تحطيم مهمة (مورجانتو) كتب مذكرة رسمية إلى الحكومة البريطانية يطالبها فيها بالثمن. وكان الثمن الذى يطلبه هو اصدار الحكومة البريطانية تصريحاً بشأن الوطن القومى لليهود مشيراً إلى الجهود التى بذلها لاحباط مشروع (مورجانتو).

وأسرع لمقابلة (بلفور) فوعده خيرا وطلب منه أن يعد له

مشروعا للتصريح الذى يطلبه والذى سيتولى عرضه على وزارة الحربية باذلا كل ما فى طاقته من وسائل للضغط عليها حتى تقبل أصدار التصريح!!.

وفى ١٨/٧/١٩١٧ تقدم (وايزمان) بمشروع التصريح الذى طلبه منه (بلفور) وكان المشروع يتضمن اعتراف الحكومة البريطانية بمبدأ جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود مع أعطائهم الحكم الذاتى (تحت الحماية البريطانية).

وفى الوقت نفسه كتب (وايزمان) إلى (فراكفورتر) فى الولايات المتحدة الأمريكية يخطره فيه بتقديمه المشروع وعن تأييد (لويد جورج) له ويطلب منه بذل جهوده للحصول على تأييد يهود أمريكا لهذه الخطوة وتدخلهم لدى السلطات الأمريكية للحصول على تأييدها، وفعلاً أرسل (ويلسون) برقية تأييد الحكومة الأمريكية للمشروع.

ثم أخذ فى مقابلة المسئولين البريطانيين لاقناعهم بالموافقة على اصدار التصريح، وكان من بين من قابلهم (لويد جورج) رئيس الوزراء البريطانى والجنرال (سمطس) عضو وزارة الحربية.

كما قام بحملة واسعة للدعاية للمشروع.

وأخيراً وافقت وزارة الحربية على هيكل المشروع الذى كان

يختلف عن المشروع الذى قدمه (وايزمان) إذ كان ينص على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين على حين كان مشروع (وايزمان) ينص على جعل فلسطين وطنا قومياً لليهود. كما نص المشروع على احترام الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين.

وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ صدر وعد (بلفور) ونصه: (إن حكومة جلالة ملك بريطانيا تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على ألا يؤثر ذلك على الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين).

ويكتب (وايزمان) فى مذكراته: (بينما كانت وزارة الحربية مجتمعة لتقرير النص النهائى للتصريح كنت أنتظر قرارها فى إحدى حجرات الوزارة فجاءنى (السير ماركس سايكس) بالوثيقة التاريخية وهو يقول بسرور: يا دكتور (وايزمان) إنه مولود ذكر. ولكنى لم أحب هذا المولود لأول وهلة لأنه لم يكن المولود الذى أردناه لكننى كنت أعلم أن هذا الذى حدث هو شيء عظيم فى تاريخنا).

وصرح (بلفور) بعد ذلك: (ان هذا أعظم عمل قمت به فى حياتي).

وصرح الرئيس ويلسون: (انى مقتنع بأن هدف الحلفاء هو وضع الأساس لإقامة دولة يهودية فى فلسطين).

وهكذا كان (وايزمان) هو صاحب الفضل الوحيد فى صدور التصريح المشئوم.

* * *

وقررت الحكومة البريطانية ارسال وفد صهيونى إلى فلسطين لدراسة الأوضاع على الطبيعة على ضوء تصريح (بلفور) وسافرت البعثة برئاسة (وايزمان) فى أوائل عام ١٩١٨ وقد قابل (وايزمان) (اللنبي) الذى قابله بفتور إذ كان يخشى من تفجر شعور العرب فى أى وقت مما يسبب له متاعب هو فى غنى عنها وحاول (وايزمان) أن يطمئن (اللنبي) من جانب وأن يحسن العلاقة بين اليهود والبريطانيين من جانب آخر.

ونصح (اللنبي) بأن تقوم البعثة الصهيونية بزيارة الأمير فيصل ابن الشريف حسين أمير مكة والذى كان يتولى قيادة الجيش العربى وقتئذ، وسافرت البعثة إلى عمان وقابلها فيصل بحضور (لورانس). وقد بارك الأمير فيصل مجهودات (وايزمان)، ويذكر الأخير فى مذكراته: (ووضعت هذه المقابلة أساس صداقة استمرت بيننا مدى الحياة، وقابلت الأمير بعد ذلك مراراً فى أوروبا. وقد انتهت مباحثاتنا إلى عقد اتفاق كتبه (لورانس) ووقعه كل منا وهكذا فإن زعيم العالم العربى قد توصل إلى تفاهم معنا).

وبعد انتهاء الحرب انهمك (وايزمان) فى الاعداد لعرض القضية اليهودية على مؤتمر الصلح فى باريس، وتقدم بمذكرة إلى المؤتمر يوم ١٩١٩/٢/٢٣ وكانت كل الصحافة الفرنسية تروج وتدعو إلى القضية اليهودية إلا أن جريدة (الماتان) نشرت حديثا للأمير فيصل يندد فيه بالمطالب اليهودية مما أقلق (وايزمان) أشد القلق، ولكن سرعان ما اتصل سكرتير الأمير فيصل به تليفونيا لينفى صدور هذا الحديث عن الأمير.

وتم عقد عدة اجتماعات بين فيصل وفرانكفورتر الصهيونى وعضو الوفد الأمريكى إلى مؤتمر الصلح، دارت فيها عدة مباحثات أرسل فيصل بعدها رسالة إلى فرانكفورتر فى ١٩١٩/٣/٣ فيما يلى نص ما جاء فيها:

(نحن العرب ولاسيما المثقفين منا ننظر إلى الحركة الصهيونية بعطف عميق، وأن وفدنا فى باريس على علم بالمقترحات المعقولة التى قدمتها الجمعية الصهيونية لمؤتمر السلام، وسوف نبذل جهدنا للمساعدة فى اقرارها وسوف نرحب باليهود الذين سيفدون إلى البلاد. وكانت لنا ولا تزال أوثق العلاقات مع زعماء حركتكم وبخاصة الدكتور وايزمان الذى مد يد المساعدة لقضيتنا، وسيكون فى استطاعة العرب قريباً أن يقدموا لليهود مقابلا للطفهم. إننا نعمل

معا لبعث الشرق الأدنى وتقدمه، وان حركتنا مكملة لحركتكم فلن تنجح إحدى الحركتين دون مساعدة الأخرى. ويوجد فى سوريا مكان للشعبين. إن بعض الأشخاص ممن ليسوا على دراية بحقيقة الأمور يتجاهلون أهمية التعاون بين العرب والصهيونية، ويسعون لاستغلال الخلافات المحلية التى لابد أن تنشأ فى فلسطين فى المراحل الأولى. وإنى أخشى أن يكون بعضهم قد نجح فى تشويه أهدافكم أمام الفلاحين العرب، وبالمثل شوهوا أهدافنا أمام الفلاحين اليهود مما أدى بهم إلى استغلال ما سموه بالخلافات التى بيننا واننى أود أن أؤكد لكم إيمانى العميق بأن تلك الخلافات لم تكن على المبدأ انما هى خلافات تتعلق ببعض التفاصيل التى لا شك عندى أننا واصلون إلى حل لها بحسن النية المتبادلة بيننا. إننى وشعبى معى نتطلع إلى الأمام، إلى مستقبل نتبادل فيه المساعدة حتى نعيد إلى تلك البلاد مركزها بين مجموعة الشعوب المتمدنة).

وحينما يقرأ المرء ذلك لا يصدق أن عربيا يقدم على مثل هذا التصرف مهما كانت الدوافع إليه!.

وكان لابد من عرض قرار الانتداب البريطانى على مؤتمر (سان ريمو) وكانت الاضطرابات التى قام بها العرب فى فلسطين ضد محاولات الصهيونية قد بدأت تحدث تأثيرها، وخشى (وايزمان)

أن يكون ذلك مدعاة لتردد الحكومة البريطانية عن تنفيذ قراراتها إلا أن (بلفور) أكد له أن الاضطرابات لن تؤثر فى السياسة البريطانية الموضوعة. وأخيراً أقر المؤتمر اعطاء بريطانيا حق الانتداب على فلسطين. وعندما انتهى المؤتمر إلى قراره ذهب (لويد جورج) إلى (وايزمان) ليهنئه قائلاً: (أصبح لديكم الآن فرصة عظيمة ولم يعد لديكم وقت لتضيعوه.. فبادروا إلى العمل).

وظل (وايزمان) قلقا بعد مؤتمر (سان ريمو) إذ كان لابد من تصديق عصبة الأمم على قرار الانتداب، وبذلك اليهود جهدا ضخماً حتى صدقت عصبة الأمم على القرار فى يوليو (تموز ١٩٢٢) بالرغم من الآتي:

* ما قام به الوفد العربى برئاسة موسى كاظم من معارضة جدية وإثارة كافة الصعوبات للحيلولة دون ذلك.

* نشر تقرير (هيوكرافت) فى نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٢١ وهو تقرير اللجنة القضائية التى حققت أسباب الاضطرابات العربية التى حدثت فى فلسطين فى مايو (أيار) ١٩٢١، إذ جاء فى التقرير أن العرب مستاءون من سياسة بريطانيا. وأن الصهاينة يريدون السيطرة على فلسطين.

* الحملة التى قامت بها صحف اللورد (نورثكليف) مثل (

الديلى ميل) و(الايفننج نيوز) والتى كانت تطالب بالغاء وعد (بلفور). ذلك أن اللورد (نورثكليف) ذهب لزيارة فلسطين ليرى الوضع بنفسه على الطبيعة أثر قيام الاضطرابات هناك، وحينما عاد إلى لندن شن حملة قاسية اتهم فيها اليهود بنواياهم الاستعمارية ومحاولتهم السيطرة على فلسطين، وعين المستر (فيليب جريفز) مراسلا لصحفة فى القدس فأخذ هذا ينشر مقالات يهاجم فيها الصهيونية، وفى اجتماع بين (نورثكليف- وايزمان) ذكر له الأول: ان الصهيونية تشكل خطراً على الامبراطورية، وفى الوقت نفسه فإنه ليس من الصواب اغضاب خمسين مليون مسلم من أجل ارضاء خمسين ألف يهودى يستقرون فى فلسطين.

* الحملة التى قامت بها صحف اللورد (بيفر بروك) والتى طالبت تخصيص نفقات الاحتلال البريطانى لفلسطين إذ لا فائدة من هذه النفقات سوى تمكين اليهود الأوروبيين من فرض ظلمهم على العرب الفلسطينيين واخراجهم من ديارهم.

* مقاومة بعض أعضاء مجلس اللوردات ومجلس العموم لمشروع (روتنبرج) لاستغلال مياه نهر الأردن فى توليد الكهرباء والذى بدئ فى انشائه عام ١٩٢١ . كذا مطالبتهم بالغاء وعد بلفور، وقد أيد مجلس اللوردات وقتئذ الغاء وعد بلفور بأكثرية ضئيلة إلا

أن مجلس العموم أيد صدور التصريح.

* عدم تأييد السلطات الرسمية الإيطالية والفرنسية للحركة الصهيونية واعتبارها أداة للاستعمار البريطاني.

وبالرغم من ذلك ووفق على صك الانتداب وأخذ وعد بلفور طريقه إلى التنفيذ.

* * *

هجرة اليهود إلى فلسطين

وأخذت هجرة اليهود إلى فلسطين تنمو وتزداد.

وحينئذ نشأ خلاف بين أصحاب فكرة (القرية والأرض) وأصحاب فكرة (المدينة والصناعة).

ولم يبرز هذا الخلاف بشكل جدى إلا حينما تضاعف عدد المهاجرين من أصحاب رؤوس الأموال المتوسطة (ألفين وخمسمائة دولار فأكثر) إذ فضل هؤلاء الإقامة فى المدن على الإقامة فى القرى والمستعمرات، فلم يكن أغلبهم يهتم بالحركة الصهيونية قدر اهتمامه بتحقيق الربح من وراء الصناعات التى أخذوا فى إنشائها.

وكان (الربح السريع) الذى حققه هؤلاء مغريا للفئات الأخرى ليحذوا حذوهم، وانتشرت عدوى تحقيق (الربح السريع) بين اليهود فى مختلف المجالات مما كان يهدد فكرة الاستيطان، بل بدأت عمليات المتاجرة فى الأراضى الزراعية نفسها عن طريق

البيع والشراء والتأجير.

وهنا تدخل (وايزمان) ليقاوم هذه الاتجاهات التى اعتبرها تهدد استعمارهم فلسطين تهديداً خطيراً وقرر ملكية معظم الأراضى لصندوق المال القومى (الكيرن كايمت) وبذلك أصبحت الأراضى وقفاً على الشعب اليهودى لا يجوز بيعها أو تأجيرها لغير اليهود.

وبدأ يواجه مشكلة تكوين الوكالة اليهودية التى نص عليها صك الانتداب. إذ نصت المادة الرابعة منه على (اقامة وكالة يهودية معترف بها لتقديم النصح للإدارة البريطانية، والتعاون معها فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فيما يتعلق بتأسيس الوطن القومى اليهودي، مع اعتبار الجمعية الصهيونية القائمة هى الوكالة اليهودية حتى يتم تشكيلها)، وأخذ (وايزمان) يبذل جهده لتشكيل الوكالة اليهودية واضعا أمام نظره ضرورة اشراك اليهود الأمريكيين فيها للحصول على أموالهم لخدمة اقامة الوطن القومى فى فلسطين بدلا من انفاق تلك الأموال فى اسعاف يهود أوروبا ونجدتهم ولم يكن أمامه إلا سبيلان لتكوين الوكالة اليهودية: السبيل الأول هو الدعوة لعقد مؤتمر يهودى عالمى لانتخاب أعضاء الوكالة، والسبيل الثانى هو عقد اجتماع للمنظمات اليهودية العالمية القائمة فعلا لتشكيل الوكالة عن طريق الانتخاب واختار

(وايزمان) السبيل الثانى وتم تشكيل الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩، وبذلك أمكنه توحيد جهود اليهود فى العالم وأصبحت الوكالة اليهودية تمارس أعمالها باسم اليهودية العالمية.

ومن أهم الأعمال التى قام بها (وايزمان) فى ذلك الوقت هو اقامته للجامعة العبرية، إذ كان قد اشترى قطعة أرض لهذا الغرض على جبل (سكوبس) فى أثناء الحرب العالمية الأولي، وبدأ فى انشاء مكتبة عليها أخذت تتسع بمرور الأيام ثم تبع ذلك إنشاء معهد للدراسات الشرقية، وبدأت الجامعة تتسع شيئاً فشيئاً ثم نجح فى تكوين مجلس خاص يشرف على إدارتها، وفى عام ١٩٢٥ افتتحت الجامعة رسميا ودعى لحضور حفلة الافتتاح كثير من الوفود، وكان على رأس الحاضرين اللورد (بلفور) الذى ألقى خطاب الافتتاح.

وكان عليه أن يواجه أكبر مشكلة أفقدته منصبه كرئيس للمنظمة الصهيونية العالمية.

هال العرب ما رأوه من إصرار على الاستيلاء على بلادهم، وهالهم ذلك العدد الضخم من المهاجرين اليهود الذين بدأوا يفدون على البلاد.. وهالهم إنشاء الوكالة اليهودية لتصبح دولة داخل الدولة.. وأخذوا يقاومون هذا الخطر بقوة السلاح، وكان للاضطرابات التى قامت وقتئذ أثرها على الحكومة البريطانية

فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٩٣٠ بوقف الهجرة إلى فلسطين. وقد اعتبر اليهود هذا الكتاب بمثابة تراجع من بريطانيا عما تعهدت به لهم إلا أن (وايزمان) تمكن باتصالاته الهادئة من الحصول على رسالة من (رمزى ماكدونالد) رئيس الوزراء البريطانى يسمح فيه بهجرة يهودية قدرها أربعون ألفا عام ١٩٣٤ واثنان وستون ألفا عام ١٩٣٥. وحينما حصل (وايزمان) على هذا الخطاب أعلن موافقته على الكتاب الأبيض البريطانى.

وأثار ذلك أزمة كبرى فى المؤتمر الصهيونى الذى عقد عام ١٩٣١ فهاجمه كثير من الأعضاء إذ اعتبروا أن أى تنازل عن اقامة دولة يهودية على ضفتى نهر الأردن خيانة وجبنا. وصمم الأعضاء على ضرورة طرح برنامج محدد للحركة الصهيونية يلتزم به الجميع خوفاً من أية تنازلات فى المستقبل.

وعارض (وايزمان) هذه الاتجاهات.. عارض تضييع الوقت فى مناقشة خططها ومواثيق الحركة الصهيونية إذ إن العمل وحده فوق أرض فلسطين هو الذى يعطى العمل الصهيونى قوته أما الوثائق والمواثيق والخطط فهى أمر ضار بالحركة الصهيونية سوف يؤلب عليها الأصدقاء والأعداء على حد سواء.

وبالرغم من دفاعه عن آرائه فإن غالبية الأعضاء كانت فى

الجانب الآخر، وحينما حان وقت الانتخابات سقط (وايزمان) وانتخب المؤتمر (سوكولوف) للرئاسة.

وبذلك عاد الرجل ثانية إلى معمله وتجاربه.. واختار (راحابوت) مكانا ومسكنا. حيث أشرف على معمله الكبير هناك.

وظل هكذا إلى أن عاد عام ١٩٣٥ م رئيساً للمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية من جديد.

* * *

وفى خلال الحرب العالمية الثانية اختير مستشاراً كيماويا فخريا لوزارة التموين البريطانية التى كان يرأسها (هربرت موريسون)، وخصص لـ(وايزمان) معملاً يجرى فيه أبحاثه وتجاربه التى كان قد بدأها فى (راحابوت) عن إنتاج البنزين الصناعى عن طريق التقطير، وعن عمليات التخمير واستخراج الكحول والمطاط الصناعي.

وفى أوائل عام ١٩٢٤ م دعته الحكومة الأمريكية ليقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال تجاربه عن إنتاج المطاط الصناعي.

وقبل مغادرته بريطانيا قابل (ونستون تشرشل) رئيس الوزراء ليودعه فعبر له هذا عن تمنياته له بالتوفيق ثم أضاف (يدور فى خلدى خطة لابد من تنفيذها بعد انتهاء الحرب. إذ أود أن أرى عبدالعزيز

آل سعود وقد أصبح سيدا على المشرق العربى بشرط ألا يعارض أهدافه وسنكون حينئذ إلى جانبك نشد أزرك. أرجو أن يبقى هذا الموضوع سرا بيننا. ويمكنك أن تتحدث فقط مع (روزفلت) عند مقابلتك اياه. فما من موضوع يستحيل تنفيذه إذا اتفق كلانا عليه).

ويقول (وايزمان) فى مذكراته تعليقاً على ذلك: (لقد عقدت الدهشة لسانى مما قاله (تشرشل) وكدت أفقد رشدى وعاد إلى ذاكرتى حديث تم بينى وبين (سان جون فيلبي) الرحالة الشهير فى الجزيرة العربية. كان ذلك منذ عدة أشهر حينما قال لى إن هناك أمرين حيويين لحل قضيتكم: الأمر الأول هو مصارحة (تشرشل) و(روزفلت) لابن سعود بأنهما يؤيدان تنفيذ خططكم، والأمر الثاني: تأييدهما لابن سعود ليفرض سيادته على البلاد العربية مع تقديم قرض له ليتمكن من تنمية بلاده. ويمكننى الآن أن أربط بين عرض (فيلبي) وعرض (تشرشل).

وبالرغم من أن (تشرشل) كان قد طلب من (وايزمان) الحفاظ على سرية الحديث، فإن (وايزمان) خشى من موت مفاجئ يحدث له فيموت سره معه. فأطلع- وهو يتأهب للسفر- سكرتيره الخاص (جوزيف لنتون) على السر الخطير بل أعد له مذكرة كتابية بنص الحديث سلمها له داخل مظروف مغلق ليسلمه بدوره لشخص يدعى (سيمون جستنر) كان يعيش داخل البلاد بمأمن من الغارات الجوية، وأمره باطلاع اللجنة

التنفيذية الصهيونية على المذكرة فى حالة حدوث مكروه له.

وحينما قابل (وايزمان) (روزفلت) بعد ذلك نقل إليه رسالة (تشرشل) فوافق عليها وأظهر استعداده الكامل للمساعدة.

وفى أثناء اقامته فى الولايات المتحدة الأمريكية عرضت بريطانيا القضية الفلسطينية برمتها على هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م وركز (وايزمان) جهده وقتئذ لمتابعة الموقف وخاصة بالنسبة لمشروع تقسيم فلسطين، وسأسرد هنا قصة حدثت فى أربعة فصول:

الفصل الأول

وايزمان يقابل ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتئذ صباح أحد الأيام، يتحدث (وايزمان) عن مشروع التقسيم وأن النقب بكامله يجب أن يكون من نصيب اليهود. فالقسم الشمالى من النقب من غزة إلى عسلوج وبير السبع بلاد جميلة وما عدا ذلك فالنقب هو مجرد صحراء تحتاج إلى المياه ويمكن التغلب على هذه المشكلة عن طريق نقل المياه من الشمال وفقاً لمشروع (لوزوميلك) أو عن طريق المياه الجوفية التى تكثر هناك بحفر الآبار. وموضوع المياه اللازمة للنقب كان محل دراستنا الجادة فى معاملنا (براحابوت).

ثم تحدث (وايزمان) عما إذا كان من المتعذر ضم النقب بأكمله لليهود فيمكن والحالة هذه تقسيمه مع العرب تقسيماً رأسياً

لا أفقياً، بحيث يكون من نصيب كل فريق قسم الأراضى الخصبة فى الشمال وقسم من الصحراء فى الجنوب بشرط أن تكون العقبة (*) من نصيب القسم اليهودي.

فخليج العقبة الآن عديم الفائدة وسوف يظل كذلك أن بقى فى يد العرب، أما إذا كان من نصيب اليهود فإنه سيحسن ويعمق بحيث يصلح للسفن ذات الحجم المعقول. ولابد بعد ذلك من شق قناة من العقبة إلى شرق البحر المتوسط، وهذا المشروع قد تمت دراسته فعلا بواسطة بعض المهندسين الأمريكيين والسويديين. وستصبح هذه القناة طريقاً جديداً موازيا لقناة السويس تختصر الطريق بين أوروبا والهند يوما أو أكثر، وتنفع فى حالة قفل المصريين قناة السويس فى وجه ملاحتنا فى يوم من الأيام الأمر الذى سوف يحدث بمجرد عودة قناة السويس لهم.

وفى نهاية المقابلة وعد (ترومان) بالاتصال فوراً بالوفد الأمريكى فى (ليك سكسيس) لتؤيد الولايات المتحدة ضم العقبة إلى القطاع اليهودي.

(١) كان وايزمان قد زار منطقة العقبة عام ١٩١٧ في أثناء ذهابه عمان لمقابلة الأمير فيصل بناء على نصيحة اللنبي. وبالرغم من أن منطقة العقبة كانت منطقة قاحلة فأنها أثارت انتباهه منذ ذلك الوقت، فهي بابهم إلى المحيط الهندي وتجعل الطريق من فلسطين إلى الشرق الأقصى أقصر منه عن طريق بور سعيد - السويس

الفصل الثاني

المكان: ليك سكسيس.. مقر الوفد اليهودي.

الزمان: الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه.

ذهب السفير (هرشل جونسون) رئيس الوفد الأمريكي فى الأمم المتحدة لزيارة (شرتوك) رئيس الوفد اليهودى لابلاغه وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية بشأن مشروع التقسيم، وتحدث معه عن مشكلة النقب وأوضح (لشرتوك) توضيحا قاطعاً أن السياسة الأمريكية بخصوص خليج العقبة هو أن يكون فى يد العرب.

وذعر (شرتوك) للهجة (هرشل) القاطعة. وبدأ القلق يستولى عليه. فلم يكن يدرى عن مقابلة (وايزمان) (لترومان) شيئاً.

الفصل الثالث

أحد السكرتيرين يدعو (هرشل جونسون) لمحادثة تليفونية. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بنفسه على الطرف الآخر من الخط. يذكر ترومان لرئيس الوفد الأمريكى أنه يعتقد أن ابقاء العقبة ضمن الأراضى اليهودية أمر معقول وعلى الفود الأمريكى أن يعمل جهده مع الوفود الأخرى لتحقيق ذلك.

الفصل الرابع

يعود (هرشل جونسون) إلى الحجرة نفسها.

(شرتوك) جلس والكآبة تعلو وجهه.

ويتحدث (هرشل) إلى (شرشوك) ويقول له: فى الحقيقة يا سيدى ليس لدينا شيء هام نقوله لك. ولكن انس كل ما قلته لك سابقاً.

وغادر (هرشل جونسون) قاعة الاجتماعات وقد عقدت الدهشة لسان (شرتوك) إلى أن عرف ما حدث بعد ذلك.

وإلى هذا الحد تهون مقدرات الأمم!!

وكان من نتيجة موقف الوفد الأمريكى أن مشروع التقسيم قد وافقت عليه هيئة الأمم فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧، ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً.

وقد قبل اليهود مشروع التقسيم فوراً لأنه أعطاهم الأرض التى كانوا يحلمون بها.

* * *

وقاوم العرب مشروع التقسيم وكان لذلك تأثيره على واشنطن ورأت وقتئذ ضرورة اعادة النظر فى القرار برمته، وفى ١٩ مارس (اذار) ١٩٤٨ أعلن (السناتور أوستن) ممثل الولايات المتحدة فى مجلس الأمن رأى

بلاده فى ضرورة تأجيل تنفيذ قرار التقسيم ودعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لاجتماع خاص لاتخاذ قرار بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بمجرد انتهاء الانتداب يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨.

وكان رد (وايزمان) على جميع هذه المحاولات: (انني لا أقيم أى وزن على خرافة القوة العربية العسكرية ولابد لليهود من اعلان استقلالهم فى اليوم التالى لانتهاء الانتداب. هذه هى الخطوة العملية للخروج من هذا الموقف).

وفى ١٤ مايو (أيار) ١٩٤٨ أعلن (بن جوريون) قيام الدولة اليهودية.

وكانت أول دولة تعترف بالمولود الجديد هى الولايات المتحدة الأمريكية.

وتلاها فى الاعتراف الاتحاد السوفيتي.

وفى يوم ١٧ مايو (أيار) ١٩٤٨ تلقى (وايزمان) برقية من زملائه فى فلسطين يحيونه فيها ويشيدون بجهدوه العظيمة ويخطرونه باختياره كأول رئيس لجمهورية إسرائيل.

وكان أول عمل رسمى قام به هو قبوله لدعوة الرئيس ترومان ليكون ضيفه فى وشنطن، ثم عاد إلى إسرائيل ليتولى مهام منصبه. وظل رئيساً لإسرائيل حتى مات.

* * *

كتب (ناحوم جولدمان) فى مذكراته رأيه فى (وايزمان)، فقال:

لا شك أن (حاييم وايزمان) يعتبر أكبر زعيم للحركة الصهيونية بعد (تيودور هرزل) مؤسسها، وكان له الفضل فى انجاز أمرين هامين: أولهما فى مجال السياسة الداخلية وثانيهما فى مجال السياسة الخارجية، ففى مجال السياسة الداخلية، غير مسار الحركة الصهيونية إلى مجالات الاستيطان والتعمير بدلا من سياسة (هرزل) التى كانت تعتمد على الاتفاقات الدولية والمفاوضات السياسية لاقامة الدولة.

أما فى مجال السياسة الخارجية فقد حصل على وعد بلفور.

لقد واجه (وايزمان) معارضة الكثيرين واهانتهم، كما لقى احتراما وحبا لدرجة العبادة من كثيرين. فلم يكن من السهل أن تفهمه.. ما بحث قط عن الانتصارات الرخيصة وكان يكره صغائر الأعمال. فضل أن يثير المعارضة ضده فيما آمن به فأعلنه بدلا من أن يستجدى التصفيق والاستحسان من طريق الحلول الوسط أو التنازلات. ولهذا فكان من الممكن أن يتفادى كثيراً من الأزمات السياسية التى مر بها لو توافرت لديه مرونة أكبر.

كان يجمع بين ثقافة الغرب والشرق.. خاطب اللوردات

كواحد منهم، وتحدث إلى العمال كفرد منهم، آمن بالتجربة والواقع والأرقام، وكان يكره العبارات الجوفاء والإيمان بالمعجزات والعاطفة والإنفعال.

لم تكن تستطيع أن تظل صديقه ما لم تسلم له تسليما أعمى فتكون قطعة منه، وقد اعتبر كل من عارضه فى مجال الرأى عدوه الشخصى بشكل تلقائي.

لم يكن ذلك الإنسان الذى يمكن أن نثق فيه.. فلم يحترم الاتفاقات السياسية فى يوم من الأيام لا رغبة فى خداع الطرف الآخر انما لايمانه بأنه لا ينبغى أن يلتزم المرء بشيء حدث فى الماضى فاتفاق الأمس لا يصلح لما عليه الحال اليوم.

ومن ثم كان شخصية متقلبة طاغية.

وفوق كل ذلك كان ارستقراطيا.

حاييم وايزمان فى الميزان

رفض وايزمان عام ١٩٠٣م فكرة اختيار أوغندا مكاناً بديلاً لليهود ينشئون عليه دولتهم بعيداً عن فلسطين، وقال عام ١٩٠٦م أثناء مقابلته جيمس أرثر بلفور (إن اليهود يعتقدون أن استبدال فلسطين بأى بقعة أخرى فى العالم نوع من الكفر!!

يعد حاييم وايزمان أشهر الشخصيات الصهيونية بعد هرتزل، وقد لعب الدور الأهم فى استصدار وعد بلفور الشهير عام ١٩١٧م، وكان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية منذ عام ١٩٢٠ م حتى عام ١٩٤٦، ثم انتخب كأول رئيس لدولة إسرائيل عام ١٩٤٩م.

ولد حاييم وايزمان فى بلدة (موتول) فى ولاية (بنسك) إحدى ولايات روسيا البيضاء عام ١٨٧٤م. كان والده من وجهاء موتول المتدينين وكان يعمل تاجراً للاخشاب يقوم بتقطيعها من الغابات ثم ينقلها بعد ذلك إلى الموانئ الروسية لتصديرها.

بدأ حاييم وايزمان حياته الدراسية فى معبد البلدة حيث درس مبادئ الدين والتاريخ اليهوديين واللغة الروسية ولغة (اليديش)

التى كان يتحدث بها يهود روسيا. ثم أرسله أبوه إلى (بنسك) لتلقى تعليمه العالى هناك متخصصا فى الكيمياء، وأكمل دراسته فى مدرسة (البولتيكنيكوم) الألمانية التى كانت تعتبر أشهر معاهد تدريس الكيمياء فى أوروبا آنذاك وحصل منها عام ١٨٩٩ م على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف. وفى عام ١٩٠١ م اختارته جامعة جينيف للعمل بها محاضرا مساعدا، وفى عام ١٩٠٤ م أصبح أستاذا بجامعة مانشستر فى بريطانيا.

تزوج حاييم وايزمان من فيرا وأنجب منها ولدين هما بنيامين وميخائيل وقد توفى الأخير فى حادث تحطم طائرة أثناء الحرب العالمية الثانية.

آمن وايزمان بضرورة إنشاء وطن قومى لليهود يحفظ لهم هويتهم وكيانهم من الذوبان فى المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها. وقد وهب علمه وجهده وماله لتحقيق هذا الأمر، وكان يسعى دائماً إلى التقريب بين الفرقاء اليهود وجمع كلمتهم ومحاولة التنسيق بين جهودهم لخدمة الهدف الأعلى وهو إقامة الدولة، وكان من منهج وايزمان فى العمل السياسى استعمال جميع الوسائل المتاحة لتحقيق الهدف، فاستعمل الدبلوماسية والعلاقات الشخصية ووسائل الإعلام والمال والتنظيم الدقيق للجماعات والمنظمات

الصهيونية ثم الوسائل العسكرية لتحقيق ما يحلم به اليهود وبالفعل نجح فى ذلك عام ١٩٤٨م، ويعتبر وايزمان أول من حول مسار الحركة الصهيونية إلى مجال الاستيطان والتعمير بدلاً من سياسة المفاوضات والاتفاقية التى كان هرتزل يحصر تفكير الحركة فيها. وحصل وايزمان على وعد بلفور الذى بنى عليه اليهود دولتهم.

بدأت اهتمامات وايزمان بالسياسة فى وقت مبكر حيث كان يرفض فكرة اندماج اليهود فى أوروبا حتى لا يفقدوا هويتهم وكيانهم رغم أن هذه الفكرة كانت تسيطر على معظم اليهود آنذاك خوفا من الاضطهاد الذى كانوا يشعرون به. وأثناء دراسته فى مدرسة (البولتيكنيكوم) كان طالبا مميزا ونشيطا وسط الطلاب اليهود فى ألمانيا ونشط فى إقامة علاقات بينه وبين غيره من الطلاب فى الجامعات الأوروبية المختلفة.

كلف المؤتمر الصهيونى الثانى حاييم وايزمان بتشكيل الوفد الروسى لحضور المؤتمر، وفى عام ١٩٠١ م كلفه بحمل اليهود على شراء أسهم البنك اليهودى الدولى وبنك الاستعمار اليهودي. وبزغ نجمه داخل المؤتمر واختير عضوا فى الحركة الصهيونية.

وقد كانت أهم إنجازات وايزمان خلال الحرب العالمية الأولى حيث ساعدت اكتشافاته العلمية وبالأخص مادة (الأسيتون) فى

تقربه من القيادات السياسية والعسكرية البريطانية التى راح يلح عليها فى استصدار قرار بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فكان وعد بلفور عام ١٩١٧م.

كانت المرة الأولى التى سافر فيها وايزمان إلى فلسطين عام ١٩٠٨م حينما اتهمه خصومه السياسيون بأنه يجاهد من فوق المنابر بالكلمات ولا يعرف شيئا عن أوضاع اليهود هناك ولا يتحمل العيش وسطهم. ووجد بعد سفره أن اليهود فى فلسطين يعملون فى مزارع المليونير اليهودى روتشيلد وليس عندهم روح المغامرة ويغلب عليهم التواكل، فلما عاد مرة أخرى إلى بريطانيا قرر العمل بأسلوب مختلف يعتمد على تشجيع الهجرة إلى فلسطين على أن يعتمد اليهود على أنفسهم وسواعدهم فى العيش هناك.

والمرة الثانية التى سافر فيها إلى فلسطين كانت عام ١٩١٨م ضمن وفد صهيونى قررت الحكومة البريطانية إرساله إلى هناك لدراسة الأوضاع على الطبيعة فى ضوء تصريح بلفور وقد نصحه اللنبى قائد القوات البريطانية فى فلسطين بزيارة فيصل ابن الشريف حسين أمير مكة وقائد الجيش العربى وقتئذ، فقابله وربط بينهما علاقة استمرت مدى الحياة. وفى تلك الزيارة وضع حجر الأساس للجامعة العبرية التى افتتحت بعد ذلك بسبع سنوات (١٩٢٥م).

رفض وايزمان عام ١٩٠٣م فكرة اختيار أوغندا مكانا بديلا لليهود ينشئون عليه دولتهم بعيداً عن فلسطين، وقال عام ١٩٠٦م أثناء مقابلته جيمس أرثر بلفور (إن اليهود يعتقدون أن استبدال فلسطين بأى بقعة أخرى فى العالم نوع من الكفر، فهو أساس التاريخ اليهودي، ولو أن موسى نفسه جاء ليدعو إلى غيرها ما تبعه أحد، وسيأتى اليوم الذى سننجح فيه فى استعادة بلادنا، فهذا أمر لا شك فيه).

انقسمت الحركة الصهيونية بعد فكرة أوغندا والمؤتمر الصهيونى السابع عام ١٩٠٧م إلى قسمين:الصهيونية السياسية التى كانت تسعى للحصول على تصريح من السلطان العثمانى قبل التفكير فى العودة إلى فلسطين، والصهيونية العملية التى عملت على إحياء اللغة العبرية والاهتمام بالناحية الروحية وخلق واقع صهيونى فى فلسطين.

فى عام ١٩٢٠ م انتخب المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى لندن آنذاك حاييم وايزمان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٤٦.

نص صك الانتداب البريطانى فى فلسطين فى مادته الرابعة على (إقامة وكالة يهودية معترف بها لتقديم النصح للإدارة البريطانية، والتعاون معها فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فيما

يتعلق بتأسيس الوطن القومى اليهودى مع اعتبار الجمعية الصهيونية القائمة هى الوكالة اليهودية حتى يتم تشكيلها) فدعا وايزمان المنظمات اليهودية العالمية للاجتماع عام ١٩٢٩ لانتخاب أعضاء الوكالة وتم الاجتماع وانتخبت الوكالة وظهرت إلى الوجود فى العام نفسه وأصبحت تتحدث باسم اليهودية العالمية.

وافق وايزمان على الكتاب الأبيض الذى أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ بعد اتصالات هادئة اجراها مع رئيس الحكومة رمزى ماكدونالد على السماح بهجرة ٤٠ ألف يهودى إلى فلسطين عام ١٩٣٤ و٦٢ ألفا عام ١٩٣٥، وحصل بذلك على خطاب بالموافقة من ماكدونالد فأعلن موافقته على الكتاب الأبيض لكن المؤتمر الصهيونى رفض ذلك وطالب بوضع مواثيق تضمن ما أسماه بعدم التنازل ونصحهم وايزمان بالعمل وبألا يضيعوا أوقاتهم فى مثل هذه المواثيق لكن المؤتمر رفض وأسقط وايزمان وانتخب مكانه سوكولوف للرئاسة، لكن وايزمان عاد ونجح فى الانتخابات التى أجريت عام ١٩٣٥.

فى هذه الأثناء اختير وايزمان مستشارا كيماويا فخريا لوزارة التموين التى كان يرأسها هربرت موريسون وخصص له معمل يجرى فيه أبحاثه وتجاربه وبدأ تجاربه فى إنتاج البنزين الصناعى

عن طريق التقطير وعن عمليات التخمير واستخراج الكحول والمطاط الصناعي.

غادر وايزمان بريطانيا عام ١٩٤٢م لتلبية دعوة من الولايات المتحدة للإقامة بها لمواصلة إنتاجه فى المطاط الصناعى وقال له تشرشل وهو يودعه - كما كتب وايزمان فى مذكراته - إنه يتمنى بعد انتهاء الحرب مساعدة عبدالعزيز آل سعود فى أن يصبح سيدا على الشرق على ألا يعارض فى تحقيق أهدافه، وطلب منه تشرشل أن يحتفظ بهذا السر وألا يبوح به إلا لرئيس الولايات المتحدة روزفلت حينما يقابله، وبالفعل وافق روزفلت على هذا الأمر بعد مقابل وايزمان له.

وفى عام ١٩٤٧م وأثناء إقامة وايزمان فى الولايات المتحدة عرضت بريطانيا القضية الفلسطينية برمتها على الأمم المتحدة، وركز وايزمان جهده لمتابعة مشروع تقسيم فلسطين كما عرض آنذاك.

وقد لعب وايزمان دوراً رئيسياً فى قيام إسرائيل. فقد اتفق وايزمان ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ترومان على خطة التقسيم التى ستعمل الولايات المتحدة بثقلها على إقرارها فى داخل أروقة الأمم المتحدة، واتفق معه على أن صحراء النقب ستكون تابعة لإسرائيل بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية وجود المياه

الجوفية بها وعلى أن يكون لإسرائيل منفذ على البحر الأحمر.

وصدر قرار التقسيم بالفعل فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م بموافقة ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا وقبل اليهود القرار على الفور لأنه أعطاهم الأرض التى كانوا يحلمون بها، بينما قاوم العرب هذا القرار ولكى تتجنب واشنطون الغضب العربى والإسلامى تحايلت على الوضع فقررت فى ١٩ مارس عام ١٩٤٨م، إعادة النظر فى الأمر وعرض الموضوع على الجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ قرار بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بمجرد انتهاء الانتداب يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م، لكن كان رد وايزمان قاطعا (إننى لا أقيم وزناً لخرافة القوة العربية العسكرية ولابد لليهود من إعلان استقلالهم فى اليوم التالى لانتهاء الانتداب هذه هى الخطوة العملية للخروج من هذا الموقف) وبالفعل فى ١٤ مايو ١٩٤٨ م أعلن بن جوريون قيام الدول اليهودية واعترفت بها على الفور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

وفى عام ١٩٤٨م اختير وايزمان رئيسا للمجلس الرئاسى المؤقت وفى عام ١٩٤٩ انتخب كأول رئيس للدولة الإسرائيلية.

وقد ألف وايزمان فى عام ١٩٤٩م كتابه الذى يتضمن سيرته الذاتية (التجربة والخطأ) وبعد صراع مع المرض توفى عام ١٩٥٢ عن عمر يناهز ٧٨ عاماً(١).

النص الكامل لمذكرات :
حاييم وايزمان
التجربة والخطأ بقلمه

مدخل

إن كتاب مذكرات وايزمان أو التجربة والخطأ كما صدر بالإنجليزية أو تاريخ الحركة الصهيونية منذ نشأتها كما استبدلت اسمه شركة هامشيت هاملتون فى برستول حين اصدرته يصف حياة وايزمان منذ طفولته فى روسيا ثم جميع تطوراته مقتصراً بحثه على تاريخ الصهيونية التى نشأت معه منذ حداثة سنة وداعبت خياله كما داعبت خيال وأحلام كل يهودى ولا شك فى أن حاييم وايزمان تأثر تأثيراً كلياً فى (هرتزل) واضع الكتاب المشهور عن المملكة الإسرائيلية (وماكس نوردو) الذى كتب كتباً اجتماعية كثيرة فى هذه المواضيع وقد ساعد وايزمان على تحويل هذه المبادئ النظرية إلى دقائق وحقائق عملية.

ومن الأسباب التي حدت بوايزمان وأكثر اليهود في معارضة انشاء الوطن القومي في أوغندا وصحراء سيناء حينما عرضت بريطانيا ذلك في عهد اللورد كرومر أنهم كانوا يعتقدون أن الصهيونية حركة عضوية يجب أن تخضع للتطور العضوي ولأن

ليس في أوغندا ولا في صحراء سيناء من الحوافز التاريخية أو العوامل الطبيعية التي تؤدي إلى تفاعل التطور العضوي للصهيونية.

وفي هذا الكتاب يذكر وايزمان الأسباب العديدة التي حدت بالإنجليز لقطع وعد بلفور وأهمها أن الإنجليز قد ظنوا أن قيام دولة يهودية في فلسطين سيساعدهم للتصرف والسيطرة على الشرق.

حياة الدكتور وايزمان

ولدت فى سنة ١٨٧٤ م فى مدينة (موتول) من أعمال روسيا البيضاء وهى تقع فى منطقة المستنقعات الشاسعة التى تكون فى فصلى الربيع والخريف طينا ووحلا، وفى فصل الشتاء ثلوجا متراكمة بعضها فوق بعض وفى فصل الصيف ترابا وغباراً.

وكان اليهود فى (موتول) يعيشون كما يعيشون فى مئات المدن الصغرى والكبرى فى روسيا، منعزلين عن غيرهم، وفى عالم غير عالم الناس الذى يعيشون بينهم.

(وموتول) هذه قرية صغيرة جداً، تعداد سكانها نحو ٤٠٠ – ٥٠٠ عائلة من الروس البيض، ونحو مائتى عائلة يهودية، وهى منقطعة عن العالم، فلا طرق، ولا سكة حديد، ولا بريد، ولا شيء من المواصلات فيها. وكان البريد يصل إليها مع أى شخص تصادف أنه خرج من (موتول) ثم عاد إليها بعد أن عرج على بلد آخر مجاور فيه مكتب بريد.

وكان فى (موتول) ذاتها بضعة شوارع، جميعها ليست معبدة..

وكان شارعان أو ثلاثة شوارع منها يهودية.. ذلك أن اليهود، حتى فى الطرق، كانوا يستقلون بشوارعهم الخاصة للأمن، والراحة، ولتقارب اليهود بعضهم من بعض. وكانت المنازل هناك خشبا.. كلها، ما عدا بيوت أغنياء اليهود.. فلقد كانت من الحجر، وكذلك كانت المعابد.

وكانت (موتول) تقع فى ناحية نائية موحشة من النواحى التى اختص بها قياصرة الروس الشعب اليهودى فى روسيا، وبمرور الأجيال فى هذه العزلة، تأصلت فى نفوس اليهود هناك روح واعية للعزلة والانقطاع، مما جعلهم يترابطون بعضهم مع بعض فى رباط واحد من الشعور اليهودى الواحد. وكانت هذه الروح الواعية للعزلة والانقطاع، أقوى فى (موتول) منها فى أى بلد آخر. وفى موتول هذه التى عرفت بشدة الوعى اليهودى فيها، ولدت أنا، ونشأت، واعتنقت الصهيونية قبل أن تصبح الصهيونية مبدأ معروفا.

ولما بلغت الرابعة من عمرى ذهبت إلى مدرسة الدين اليهودي، وهذا ما لا غنى لأى طفل يهودى عنه. وفى خلال السنوات التى قضيتها فى مدارس الدين تلك، كان على أن أدرس أشياء كثيرة من أصول الدين، وكان أهمها التلمود، ولكن لم يكن التلمود هو الذى لاعب خيالي، واستهواني، وإنما الذى ملك على لبى كان (سفر الأنبياء)، وهذا اقتضانى أن انتقل إلى مدرسة دين جديدة تتلمذت

فيها لأستاذ كان هو الذى علمنى اللغة العبرانية، والادب العبراني، والتوراة، فمهد لى الطريق إلى فهم اليهودية وتاريخها وأثار شعورى القومى الذى ظل متأججا منذ طفولتى حتى اليوم.

وكان هذا الاستاذ نير الذهن، يحب تلامذته ويحسن معاملتهم، ويحاول جهده توسيع مداركهم، فكان كثيرا ما (يهرب) إلى المدرسة بعض كتب علمية ليطلع عليها تلامذته. وفى يوم جاء إلى المدرسة وهو يخفى بين ملابسه كتابا علميا باللغة العبرانية موضوعه الكيمياء.. ترى كم كان لاطلاعى على هذا الكتاب، وانا طفل بعد، من أثر على حياتى العلمية التى بلغت فيها ما بلغت فى علوم الكيمياء.. بعد ذلك بسنين.

ولما بلغت الخامسة من عمرى انتقلت من بيت أبى إلى بيت جدي، وكان جدى ذاك رجلا متدينا، يحافظ على الصلاة، والفروض. وكان لا يفتأ يقص على قصص رؤساء الدين، ومبلغ أثرهم فى إسرائيل، وكان يذكر لى كذلك جهود كبراء اليهود للتخفيف من متاعب الشعب اليهودي، وكان يذكر اجمل الذكر زيارة السر (موسى مونتفيوري) لروسيا للاطلاع على حالة اليهود فيها.

وقد مات جدى فى سنة ١٨٨٢م وأنا فى الثامنة من عمرى وكان حزنى عليه عظيما جداً، الا أن كل هذا الذى كان يقصه على جدى

طبع فى نفسى طبعا لا يمحي، ولا يزول وكان أبى تاجر أخشاب، وكان يحكم عمله ينتقل بين (موتول) وغيرها من المدن الأخري. وكان دخله لا يزيد فى السنة عم ٥٠ – ٦٠ جنيهًا، إلا أن هذا الدخل كان يعتبر فى ذلك الزمن وفى روسيا الفقيرة، غني..

ومع أن ابى لم يكن قد صار، فى طفولتي، صهيونيا، إلا أن الجو الذى عشنا فيه فى روسيا، فى ذلك الزمن، عرف اشياء كثيرة كانت هى فيما بعد مادة الصهيونية.

فلقد عرفنا فى ذلك الزمن، ووعينا، التقاليد اليهودية، وأحلام العودة، وأرض الميعاد، الا اننا لم نكن قد ادركنا بعد معنى (القومية اليهودية). وكان على الصهيونية، والصهيونية وحدها أن تنبه فينا تلك القومية.

وعلى الرغم من أن الجو اليهودى فى روسيا كان مشبعا بكل ما ذكرت من وعى للتقاليد اليهودية، وأحلام العودة، وأرض إسرائيل، وغير ذلك، فان الصهيونية لم تأت بعد ذلك رأسا، وإنما سبقتها حركة أخرى هى حركة (محبة صهيون)، وكانت تلك الحركة متأصلة فى مدينة (بنسك) التى كان تبعد عن (موتول) ٢٥ ميلاً، والتى كان مقدرا لى أن أذهب إليها نسة ١٨٨٦ م لالتحق بالمدرسة العليا فيها.

ومنذ ذهابى إلى بنسك، والتحاقى بمدرستها العليا. قدرت أن نفقاتى هناك ستكون عبئا ثقيلا على والدي، الا انى استطعت ان ادبر المشاق، ذلك انى صرت اعلم ابن احد اغنياء اليهود اللغة العبرانية مقابل أن اعيش معهم، واتقاضى ٦٠ روبية فى السنة فوق ذلك، وقد كان هذا كافيا لسد جميع نفقات تعليمى فى بنسك.

وفى مدرسة (بنسك) تتلمذت للاستاذ كورنيسكو، وهو الرجل الذى علمنى الكيمياء لأول مرة تعليما صحيحا وهو كذلك الذى وجهنى ذلك التوجيه العلمى الصحيح الذى مكننى فيما بعد كل ذلك التمكن من حب الكيمياء والانقطاع لها.

وفى بنسك عقد عام ١٨٨٤ أول مؤتمر لجماعة محبى صهيون، وكان هذا الاجتماع الأول من نوعه، وهو كان فى الواقع ميلاد الصهيونية السياسية.

(وبنسك) تلك، على صغرها، قد فعلت العجائب الصهيونية، كما انها قدمت لها مشاهير بناة الوطن القومى فى فلسطين، فمنها خرج جودايرجس، وهارون يزنبوزج، وهذا الاخير من أوائل من بنوا رخبوت، وفيها الان أودلاه، وأحفاده، واسحق تيديتش أحد مؤسسى الكارن هايسود، وشرتوك.. ومنهم موسى شرتوك، وزير خارجية إسرائيل، وغير هؤلاء كثيرون ومن روسيا تلك خرج الرواد

الأولون إلى فلسطين لبناء الوطن القومى فيها.

وقد خرج أولئك الرواد وهم يعرفون أن الحكم التركى فى فلسطين سوف يعتبر كل يهودى قادم إليها مهاجراً بمرة.. وأنه يقيد فى سجل غير المرغوب فيهم، ويجوز اخراجه من البلاد فى أى وقت شاءت السلطات، وكذلك كان الحكم التركى يمنع بيع الأراضى لليهود. ويمنع بناء مستعمرات لهم، ولكن ذلك الحكم التركى كان شبيها بالحكم القيصرى فى روسيا.. أى انه كان قائماً على الفساد والرشوة، وقد استطاع الرواد اليهود أن يأتوا إلى فلسطين، وأن يشتروا الأراضي، وأن يبنوا المستعمرات، وأن يمهدوا بذلك لتحقيق الوطن القومى فيما بعد اتممت علومى فى (بنسك) فى الثامنة عشرة من عمري، وكان على بعد تلك أن اختار الجامعة التى التحق بها للتحصيل العالي، ولم يكن ذلك الاختيار عسيراً علي، فلقد كنت اكره روسيا القيصرية، وكنت معتزما منذ البداية أن اخرج منها وأن اتجه إلى الغرب، وبالفعل لقد اتجهت إلى أقرب بلدان الغرب إلينا، وكانت المانيا هى الأقرب، وهناك ساعدنى صديق من أصدقاء عائلتى على الالتحاق بجامعة (دارمستاد) ودبر لى عملاً فى مدرسة يهودية فى (بافنجستاد) فكنت أعطى دروسا بالعبرانية، والروسية فى (بافنجستاد) واتلقى علومى العالية فى (دارستاد) وكان البلدان قريبين من بعضهما.

وكانت ألمانيا شيئا جديداً علي، وشيئا يختلف من حيث المدنية والنظام، تمام الاختلاف عن روسيا.

وقد ذهبت مرة إلى فرنكفورت، وارسلت منها برقية إلى (باخنجستاد) وكم كانت دهشتى عظيمة حين انتظرت اخذ وصل بقيمة ما دفعته للبرقية فقال لى موظف البريد هناك: إنك فى ألمانيا.. ولا حاجة بل إلى وصل لان الموظف الألمانى يؤتمن على ما يدفع له. ولا يعطى وصلا بذلك.

وكان هذا فرقا كبيرا بين ما عرفت فى روسيا وما شاهدت فى ألمانيا.

وكان اليهود فى ألمانيا غيرهم فى روسيا فلقد كان يهود روسيا يهودا قبل كل شيء، وكانت حياتهم، على مبلغ ما فيها من مشقات، واضطهاد، حياة يهودية خالصة لليهود، ولأمالهم، وأحلامهم.

أما يهود ألمانيا فكانوا ألمانيين أولاً، ويهودا من بعد. وكنت أتحدث دائما مع الدكتور (باربنس) من أساتذة مدرسة (بافنجستاد)، فكان الرجل على يهوديته يدعو إلى وجوب امتزاج اليهود فى الامم التى يعيشون فيها. وقد سألنى مرة عن جنسيتى فقلت له: أنا يهودى روسي. وقد دهش الرجل لجوابي، وحاول ان يقنعنى بأن اليهودية دين لا جنسية، فافهمته ان اليهودية جنسية قومية، وأن كل يهودى حيث كان هو يهودى اولا، وروسيا، أو ألمانيا أو غير ذلك من بعد.

وقد شرع الدكتور (بارينس) يلقى على موعظة فى أن اللاسامية ليست سوى سوء فهم يجب أن يحاول اليهود اصلاحه، ذلك ان الألمان مثلا إذا ظهر بينهم شيء من الأسامية فسببه ان الألمان لا يقدرون حقيقة اخلاق اليهود، ولو عمل اليهود على جعل الألمان مثلا يفهمون حقيقة اليهود فليس هناك (لاسامية)، ولاستطاع اليهود أن يمتزجوا بالألمان ويصبحوا ألماناً لا يهوداً.

وهنا ثارت عواطفى فقلت للدكتور (بارينس):

انك يا دكتور لا تدرك معنى ما تقول، والعالم يعتبر اليهود قذى فى عينه، ويريد ان يتخلص من هذا القذي، وليس يهم العالم ان يكون هذا القذى قطعة من القش، أو قطعة من الذهب، وإنما يهمه انه قذى فى عينيه، وانه يريد الخلاص منه).

وفى نهاية العام كان والدى قد اشرك معه فى التجارة صهره الناجح، والإدارى الحازم، فتحسنت حالتهما المالية، واعتزما إرسالى إلى جامعة برلين، وكانت تعد فى الدرجة الأولى بين جامعات العالم.

وفى برلين تلك قابلت هناك الكثيرين، والكثيرين جدا، من شباب اليهود المتشبعين بفكرة الثورة على كل دعوة إلى الامتزاج مع الغير، ووجوب تحرير اليهود كيهود، مستقلين بأنفسهم، فكان

هؤلاء أسبق من هرتزل إلى تلك الدعوة، وفى برلين عرفت كذلك جمعية يهود روسيا العلمية، وهى تلك الجمعية التى أسدت إلى الصهيونية أعظم الخدمات وأطعتها أحسن زعمائها.

وفى الجملة فلقد كانت حياتى فى برلين تختلف كل الاختلاف عن حياتى فى دارمستاد، وبافنجستاد، ففى برلين كانت حركة اليهود قوية تبشر بأحسن النتائج وفى برلين كذلك تطورت أنا فنموت فى الصهيونية حتى نضجت فيها كما نضجت فى علوم الكيمياء. وعلى وفرة ما اختبرت من بعد فى حياتى العلمية، وحياتى السياسية فانه لم يطرأ على جديد فى المبادئ التى نضجت بها فى حياتى فى برلين.

وفى العام الثانى من سنى حياتى فى برلين نشر ثيودور هرتزل كتيبه عن الدولة اليهودية. وفى الواقع أن كتيب هرتزل لم يأت بجديد ولم يكن أحد يجهل ما ذكره هرتزل، ومع ذلك فلقد كان للكتيب ضجة كبيرة فى عالم اليهود وكانت شخصية هرتزل لا كتيبه هى التى أحدثت تلك الضجة.

أما نحن يهود روسيا فقد ارضانا-أن تأتى مثل هذه الدعوة من يهود الغرب، فلقد كان يهود الشرق قليلى الايمان بيهود الغرب.

ولكن هرتزل لم يذكر فى كتابه فلسطين.. كما أنه تجاهل فيه اللغة العبرية، فهو كان وراء فكرة، الا إنه لم يكن قد حصر هذه

الفكرة ضمن حدود وقيود كما فعلنا نحن يهود الشرق، نحن الذين بشرنا بفلسطين وباللغة العبرية ولا شيء آخر غير فلسطين وغير لغة اليهود ودين اليهود، وتقاليد اليهود.

وكان أمام هرتزل بعد ذلك طريقان لتحقيق فكرته الأولي: أغنياء اليهود، والثانية: الاستعانة بدولة من الدول الكبري.

أما أغنياء اليهود فكانوا ينظرون إلى الفكرة على أنها عمل من أعمال الإحسان وهذا خطأ الذين عملوا قبلنا فى سبيل الصهيونية، ذلك أن الصهيونية ليست بعمل احسان، وانما هى تطور أمة تطورا بيولوجيا حتى تنتقل من حال إلى حال.

أما الدول الكبرى التى كانت تستطيع مساعدتنا فهى ألمانيا وبريطانيا.

أما ألمانيا فرفضت كل تدخل، أما بريطانيا فقد أبدت كل عطف، وعناية..! فقدمت لنا صحراء سيينا فى عهد اللورد كرومر فى مصر وأوغندا من بعد.

وكان على هذا كله ان ينتظر حتى تختمر فكرة الصهيونية، وحتى تعمل عملها فى نفوس اليهود ثم حتى يقوم على تحقيقها اولئك الذين أمنوا بالصهيونية على أنها قومية، والقومية لها وطن واحد، وكان وطن اليهود هو فلسطين، ولا شيء غير فلسطين.

تاريخ حياة الصهيونية

لم يكن كتاب (هرتزل) عن المملكة اليهودية هو الذى عاد على اليهود بالنفع الجزيل، وإنما كانت خدمة (هرتزل) لليهود، ولفكرة الصهيونية، انه دعا إلى تحقيق فكرة ربط يهود العالم كلهم فى برلمان واحد، وكان هذا عن طريق المؤتمرات اليهودية التى كان (هرتزل) أول من دعا اليها، وأول من حققها. فكانت تلك المؤتمرات الصهيونية العالمية التى تعقد كل عام، أو كلما دعت اليها الضرورة، والتى كان يحضرها ممثلون عن يهود العالم أجمع، هى البرلمان اليهودى العام الذى ربط بين اليهود بعضهم وبعض، على إختلاف بلدانهم وتراخى ديارهم.

وفى السنين الأولى لميلاد تلك المؤتمرات كنت أنا قد تعينت محاضراً فى جامعة جينيف فى علوم الكيمياء، وكنت قد حزت لقب دكتور فى الكيمياء وكانت سويسرا فى ذلك الزمن، كعادتها فى جميع الأزمان، ملجأ للاحرار من كافة أنحاء الأرض.

وفى سويسرا تلك عرفت لينين، وبلكتوف، وتوروتسكى وكان كل هؤلاء يهوداً، إلا إنهم كانوا كلهم يحتقروننا، نحن دعاة الصهيونية، وكانوا يقولون إن اليهودى الروسى يجب أن يصلح روسيا، وطنه، لا إن يتهرب منها، ويدعو نفسه يهوديا. وكنت أنا

إبادتهم احتقارا باحتقار، وكرها بكره.

وفى جنيف اسننا نحن الصهيونيون أول جمعية لتحقيق فكرة الجامعة العبرية التى أثرت أنا بحثها فى اول مؤتمر صهيونى عقد فى سنة ١٨٩٧. وهى الجامعة التى إفتتحها بلفور فى القدس سنة ١٩٢٥.

وفى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد فى (بال) فى سويسرا وقف (هرتزل) ليعلن لممثلى يهود العالم أن بريطانيا.. وبريطانيا وحدها.. بين دول الأرض.. كانت هى الوحيدة التى اعترفت باليهود كأمة قائمة بنفسها.. ومنفصلة عن غيرها.. وإن اليهود جديرون بأن يكون لهم وطن، ومملكة.. ثم قرأ (هرتزل) رسالة اللورد لاندسون، باسم حكومة جلالته.. فى هذا المعني، وفى تلك الرسالة قدمت حكومة جلالته اراضى اوغندا لتحقيق المشروع.

وكان النواب الروس فى المؤتمر يخشون الكلام فى صراحة لئلا تزجهم الحكومة القيصرية فى السجون حين يعودون إلى بلادهم، وبحكم سكوت اولئك النواب فاز مشروع اوغندا بأكثرية الأصوات.. إلا أننا نحن يهود روسيا قضينا عليه فى المهد، والغيناه بدون ضجة.

وقد عادت بريطانيا إلى ترضية اليهود فعرضت عليهم أراضى سينا، وهى تلك التى كانت تعرف بمنطقة العريش، لبناء وطنهم هناك.

وقد ذهبت بعثة يهودية علمية إلى مصر لهذه الغاية وقابلت

هناك اللورد كرومر المعتمد البريطانية حينذاك، فأظهر كل عطف على اليهود، وعلى أمانيهم، إلا أن البعثة لم تجد فى تلك الأراضى ما يفى بحاجات الوطن القومى فرفض العرض.

أما أنا فكان من رأيى أن لا يرفض، ذلك أننا كنا نستطيع اقامة مستعمرات فى جنوب فلسطين منذ خمسين سنة ولو قد فعلنا هذا لكان ساعدنا على تحقيق فكرة انشاء مملكة إسرائيل فى فلسطين فى مدة أقصر جداً مما احتجنا إليه من بعد.

وعطف بريطانيا هذا وإستعدادها للتعاون معنا على إنشاء وطن ومملكة لنا اضطرنى ان أفكر فى الذهاب إلى انجلترا مع العلم بأنى لم أكن أعرف تلك البلاد ولا أعرف لغتها. ولما ذهبت لأول مرة هناك، رأيت من العطف على أمانينا ما جعلنى انتقل إلى بريطانيا كمدرس فى جامعة مانشستر فى سنة ١٩٠٤، وهناك عملت، ولازالت أعمل حتى حصلنا على ما حصلنا عليه مما ساتناول الحديث عنه فى الغد.

بلفور وأنا!

لم يكن التسامح فى بريطانيا هو الذى جذبنى اليها، فما كانت بريطانيا بأكثر تسامحا من بلدان أخرى مع اليهود، وإنما جذبنى إليها استعداد حكومة بريطانيا ورجال السياسة فيها لإغاثة يهود العالم، وتحقيق فكرة مملكة إسرائيل.

وكان فى مانشستر التى عينت محاضرًا فى جامعتها، عالم كيمائى يهودى يرأس مصانع كلايتون (للانيلين)، وكان هذا الرجل هو شارل دريفوس. وكان دريفوس هناك هو كذلك رئيس الجمعية الصهيونية فى مانشستر، وكان من أنصار قبول ما عرضته بريطانيا على اليهود من إقامة وطنهم القومى فى أوغندا، وكنت أنا من خصوم الفكرة.

وكان يربطنى بدريفوس رباط قوى من الصداقة، وتبادل التقدير، والاحترام وعبثا حاول دريفوس أن يغير رأيى فى مسألة أوغندا، وأخيرا خطر له خاطر.. ففكر فى أن يستعين بأرثر جيمس بلفور.. ليحولنى عن رأيي.

وكانت مقابلتى الأولى للورد بلفور فى عام ١٩٠٦. وكان بلفور فى ذلك الوقت يخوض معركة انتخابية حارة فى مقاطعة كلايتون فى شمالى مانشستر، وقد قال لى دريفوس: إن بلفور، برغم انشغاله فى معركة الانتخابات، سيقابلك لبضع دقائق، وستكون المقابل فى مركز رئاسة معركة الانتخابات فى لوكندة الملكة.

ولما ذهبت إلى هناك كان المكان غاصا بالناس المعنيين بالمعركة، وقد خطر لى أن بلفور لن يستطيع الاستماع إليَّ أكثر من دقائق معدودة، ومع ذلك فلقد دخلت عليه، وجلسنا فى خلوة، وبرغم وفرة مشاغله، وحراجة الساعة، وكثرة المنتظرين، فلقد

ظللت معه ساعة وبعض الساعة.

وكانت (إنجليزيتي) فى ذلك الزمن لا تزال ضعيفة، ومع ذلك فلقد كان يتتبع كلامى فى عناية واهتمام وعطف.

وقد افتتح بلفور الحديث معى بسؤالي: لماذا يوجد يهود يعارضون فكرة أوغندا؟ إن الحكومة البريطانية معنية بكل إخلاص وعطف باليهود وأمانيهم، فلماذا لا تتعاونون معنا؟

وهنا اندفعت أنا فى الشرح والبيان، وفى التفسير والإيضاح مدة طويلة تخيلت فى نهايتها أن الرجل قد تبرم بي، وبحديثى وبطول ما قدمت له من أدلة وبراهين، ولكن كم كانت دهشتى عظيمة حين تبينت ان الرجل كان منصتا إلى كل كلمة قلتها وأنه شرع يزيدنى شرحا وايضاحا.

قلت له إن الصهيونية حركة سياسية، قومية، ولكن لها كذلك ناحيتها الروحية. وقلت: إنه لن يكتب النجاح للصهيونية القومية إلا إذا عنينا اولا بناحيتها الروحية وأثرنا بذلك الحاسة الدينية فى اليهود. وهل هناك ما يصلح لتحقيق هذا كله إلا فلسطين؟

قلت لبلفور إنه لو فرضنا أن النبى موسى بعث فى المؤتمر الصهيونى السادس وسمع إلى ما قاله هرتزل عن اوغندا، فأنا أؤكد لك أن موسى كان حطم الألواح مرة أخرى كما حطمها من قبل

حين عاد فشاهد بنى إسرائيل يعبدون العجل.

قال لى بلفور: ولكن أذكر أن لندن هى ملكنا، وهى بأيدينا، أما فلسطين!! فقلت له فى حماسة: إننا كنا نملك فلسطين حين كانت لندن غابات ومستنقعات، وسوف نعود نملكها من جديد.

وقد كتب بلفور، عقب هذه الزيارة، إلى مدام ليوبولد روتشلد، يقول: (لقد زارنى شاب يهودى روسى اليوم، وتحدث إليَّ حديثا كان له أعظم وقع فى نفسي).

ترى كم كان لهذه الزيارة وما تبعها من زيارات، واتصالات من أثر على مستقبل الصهيونية؟

كانت الفترة الواقعة بين عامى ١٩٠٦ و١٩١٤، أى بين بدء تطور فكرة الصهيونية من فكرة روحية أو سياسية إلى فكرة عملية، وبين تاريخ الحرب العالمية الأولي، فترة حاسمة فى تاريخ اليهود. وكنت أعمل فى إنجلترا فى غير تردد ولا تراخ، ولكن كان عليَّ كذلك أن أعمل فى خارج إنجلترا، وأن أعمل بين اليهود فى أوروبا حتى أجعلهم يقدرون فكرة الصهيونية حق قدرها.

وكانت سنة ١٩٠٦ هى السنة التى اعتزمت أن أوقف فيها حياتى على الصهيونية، وكانت هى كذلك السنة التى احتدم فيها الجدل بين أنصار (هرتزل) ومشروع أوغندا وبين أنصار الصهيونية

الكلاسيكية وسرعان ما تحول هذا الجدل إلى جدل بين الصهيونية السياسية وبين الصهيونية العملية.

كان أنصار الصهيونية السياسية يقولون فى جدلهم: إن فلسطين هى ملك من أملاك الدولة العثمانية، وهذه الدولة تحظر علينا شراء الأراضى هناك، وإذن فليس أمامنا سوى طريق واحد للتغلب على هذه الصعوبة، وهذا الطريق هو الاستعانة بدولة كبرى والحصول منها على وعد يبيح لنا تنفيذ مشروعنا فى فلسطين، ولم يكن هناك سوى ألمانيا وبريطانيا لتحقيق آمال اليهود. أما ألمانيا فرفضت كل تدخل، وأما بريطانيا فكانت هى التى تعرض على اليهود كل مساعدة، وكل استعداد لتحقيق أمانيهم.

أما أنصار الصهيونية العملية، وكنا نحن - يهود روسيا - أصحاب فكرة الصهيونية العملية، فلقد كانت نظرتنا إلى ذلك نظرة أكثر واقعية، وأقرب إلى أن تكون نظرة بيولوجية للفكرة.

وفى الحق أنه لم يكن هناك تناقض بين الصهيونية السياسية، والصهيونية العملية، وإنما خيل للبعض فقط أنه يوجد بينهما تناقض.

كنا نحن، أصحاب الصهيونية العملية، نؤمن بوجوب احتلال أراضى فلسطين، والعمل على إحياء التقاليد اليهودية بين يهود العالم، وإحياء وتعميم اللغة العبرية، ثم ربط يهود العالم بفكرة

وطنهم، ووطنهم هو فلسطين.

وفى المؤتمر الثامن الذى عقد عام ١٩٠٧ فى (لاهاي) وقفت أنا لأخطب باسم أنصار الصهيونية العملية، فكان مما جاء فى خطابى قولي:

(إن عملنا السياسى مهم، ولكن هذا العمل يجب أن نعززه بأعمالنا الواقعية فى فلسطين. ولو أننا نمزج الصهيونية السياسية بالصهيونية العملية لخرجنا من ذلك بالصهيونية الصحيحة التى تودى بنا إلى تحقيق أهدافنا.

أنا أعلم أنه يوجد بينكم من يتحدث عن الدولة العثمانية، وعن قوانينها التى تحظر علينا كذا وكيت من أعمال فى فلسطين، أما أنا فأرفض هذا الهذيان، وأوكد أن العزيمة، والإصرار يتغلبان على الاتراك، وعلى قوانينهم.

وهناك شيء آخر: إنكم تتحدثون عن وعد تنالونه من دولة كبرى يبيح لكم العمل فى فلسطين، وانا أؤكد لكم أن ألف وعد كهذا لا يفيد إن لم نعمل نحن أولا فى فلسطين، ونقوم بالأعمال التى من شأنها أن تحول فلسطين هذه إلى وطن عملى لليهود).

وفى سنة ١٩٠٧ تلك التى خطت فيها الصهيونية خطوة واسعة إلى الأمام، كان قد صار واجبا عليَّ أن أذهب أنا بنفسى إلى فلسطين

وأدرس الحالة هناك، ثم نأخذ فى العمل المجدى الذى يمكن ان نعتمد عليه للخطوات الحاسمة فى المستقبل.

وقد ذهبت بالفعل إلى فلسطين، وقضيت هناك بضعة أسابيع، ثم عدت لأعمل، ولأواظب على العمل الذى يصلح لوثبات المستقبل، وفى الفترة التى انقضت بين سنتى ١٩٠٧ و١٩١٤، أى بين سنة ١٩٠٧ وبداية الحرب العالمية الأولى أرسلنا إلى فلسطين موجات جديدة من المهاجرين الأشداء، الممتلئين حماسة لفكرة وطنهم القومي، وأوجدنا حركة عمالية واسعة، وأنشأنا مستعمرات قوية، وقوينا المستعمرات الضعيفة.

وفى الجملة أعددنا فى الفترة بين سنتى ١٩٠٧ و١٩١٤، العدة اللازمة لمواجهة الحرب وما عسى أن تعود علينا من وعود وعهود، ومن فرصة سانحة لبناء فلسطين من جديد، يهودية لليهود.

وبالفعل لقد وجدنا فى فلسطين حين أخذنا وعدنا وجئنا إليها بعد الحرب لتنفيذ الوعد، أساسا يصلح للبناء عليه. وشعرنا اننا لسنا بادئين، وإنما كنا نكمل بناءنا الذى بدأناه.

الجامعة العبرية

ولدت فكرة إنشاء الجامعة العبرية فى القدس مع ولادة فكرة الصهيونية، وكنت أنا من أشد الناس تحمسًا لها، وقد تحدثت إلى (هرتزل) فى صدد الجامعة عام ١٩٠١ فوعد بأن يعمل للحصول على (فرمان) من السلطان عبدالحميد لاقامة الجامعة، الا ان (رتزل) أخبرنى فى عام ١٩٠٢ بأن مساعيه فشلت.

ولكن نحن، نحن أصحاب فكرة الصهيونية العملية لم نهتم بكلام (هرتزل) وقلنا إن رفض السلطان لا قيمة له. وفى عام ١٩٠٢ بالذات نشرنا كراسة عن فكرة الجامعة كان لها أحسن وقع بين يهود العالم أجمع، وتوالت علينا رسائل التشجيع، والتبرعات من كل حدب وصوب، وقدم ألوف من الشبان، ومن العلماء والفنانين أنفسهم لخدمة الجامعة وتحقيق فكرتها.

وفى عام ١٩١٣، أدرجت فكرة الجامعة فى جدول أعمال المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى (فيينا) فى تلك السنة.

وكنت أنا قد أعجبت بموقع على جبل الطور يصلح لإقامة الجامعة عليه، سبق أن شاهدته حين زرت فلسطين عام ١٩٠٧، وكان (روبين) قد حصل من أحد أغنياء اليهود فى روسيا على ٥٠٠٠ جنيه لشراء الموقع، الذى تملكه (الليدى جراى هل)، وقد طلبناه منها عام ١٩١٦ والحرب ضحله فأعجبت من طلبنا، واعتبرت ثقتنا بانتصار بريطانيا دليلا حسنا وفألا طيبا، إذ كيف نقدم على شراء أرض فى القدس من عائلة إنجليزية إن لم نكن واثقين من نتيجة الحرب، ومن انكسار الألمان والأتراك؟ وقد قدمت اللادى الموقع بدون مقابل.

الحرب العالمية الأولى

فى ٢٨ تموز عام ١٩١٤ ذهبت مع قرينتى إلى سويسرا لقضاء إجازة الصيف، وكنا ذهبنا برغم تلبد الجو السياسى الدولي، لأن فكرة الحرب لم تكن مختمرة فى النفوس، ومتوقعة كما كانت فى الفترة الطويلة التى سبقت إعلان الحرب العالمية الثانية.

وعلى كل حال كنت محتفظا حين سافرت إلى سويسرا فاخذت معى جواز سفرى الإنجليزي، وأوراق توصية، وبعض نقود ذهبية وعندما كنا هناك أعلنت الحرب فكان علينا أن نعود، ولما وصلنا

إلى فرنسا كانت معركة (المارن) فى أوجها، وقد شاهدنا باريس تفيض بالحماسة، والوطنية، والحيوية، فذهبت إلى البارون روتشلد، وتحادثنا طويلًا حول الحالة، فكان من رأينا ان الحرب لابد وأن تمتد إلى الشرق الأوسط، وأن تتورط فيها تركيا، وإذن فقط فتح أمام اليهود باب الأمل على مصراعيه، فنصحنى روتشلد أن أعود حالًا إلى إنجلترا، وأن أثابر على الاتصال بساسة الإنجليز، والعمل معهم لمصلحة الوطن القومى وبعد شهرين من عودتى إلى بريطانيا تعرفت برئيس تحرير جريدة (المانشستر جارديان) المستر جـ. ب. سكوت الذى كان من مشاهير الصحفيين، من أصحاب النفوذ الواسع بين الساسة البريطانيين فى ذلك العهد وكانت مقابلتى الأولى معه فى منزل عائلة يهودية معروفة، وكان (سكوت) معروفا بشدة عطفه على اليهود وعلى أمانيهم فى فلسطين.

وقد سألنى (سكوت) أول ما سألني: هل أنت بولندي؟ فقلت له: أنا يهودي، ولست بولندي، فإذا أردت مخاطبتى فخاطبنى كيهودى ويهودى فقط.

وقد دعاني (سكوت) إلى زيارة فى منزله، وهناك حدثته بإسهاب عن امانى اليهود فى فلسطين فتأثر الرجل كل التأثر، فقال لى يجب أن أعمل لكم شيئا، وسيكون أول ما أعمله لكم أن أقدمك

إلى المستر لويد جورج، وكان فى ذلك الحين يشغل منصب وزير مالية بريطانيا ثم قال لى لعلك تعلم أنه يوجد فى الوزارة البريطانية وزير يهودى هو السير هربرت صموئيل.

فقلت أرجوك أن تبعدنى عن هربرت صموئيل، فهذا رجل يهودى من الصنف الذى يحاربنا ويحارب أمانينا.

مذكرات حاييم وايزمان
مع لويد جورج وغيره..

كان مقابلتى الأولى مع لويد جورج فى ٣ كانون الأول عام ١٩١٤، إلا أنه ينسى هذا فى مذكراته، ويزعم أن معرفته بى تبدأ فى عام ١٩١٧ حين بدأ عملي فى وزارة الذخائر كخبير كيماوى ويزعم فوق هذا أن الحكومة البريطانية التى كان يرأسها فى سنة ١٩١٧ قطعت وعد بلفور لليهود مكافأة لي.. أنا.. على ما قدمت من خدمات فى منصبى كخبير كيمائي.

وهذا الذى زعمه لويد جورج غير صحيح، فوعد بلفور لم يقطع كمكافأة لى ولا ناله اليهود بمثل هذه السهولة. وإنما قطع بعد جهود واتصالات، ومساع طويلة شاقة، كما سيرى القاريء فيما يلى من مذكراتي.

وفى يوم ٣ كانون الأول عام ١٩١٤ جاءنى المستر (سكوت) وقال لي: سنتناول الفطور مع لويد جورج.

ولما ذهبنا إلى هناك شاهدت بين الحضور هربرت صموئيل والكولونيل ودجود وكان ودجود فى ذلك الوقت غير معروف لدي، ولم أكن أدرى أنه سيكون أحد فرسان الصهيونية المجلين فى المستقبل.

وكم كانت دهشتى عظيمة حين بدأ الحديث فسمعت هربرت صموئيل يتحدث عن الوطن القومى حديثا كله عطف وعناية.

وفى نهاية حديثنا قال لويد جورج، انه يحسن أن تقابلوا اللورد ديلفور والمستر اسكويث، رئيس الوزارة.

وهنا زادت دهشتى حين سمعت هربرت صموئيل يقول للويد جورج:

سنفعل هذا، وأنا أعد مذكرة لتقديمها للوزارة عن فكرة إقامة مملكة يهودية فى فلسطين.

وقد كتب المستر اسكويث فى مذكراته بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩١٥ عن مذكرة هربرت صموئيل وتدخل لويد جورج فقال:

(تسلمت من هربرت صموئيل مذكرة بعنوان (مستقبل فلسطين)، وقد أسهب فيها بالحديث عن وجوب ضم فلسطين إلى الأملاك البريطانية، ثم حشد ٣ – ٤ ملايين يهودى فيها.

وانا اعترف بأنى لم أجد فى المذكرة شيئا يجذب النفس.

وكان الفارس الأخير لفكرة جعل فلسطين وطنا لليهود، لويد جورج. واهتمام هربرت صموئيل بالأمر مفهوم، فهو رجل يهودي. أما لويد جورج، فما سبب اهتمامه يا تري.

إن لويد جورج لا يعنيه من اليهود لا ماضيهم ولا حاضرهم، ولا مستقبلهم، وإنما هو رجل متعصب، فهو يفضل إعطاء فلسطين لليهود على أن تذهب فلسطين إلى فرنسا الكاثوليكية. وفرنسا الكاثوليكية عند لويد جورج هي دولة كافرة وهذا الذى كتبه اسكوبث فى مذكراته يتفق تمام الاتفاق مع ما كتبه اللورد بيترى بعد ذلك بعشر سنوات.

وكان اللورد بيترى سفير بريطانيا فى فرنسا، وقد قدمني اليه البارون روتشلد فى باريس فى نهاية عام ١٩١٤ وقد جاء فى مذكرة اللورد عن تلك المقابلة ما يلي:

(قدم لي البارون روتشلد صديقًا يهوديًا له اسمه وايزمان، وقد تحدث وايزمان إليّ حديثًا طويلا عن مشروع سخيف بشأن إقامة مملكة لليهود فى فلسطين، وهذا المشروع السخيف يعطف عليه لويد جورج، وبلفور، وجراي، وهوبرت صموئيل، ترى ماذا تقول فرنسا، المشهورة بكرهها لليهود، عن هذا المشروع وماذا يقول البابا؟).

ومهما يكن من الأمر، فلقد كان لويد جورج معنا بكل قلبه.

وقد قال لي مرة إن مشروعنا سوف يلقى مقاومة شديدة من بعض اليهود، وذكر لي أن ادرين مونتاجو، وهو يهودي، وكان يشغل منصب وزير الهند، سوف يعارض المشروع بكل قوة.

وقد أثبتت الأيام صحة ما قاله لويد جورج، وكان مونتاجو هذا هو الوحيد بين أعضاء الوزارة الذى اعترض على صيغة وعد بلفور الأولي، وكانت تنطق على إقامة مملكة لليهود فى فلسطين.

كيف أهدى بلفور القدس إلى اليهود؟

كتب لويد جورج بعد مقابلتنا له إلى الليدى روتشلد يقول: (لما زارنى الدكتور وايزمان وأخذ يتحدث لى عن فلسطين، كان لا يفتأ يذكر لى أسماء فى تلك البلاد، كنت أنا أعرف بها وأقرب اليها بحكم دراستى للتوراة من أى مكان آخر فى ميدان القتال الغربي. وهو ذلك الميدان الذى يشغلنا عن كل شيء فى ذلك الزمان) وعاد لويد جورج فذكرنى فى حديث آخر له مع هربرت صموئيل فقال حين يطوينى ويطويك الزمن ونصبح فى عالم النسيان، سوف يظل لوايزمان فى فلسطين تمثال قائم يعيد تاريخه للأذهان).

أما أنا فلست أدرى مبلغ ما عسى أن يحقق المستقبل من نبوءة وايزمان عني، إلا أنى أود أن أذكر هنا أنه لو صحت النبوءة فإنى لا اختار غير فلسطين مكاناً لإقامة التمثال لي.

وكنت أنا حريصاً اشد الحرص على نصيحة لوى دجورج لنا بان نواجه بلفور فاستعنت على ذلك بالبروفسور ألكسندر، صديق وزميل بلفور فى الفلسفة، وقد كتب ألكسندر إلى بلفور يذكرنى له،

فأجابه بلفور فى الحال برسالة يقول فيها عزيزى ألكسندر، وايزمان فى غير حاجة إلى من يقدمه إليَّ، وأنا لم أنس بعد محادثتى معه فى عام ١٩٠٦).

ولماذا ذهبت فى ذلك الحين لأقابل بلفور فى مكتبه فى لندن، كان يشغل منصب وزير البحرية فاستقبلنى بالترحيب وقال لي: (يبدو أنك لم تتغير عما كنت عليه منذ سنة ١٩٠٦ وانا أؤكد لك أنى لم أنس شيئا من محادثتك معى فى تلك السنة وإنى لأعتقد أنه متى سكت المدفع ووقف القتال ستعاد إليكم القدس، وهى ملك من أملاككم).

ومع أنى كنت أتحدث مع بلفور حديثًا شفويًا فلقد كان فى لهجة بلفور من الحزم والعزم ما جعلنى أتأكد من أن الرجل كان جادًا كل الجد. وقد دعانى أن أزوره فى منزله وأن أتردد عليه بين الحين والحين. وبالفعل لقد ذهبت إليه فى المنزل بعد ذلك ببضعه أيام، وهناك جلسنا نتحدث معًا ساعات طويلة. عن اليهود وآمالهم. حديثنا كله عن اليهود وآمالهم. وقد ذكر لى بلفور أنه كان فى بيروت قبل ذلك فى يومين فقابل هناك أرملة (واغنر) امير الموسيقى الألمانية فى ذلك العصر وأنها تحدثت إليه عن اليهود، وهنا قاطعت أنا حديث بلفور وقلت له: لا حاجة بك لأن تذكر لى حديث المز واغنر، فأنا أستطيع بنفسى أن أعيد عليك ما قالته كلمة

كلمة، فحديثها لا يمكن أن تخرج عن انها قالت لك: إن اليهود فى ألمانيا قد طغوا على كل شيء. طغوا على الثقافة وعلى العلم وعلى الموسيقى وعلى الفن وعلى كل شيء فى ألمانيا، وأن مصلحة ألمانيا تقضى بأن تتحرر من هذا الطغيان اليهودى قلت إلى بلفور هذا، ثم عقبت عليه بقولي: إن هذا الذى يشعر به الألمان هو ما يشعر به غيرهم نحو اليهود. وليس من حل لمشكلة اليهود إلا أن يقام لهم وطن فى فلسطين وأن يكون الحجر الأساسى لهذا الوطن فى فلسطين هو إحياء لغة وتقاليد اليهود.

ثم تناول الحديث بعد ذلك روسيا. وقد تكلمت عنها فى حرية وصراحة، فدهش بلفور من أنى أتحدث مثل هذا الحديث عن دولة حليفة لبريطانيا تحارب أشد الحرب لمساعدتها وحلفائها ليربحوا الحرب. أما أنا فقد أخذت أتحدث فى إسهاب عن روسيا وعن اضطهادتها لليهود وعن كرهنا لها وفى نهاية حديثى قال لى بلفور إنك يا وايزمن تعمل لقضية نبيلة، ويجب أن تتردد عليَّ مرة بعد مرة وأن تنير لى شئون قضيتكم.

وبعد ذلك بقليل اجتمعنا مرة أخرى على مائدة الليدى كرو، والليدى كرو هذه هى فرع من عائلة روتشيلد اليهودية. ولقد أعاد بلفور حديثى معه عن روسيا وأثارنى إلى الحديث من جديد عنها،

فاندفعت فى غير تحفظ إلى اثبات أن روسيا تلك دولة فاسدة مفككة الأوصال لا يرجى منها خير، وأن جهودها فى الحرب قليلة النفع وأنها لن تستمر طويلا فى ميدان القتال.

وقد كتبت الليدى كرو بعد ذلك إلى جيمس روتشلد تقول له: إن وايزمن يبدو أنه رجل من أنصار الألمان، وقد ذعر روتشلد من هذه التهمة. أما أنا فلم استغرب من هذا لأن جميع يهود غربى أوروبا في ذلك الوقت كانوا لا يفهمون من الصيونية شيئاً. وكانوا من أنصار فكرة امتزاج اليهود بالأمم التى يعيشون بينها وكان ادوين مونتاجو خير مثل اتمثل به على عقلية أولئك اليهود. فلقد كان ذلك الرجل اليهودى يعطف حتى على أمانى الهنود الوطنية، لكنه لم يكن يعطف على امانى اليهود القومية.

وكم كنت حزينًا حين حاولت أن أؤلف جهة متحدة من يهود بريطانيا للعمل لقضية فلسطين فلم أفلح. وقد كتبت فى ذلك إلى الدكتور جوده ماغنس اشكو له تلك الحالة. وبعد جهاد سنتين مع يهود بريطانيا استطعت أن أحصل منهم على تصريح يطلبون فيه فى حالة وقوع فلسطين فى يد بريطانيا أو فرنسا أن تراعى الدولة التى ستشرف على فلسطين مصالح اليهود التاريخية في تلك البلاد، وأن يتمتع اليهود بالحرية المدنية والدينية هناك على قدم المساواة

مع بقية السكان مع تقديم تسهيلات معقولة للهجرة والاستعمار وإعطاء اليهود حقوقاً بإنشاء مجالس بلدية فى مستعمراتهم، ومثل هذا التصريح فى نظري كان مهزلة، وأنا مازلت أذكر أن بلفور حين قطع وعده لنا قال لي: إن هذا الوعد سوف يلقى من الكثيرين من يهود غربى أوروبا معارضة شديدة.

اليهود لم يبنوا الوطن القومى فى فلسطين ولكن السياسة الاستعمارية هى التى خلقته وتعهدت متطوعة بتنميته

لم يكن بلفور حين قال لي: إن الوعد الذى قطعه لليهود سوف يلقى اشد معارضة من اليهود أنفسهم، فلقد أثبتت الأيام صحة ما قاله، إلا أننى لم أضعف ولم أتقاعس عن العمل، وكان يساعدنى فى ذلك كبار رجال السياسة البريطان.

وإنى لأذكر أول مرة قابلت فيها اللورد (ريدنج) وهو يهودي، فلقد كان جافا معي، بعيداً عن فكرة ضم اليهود فى وطن واحد. وقد خرجت من مقابلته وأنا أشعر بأنى كنت أتحدث إلى إنسان لا تربطه باليهود رابطة ما. وفى ذلك اليوم ذاته قابلت الجنرال سمطس، وكانت تلك أول مقابلة لى معه، فرحب بى آخر ترحيب وأخذ يتحدث إليَّ عن الوطن القومى وآمال اليهود حديثا كله عطف وعناية، وأكد لى أن بريطانيا لن تتركنا. وكان سمطس فى ذلك الوقت عضوًا فى وزارة الحرب البريطانية.

كانت عائلة روتشيلد اليهودية وهى أغنى عائلات العالم- منقسمة فالقليل منها يعطف علينا بعض العطف، والكثير منها يحارب فكرة الوطن القومي، اعتقاداً منهم أن اليهودى مواطن حيث كان، فهو فى بريطانيا بريطانى وفى فرنسا فرنسي، وهلم جرا، فإن أقمنا لليهود وطنًا فى فلسطين أفسدنا على اليهود حياتهم فى العالم كله.

وبلغ من تعصب بعض عائلة روتشيلد ضدنا أنه حين قتل ابن ليوبولد روتشيلد فى ميدان القتال فى فلسطين، أرسلت إلينا اللادى روتشيلد -أمه- خطابا تحذرنا فيه من استغلال الحادث لمصلحة الوطن القومي، وقالت لنا فى الخطاب: (إن ابنى مات فى سبيل وطنه بريطانيا، لا فى سبيل الوطن القومى اليهودى فى فلسطين).

وقد بلغ من تأثرى من سياسة كبراء اليهود فى غرب أوروبا، لاسيما فى بريطانيا نحو الوطن القومي، أنى كتبت إلى اللادى كرو، وهى من عائلة روتشيلد، رسالة خاصة قلت لها فيها:

(إننا نحن يهود روسيا الذين نعمل للوطن القومي، قد خبرنا من الاضطهاد فى بلادنا ما جعلنا نهزأ بأى اضطهاد، سنمضى فى مساعينا غير هيابين إننا نرفض أن يظل اليهودى على حالته الحاضرة، مضطهدًا حينا ومرضى عنه حينا بل أريد أن يكون لليهود وطن قويم يعيشون فيه يهودًا أولاً واخيراً، أحراراً من كل اضطهاد.

وكان عزائى الأكبر فى ذلك الوقت ظهور فئة جديدة من شبان اليهود فى مانشستر حيث كنت أعمل فى جامعتها، وكان كل فرد من هذه الفئة صهيونيا منهمسا.

أضف إلى هذا أصدقاء الصهيونية الإنجليز.. فلقد أخذوا يتزايدون، وكان معظمهم من أصحاب النفوذ، سواء فى الحكومة أو فى الصحافة.

ولست أحب أن أتفاخر، ولا أن أدل بنفسي، ولكن أحب أن اسجل حقيقة تاريخية وهى هذه:

(إنى أنا حاييم وايزمن، أستاذ فى جامعة مانشستر، عملت، وعملت وحدى فى مثابرة وجهد إلى أن وجهت الحركة الصهيونية التوجيه الصحيح، وإلى أنى عبأن لها نغرس الشبان اليهود وأنا بعد هذا روسى من قرية موتول.

وقد يكون فى قولى هذا مرارة إلا أنى أبيح لنفسى تقييدها حتى يدرك من تقاعسوا عن العمل مبلغ ما كانوا يستطيعون عمله لو أنهم اشتركوا من البداية فى الحركة اليهودية.

كيف تم تأليف
نواة الفيلق اليهودى الأول؟

انقسام زعماء الصهيونية بشأن موقف اليهود من الحرب العالمية

لما نشطت حركة الصهيونية فى بريطانيا فزع منها اليهود، وقلقوا، وكان أشد الناس فزعا وقلقاً هم يهود شرق أوروبا.

كان يهود روسيا، وشرق أوروبا يكوهون الروس، ويحتقرونهم، ويعرفون مبلغ ما فى روسيا من فوضى وضعف، وانهيار. وكانوا فوق هذا، يعتبرون نهر الراين هو آخر حدود أوروبا، فلم تكن عندهم فكرة عن حقيقة قوة بريطانيا وغرب أوروبا، ثم أمريكا وكانت ألمانيا عندهم أقوى أمم الأرض، وكان انتصارها فى الحرب حسب رأيهم، أمرا، مؤكداً، لا شك فيه.

وإذا كان هذا هو رأى يهود روسيا، وشرق أوروبا، إذن فلقد كانت جهودى ومساعى فى بريطانيا حسب رأيهم، أعمالا جنونية، لأنها ستثير الدول الأخرى إلى اضطهاد اليهود الذين يعيشون فى أراضيها.

هؤلاء اليهود الذين كانوا ينادون بوجوب بقاء اليهود على الحياد، فلقوا من جهودي، ومن نشاطي في إنجلترا، ولهذا وطدوا العزم على أن يعقدوا مؤتمراً في كوبنهاغن، وكان بلدان محايدًا، ويقرروا هناك حياد اليهود. وبالفعل أتموا هذا، إلا أني امتنعت عن الذهاب إلى ذلك المؤتمر.

ولما افتتح اليهود مكتبا للمؤتمر الحيادي في كوبنهاغن أعلنت أنا انفصالي عن صهيوني أوروبا، وانقطعت لبريطانيا وأرسلت كتابًا إلى مكتب كوبنهاغن أحذر فيه من إرسال أي شيء إليَّ صادر عن المكتب.

وليس من شك من أن روسيا، وسوء الحكم فيها، كان السبب في كره يهود شرق أوروبا، وتخوفهم من نشاطي في بريطانيا.

وإني أذكر أنه حين نلنا وعد بلفور، أخذنا نعد العدة للاحتفال بالوعد في الاوبرا في لندن، وقد تصادف أن كان تشيلونوف في لندن في ذلك الوقت، فاعترض بشدة على فكرتنا، وقال إن احتفالكم بوعد بلفور وهو وعد صادر عن الإنجليز، خروج عن سياسة الحياد التي رسمها اليهود لأنفسهم وحافظوا عليها بل لقد ذهب اليهود إلى أبعد مما ذكرت، وإليك التفاصيل:

لما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان فلاديمير جابوتنسكى في الإسكندرية مراسلًا لجريدة روسية، وكان جابوتنسكى من رجال

الثورة، كذلك كان روتبرغ، وإن كان روتنبرغ أعرق في الثورة، وكان من المقربين إلى (كرنسكي).

وفي الإسكندرية خطر لجابوتنسكي أن يؤلف حملة يهودية تشترك مع الإنجليز في الحرب في الشرق الأوسط، على أن تكون نواة الفيلق اليهودي الأول من يهود فلسطين الذين أخذوا يهربون إلى مصر.

ولما قويت هذه الفكرة في رأس جابوتنسكي، جاء إلى لندن وتعاون مع روتنبرغ في تحقيق المسألة، واشتركت أنا معهم ووجدنا من الحكومة البريطانية كل عطف وتشجيع.

وانتهت جهودنا بتأليف فرقة البغالة التي حاربت، أول ما حاربت، في الدردنيل ثم في فلسطين، وهي النواة الأولى للجيش الإسرائيلي.

والغريب أن يهود شرق أوروبا، الذين كان يمثلهم مكتب كوبنهاغن اعترضوا بشدة على فكرة تأليف قوة عسكرية تحارب مع الحلفاء، بحجة أن عملًا كهذا فيه خروج على الحياة.

غرس الصهيونية فى قلوب اليهود..!

حماسة البريطانيين والكنيسة منذ البداية لفكرة بناء الوطن القومي

كانت الصهيونية عندي نتيجة شيء إيجابي في اليهود وليست نتيجة شيء سلبي فيهم. وكان (هرتزل) يعتقد أن تشرد اليهود فى العالم، والاضطهادات التى يلقونها، والآلام التى يقاسونها كافية لإثارة اليهود إلى الأخذ بفكرة الصهيونية والعمل على إيجاد وطن قومى لهم. أى أن (هرتزل) كان يعتقد بأن هذه الناحية السلبية فى حياة اليهود خليقة وحدها بأن تثيرها إلى القلق بالصهيونية، أما أنا فكنت أخالف رأى هرتزل. وأنا ممن يعتقدون أن السلبية ليست بالعامل الحاسم فى حياة الإنسان. وإنما العامل الحاسم فيها هو الإيجابية وحسب اليهود تمسكا بالإيجابية أنهم عاشوا مشردين مضطهدين الوف السنين ومع ذلك فهم حافظوا ولا يزالون يحافظون على تقاليدهم ومواهبهم ومميزاتهم اليهودية، وأبوا برغم كل اضطهاد، وبرغم طول الزمن، أن يتخلوا عن يهوديتهم أى أن اليهود محافظون على الشيء الإيجابى فيهم، وهذا الشيء هو

الذى أعتمدت عليه أنا فى غرس الصهيونية فى قلوب اليهود وفى جعله العامل الأول لإثارة اليهود للعمل لإيجاد وطن قومى لهم فى وطنهم الأول (فلسطين).

ودعنى أضرب مثلًا على ما ذكرت ففى الحرب العالمية الثانية كان اليهود فى فلسطين هم وحدهم، دون جميع الأمم الأخرى التى تعيش فى حوض البحر الأبيض المتوسط، الذين كانت الأمم المتحدة تستطيع الاعتماد عليهم فى الحرب ضد النازية والفاشية، وليس هذا بسبب أن النازية كانت تضطهد اليهود وإنما السبب أن تقاليد اليهود الموروثة تتفق مع مبادئ الديمقراطية، ولو أساءت الديمقراطيات اليهم. فى حين أنها تتنافر مع الدول النازية -حتى على فرض أن هذه الدول حاسنت اليهود.

وهناك شيء آخر أريد أن اتحدث عنه قبل أن أتناول الكلام عن كيف نلنا وعد بلفور. وهذا الشيء هو تلك التهمة التى اتهم بها اليهود حين قيل عنهم إنهم أدوات استعمارية فى أيدى الإنجليز.

والذى أريد تقييده هنا أن الإنجليز كانوا، منذ البداية، متحمسين لليهود، ولفكرة بناء وطن لهم فى فلسطين. وكان رجال المدرسة القديمة من الإنجليز هم أشد الناس حماسة لليهود.

مذكرات حاييم وايزمان

كان الإنجليز يريدون أن يحققوا لليهود آمالهم فى فلسطين، إلا أنهم كانوا كذلك لا يريدون أن يتحملوا هم مسئولية ذلك، أى أنهم كانوا يريدون أن يقيم اليهود فى فلسطين، وأن يستقبلوا فيها، على أن لا تضم فلسطين إلى الأملاك البريطانية، حتى يتفادوا مسئوليات جديدة، كانت هذه هى رغبة الإنجليز، ولكن كان لهم رغبة أخرى هى أن تظل فلسطين لليهود، لا تذهب إلى دولة أخري، ولا تقع تحت نفوذ دولة أخري، لاسيما فرنسا.

كانت هذه هى سياسة بريطانيا، وكان من رأيى أنا أن كل هذا طيب ومعقول ولكن كان لابد لنا من حماية دولة لنا لمدة سنوات إلى أن يقوى اليهود فى فلسطين ويستطيعوا الوقوف على أرجلهم إذن فما هو الحل؟

كان الحل عندنا هو أن ننتدب بريطانيا على فلسطين لتتولى الإشراف علينا ١٠-٢٠ سنة، حتى إذا تقوينا ذهبت بريطانيا وبقيـ نحن، فنحن الذين أعطينا فلسطين إلى بريطانيا مؤقتا وليسـ بريطانيا هى التى اعطتنا فلسطين كيف يقال هنا أننا أدوات استعما فى يديها؟

وللقارئ أن يسأل: ولماذا كانت حماسة الإنجليز لليهو

مذكرات حاييم وايزمان

وشدة عطفهم على أمانى اليهود فى فلسطين؟

والجواب على ذلك أن الإنجليز لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة، هم أشد الناس تأثرا بالتوراة، وتدين الإنجليز هو الذى ساعدنا على تحقيق آمالنا لأن الإنجليزى المتدين يؤمن بما جاء فى التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين.

وقد ساعدتنا الكنيسة الإنجليزية فى هذا الباب أكبر المساعدات.

أول مذكرة يهودية
لتأسيس الوطن القومي

موجة عطف عالية وقوية فى عالم السياسة البريطانية على اليهود

فى خلال الفترة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى كانت الصهيونية قد تطورت تطوراً كبيراً خرجت فيه من دور النظريات والدعايات إلى دور العمل والتنفيذ وكان الرأى العام قد تنبه لنا، وعطف علينا، وكنا نحن قد أصبحنا فى مركز يساعدنا على أن نعرف من كان معنا، ومن كان علينا.

وليس من شك فى أننا وجدنا فى (عالم السياسة البريطانية) موجة عالية جداً، وقوية جدا، من العطف علينا، وعلى أمانينا فى فلسطين.

ومن أدلة تطور الرأى العام، لاسيما فى بريطانيا نحو العطف علينا، وعلى أمانينا أن السر إدوارد جراي، وزير خارجية بريطانيا، أرسل فى آذار عام ١٩١٦ م إلى السفير البريطانيا فى روسيا، وكان السفير حينئذ هو السر إدوارد بوكانان، يطلب منه أن يجس نبض

روسيا فى صدد استعمار اليهود لفلسطين.

وهنا حذت فرنسا حذو بريطانيا، أو أن دقة البحث تقضى أن أقول: إن المسيو (بيشور) أرسل الأستاذ فكتور جيلوم باش إلى أمريكا ليقول ليهود أمريكا بأن فرنسا سوف تعطف، بعد نهاية الحرب مع تركيا، على المستعمرات اليهودية فى فلسطين، وسوف تحافظ عليها بالاشتراك مع بريطانيا.

وقد يبدو أن ألمانيا تأثرت بذلك فلقد فوتحت الهيئات الصهيونية فى ألمانيا بصدد فلسطين، على أن يتدخل اليهود لعقد الصلح مع ألمانيا، ووقف الحرب، إلا أن الألمان لم يكادوا يفعلون هذا حتى عادوا فعدلوا عنه.

وقد أرسلت أنا تفاصيل هذه الحركة فى ألمانيا إلى السلطات البريطانية فى مخابرات سرية.

وفى شهر كانون الثانى عام ١٩١٧م رأيت أنه قد حان الوقت لعمل شيء حاسم وللحصول على تصريح قاطع واضح يحافظ لليهود آمالهم فى فلسطين. ولهذا قدمت فى ذلك الشهر مذكرة اعددتها مع اللجنة الصهيونية، إلى السر مارك سايكس، ثم عقدت معه عدة مؤتمرات للبحث فيها، وأخيرا رفعت المذكرة وهى الأولى من نوعها إلى الحكومة البريطانية.

وهذه المذكرة وضعها فريق من علماء، وفلاسفة، وتجار ومحامي اليهود ولكن لم يشترك فيها أحد الخبراء في الضرائب والإدارة، وبناء الممالك، ومع ذلك كانت صورة صادقة عما انتهت إليه الصهيونية في فلسطين.

وإليك خلاصة تلك المذكرة.

١- الشعب اليهودى فى فلسطين يعنى اليهود الموجودين الآن فى فلسطين أو اليهود الذين سيهاجرون إليها فى المستقبل. وعلى الحكومة التى ستحكم فلسطين أن تعترف بهؤلاء اليهود على أنهم الشعب اليهودي، ولهذا الشعب أن يتمتع فى فلسطين بجميع حقوقه المدنية والقومية.. والسياسية.

٢- على الحكومة التى ستحكم فلسطين أن تسهل ليهود العالم حرية الهجرة إلى فلسطين، وأن تعطيهم كذلك حق الجنسية الفلسطينية، ثم حرية شراء الأراضي.

٣- على الحكومة أن توافق فى الحال على تأسيس شركة يهودية لاستعمار فلسطين باسم اليهود. ويجب أن لا تقتصر مساعدة الحكومة لهذه الشركة على شراء الأراضى ولكن يجب أن تنقل إليها جميع الأراضى الأميرية كذلك.

بريطانيا تتبنى بمفردها إقامة الوطن القومي

والصهيونيون يختارون انتدابها بعد أن اتفقوا على الفريسة..!

أصبحنا، بعد تقديم مذكرتنا إلى الحكومة البريطانية، وبعد تنبه الدول لنا فى وضع يحتم علينا أن نعمل عمل أمة لها كيانها الدولي، أو على الأقل عمل الأمة التى سيكون لها كيان دولى عن قريب. ولنا كانت دولة واحدة فحسب تعمل معنا العمل الجدى لتحقيق آمالنا فى فلسطين، هى بريطانيا، ولكن دولة واحدة لا تكفي، ويجب علينا أن نسعى لضم دولة أخرى إلى معسكرنا، ولكن من هي؟ كانت ألمانيا وروسيا فى وضع لا يلائم التفكير فيهما، وكانت إيطاليا متأثرة بالفاتيكان، بقيت فرنسا. وفرنسا لم تكن فى أى وقت ماضي متحمسة لليهود، ولا لفكرة وطنهم القومى فى فلسطين.

وأخيراً، وفى ١٧ شباط عام ١٩١٧م عقدنا أول مؤتمر رسمى لبحث مسألة فلسطين مع مندوب الحكومة البريطانية، وكان

فى ذلك الوقت السر مارك سايكس أما نحن، ممثلو اليهود، فقد كنا: الدكتور جالجتر، اللورد ووتشلد، هربرت صموئيل، جيمس روتشلد، سكولوف، جوزيف كوهن، هربرت بنتويتش، هارى ساكر، وأنا.

والغريب أننا حين اجتمعنا ذلك الاجتماع مع السر مارك سايكس، قال لنا: إنه يجتمع بنا بصفته الشخصية، لا الرسمية. وأغرب من هذا أنه ذكر لنا هذا ولم يذكر لنا أنه قبل أن يجتمع بنا كان قد اتفق مع فرنسا على شئون سوريا وفلسطين ذلك الاتفاق الذى عرف فيما بعد باسم معاهدة سايكس- بيكو.

وأنا حين أقيد هذا لست اتهم بذلك مارك سايكس، فلقد كان الرجل مخلصاً للصهيونية، وأدى لها أكبر الخدمات، وكان اتفاقه السرى مع فرنسا مفيد لنا، لأن سايكس كانت له براعة سياسية يتغلب بها على مصاعب كنا نحن نعجز عن تخطيها.

وفى اجتماعنا المذكور اتفقنا على رفض أى حكم ثنائى فى فلسطين، أو أى حكم دولى فيها. وكنا صريحين فى أننا نحن الصيونيين نريد انتدابا بريطانيا، وبريطانيا فقط، على أساس المذكرة التى قدمناها: وأوضحنا كذلك أن كل هذا الذى نريده فى فلسطين لا شأن له بالأماكن المقدسة التى لا نعارض فى وضعها تحت

الاشراف الدولي

وكان آخر ما اتفقنا عليه اننا نريد اليهود فى فلسطين، واليهود الذين سيهاجرون إليها أن يعيشوا هناك يهودًا، لا أن يعيشوا عربًا، أو إنجليزا، أو دروزا.. أى أن اليهود يذهبون إلى فلسطين ليقيموا فيها وطنا، وقومية، ودولة.

وبعد أن انتهينا من بحث فلسطين، ومستقبل اليهود فيها، شرعنا فى بحث موقف الدول من فكرة الوطن اليهودى فى فلسطين. وهنا قلنا إن الأدون برانديز، رئيس الحركة الصهيونية فى أمريكا، ومستشار الرئيس ويلسون فى الشئون اليهودية كان من رأيه وجوب قيام انتداب إنجليزى لا سواها على فلسطين.

وهنا تكلم مارك سايكس فقال إن بحوثه الشخصية مع سازانوف، وزير خارجية روسيا، توحى له بأن روسيا لا تهتم بالأمر. وأن إيطاليا هى الأخرى معنية بأشياء غير هذه وأنها تسير حيث تسير فرنسا ثم قال: إن اهم عقبة امامنا هى فرنسا. لأن فرنسا تريد سوريا وتريد فلسطين ولا تنسى نفوذها الأدبى فى الشرق ولا نفوذها الدينى هناك.

وهنا قلنا نحن لمارك سايكس: إننا مستعدون للتفاوض مع فرنسا. ولكن روتشلد الفرنسى قال: إياكم أن تفكروا فى ذلك

لأن فرنسا ليست بريطانيا وأنه إذا تفاوض اليهود معها فى موضوع فلسطين فسرعان ما تضغط على رؤساء الدين اليهودى فيها حتى يطالبوا بوجوب انتداب فرنسا على فلسطين، وليس هذا من مصلحتنا كيهود.

وعاد سايكس فتكلم وقال: وهناك العرب، ويقظتهم الوطنية، إلا أننا نستطيع التغلب على ذلك إذا أحسنا المفاوضة معهم، لاسيما أن زعيمهم الأمير فيصل رجل موزون، ومعروف باتجاهاته المعتدلة.

وفى ٢٢ آذار عام ١٩١٧م اجتمعت باللورد بلفور، الذى أصبح وزيرًا للخارجية بدلًا من السر إدورد جراي، فتحدثت إليه عن موقف فرنسا وعدائها لنا، وهنا قال لى بلفور: إذا أبت فرنسا الاتفاق مع بريطانيا لمصلحة فما عليكم إلا أن تذهبوا إلى أمريكا لنتفق معاً.. لنعمل نحن وأمريكا فى سبيلكم.

وقد كتبت أنا إلى المستر سكوت أقول: (إن رأى بلفور عظيم، ولكن الأمريكان لا يعنون بفلسطين، ولا بأى مسئوليات خارج حدود أمريكا).

يهود العالم يتطلعون لبريطانيا ويفضلون ان يحكم الإنجليز فلسطين على أساس إقامة الوطن القومي.

عدنا إلى الاصطدام مع فرنسا حين شرعت فى بحث شئون

فلسطين مع المستر اسكويث رئيس الوزارة البريطانية. وكانت خلاصة معاهدة سايكس - بيكو تتضمن أن تأخذ فرنسا سوريا الشمالية ثم فلسطين من حدود عكا إلى طبريا، بما فى ذلك حوران، اما باقى فلسطين فكان يجب أن يصبح دوليا.. وكان هذا الاتفاق بين سايكس وبيكو، إلا أن الإتفاقية لم تكن حاسمة.. ولا تامة.. وكان هذا بفضل براعة سايكس.. ولما كانت اتفاقية سايكس- بيكو سرية.. وسرية جدا.. فسرعان ما الغيت حين دخلت أمريكا الحرب فى آذار ١٩١٧م ، وحين أعلن الرئيس ويلسون وجوب إلغاء كل معاهدة سرية.. وضعت بين دولة واخرى من دول الحلفاء.

وفى ٢٥ نيسان عام ١٩١٧ م تباحثت عن فلسطين مع اللورد سيسل الذى عرف فيما بعد أنه من أعظم بناة جامعة الأمم، وكان سيسل من أشد المتحمسين لفكرة الوطن القومى لليهود، شأنه فى ذلك شأن بلفور، وملز، وسمطس، وغيرهم.

ولما كانت معاهدة سايكس - بيكو حتى ذلك الوقت لا تزال سرية، فأنا لم أذكرها صراحة وإنما درت حول الموضوع بمهارة، ولباقة، فذكرت للورد سيسل أن اليهود فى العالم كله يتطلعون إلى بريطانيا، ولا يرضون عنها بديلا، وأشرت من طرف خفى إلى الفرق بين الحكم البريطاني، وبين الحكم الفرنسى وفى الأخير سألنى

اللورد: لماذا يعارض اليهود أن تحكم فرنسا فلسطين؟

فقلت للورد: ان الفرنسيين حين يحكمون بلدًا ما يتدخلون فى شئونه الخاصة ويفرضون عليه الروح الفرنسية فرضًا، ثم قلت إن هذا الذى فعله اليهود فى العهد التركى فى فلسطين لم يفعل مثله الفرنسيون فى تونس خلال حكمهم الطويل هناك.

وهنا قال: لماذا لا تذهب أنت بنفسك إلى فلسطين، ولماذا لا تعبيء الرأى العام اليهودى فى العالم كله ليطالب بقيام بريطانيا على الحكم فى فلسطين؟ فقلت للورد إنى سأفعل هذا أما ذهابى إلى فلسطين فلم يتحقق إلا بعد صدور وعد بلفور، أما تعبئة الرأى العام اليهودى فى العالم كله لتعزيز فكرة قيام الإنجليز على الحكم فى فلسطين فقد حققتها بالمساعى المتواصلة.

وهنا لابد لى من ايضاح أمر، فنحن اليهود كنا نسعى إلى جعل فلسطين وطنا لنا وإقامة مملكة لنا فيها، وقد دعونا الإنجليز إلى حكمها على هذا الأساس ثم جعلنا جامعة الأمم تنتدب الإنجليز على فلسطين لهذه الغاية، فنحن الذين اعطينا فلسطين للإنجليز مؤقتا وليس الإنجليز هم الذين وهبوها لنا.

وكثيرا ما قلت وأعدت القول للورد سيسل بأن وجود اليهود فى فلسطين نافع للإنجليز وأنه يضمن لهم حماية قناة السويس وقد

جاءت الحرب العالمية الثانية فأثبتت صحة نظر اليهود ترى ماذا كان جرى للإنجليز لو أنهم تركوا فلسطين إلى غير اليهود وتسرب اليها النازى كما تسربوا خلال الحرب إلى سوريا والعراق؟

أما تعبئة الرأى العام اليهودى فكان أمراً لا يمكن تحقيقه إلا إذا أشركنا فى ذلك يهود أمريكا، فأخذت أنا فى مخابرة الأدون برانديز، مستشار الرئيس ويلسون، حتى حولته إلى قوة عاملة، فاندفع إلى العمل بكل ما يملك من قوة ومن نفوذ.

وفى آذار عام ١٩١٧م، دخلت أمريكا الحرب، وفى نيسان من تلك السنة ذهب بلفور إلى أمريكا، ومع أنه كان يعطف على اليهود منذ مطلع القرن العشرين إلا أنه حين ذهب إلى أمريكا فى نيسان عام ١٩١٧م كان وزيرًا للخارجية فى بريطانيا، فكان عطفه على اليهود مشروحا كذلك بالمنصب الذى يمكنه من أن يعمل لليهود ويحقق لهم آمالهم.

ولم يكد بلفور يصل إلى أمريكا حتى ذهب إلى الأدون براندير، وقال له: أنت الرجل الذى أبحث عنه.. ومن ذلك الحين أوقف بلفور جهوده على تحقيق فكرة الوطن القومى، وساعده على ذلك براندير الذى حول الرأى العام الأمريكى ليطلب انتداب بريطانيا على فلسطين لتحقيق آمال اليهود فيها.

بريطانيا تختار وايزمان عضوا بلجنة سرية

في صباح أحد الأيام في أوائل شهر حزيران عام ١٩١٧، تسلمت برقية من الأدون برانديز، يقول فيها إن بعثة أمريكية ستترك أمريكا في طريقها إلى الشرق الأوسط عن قريب، وأن الواجب يقضي عليَّ بأن اتصل بها في أي مكان وبأي وسيلة.

هذا كان كل ما ورد في البرقية. وقد فهمت منها شيئا واحدا هو أن تلك البعثة لها صلة مباشرة بأماني الصهيونيين، وأنها قد تكون مفيدة لهم، وقد تكون مضرة، ولكن من هي تلك البعثة؟ وما مهمتها؟ وأين تذهب؟ وهل هي معنا نحن اليهود أم ضدنا؟

وأخيراً.. ذهبت إلى اورمسبي غور..

ثم ذهبت إلى مارك سايكس.. فقال لي: إن البعثة المذكورة ذاهبة إلى تركيا لتقنعها بالخروج من الحرب من صف ألمانيا، وأن رئيسها هوهنري مورجانتو سفير امريكا في تركيا، وهو يهودي يكره الصهيونيين. أما البعثة فهي في طريقها إلى سويسرا عن طريق إسبانيا، وهي سرية، إلا أن الرئيس ويلسون أرسل مخابرات سرية إلى فرنسا، وبريطانيا عنها وعن غاياتها، وطلب منها تعيين مندوبين عنهما في البعثة.

وقد فاتحت وزارة الخارجية البريطانية في شأن تلك البعثة،

فقال لي رجال الوزارة إنه لن يتم اتفاق مع تركيا إلا إذا استخلصنا منها أرمينيا، وسوريا، والجزيرة العربية.. أما ويلسون فكان يريد فصل تركيا عن الحرب على أن يحتفظ لها بوحدتها.

فلم اطمئن إلى جواب وزارة الخارجية البريطانية.

وبعد اسبوعين فهمت أن مورجانتو سوف يصطحب مع بعثته بعض الصهيونيين وبعض ممثلين عن بريطانيا، ولما اطلعت على أسماء الممثلين الصهيونيين والبريطانيين قلقت وزادت مخاوفي.

وفكرت في المسألة كثيرا، وأخيرا قلت: إن الرجل الوحيد الصالح لمرافقة هذه البعثة هو مارك سايكس.. ذلك أنه رجل خبير بالشرق الأوسط، وأنه حائز لثقة اليهود، والأرمن و.. العرب.

وبعد بضعة أيام قضيتها في حيرة وتفكير في أمر تلك البعثة، جاءتني دعوة خاصة من بلفور.. وزير خارجية بريطانيا، ولما ذهبت إليه وجدته في حيرة مثل حيرتي، فقال لي إنه في ظلام دامس في صدد تلك البعثة لأنه لا يدري عنها وعن أسرارها شيئا، وغاية ما استطعنا إدراكه من أمرها، أنها ذاهبة لتنحية تركيا عن الحرب، وأن الفكرة فكرة مورجانتو، وان ويلسون بارك الفكرة وأن فرنسا طربت لها.

أما نحن والإنجليز فقد كنا ضد الفكرة بل لا نريد التفكير فيها، أو سماع شيء عنها، وكان مجرد تصورها يقلقنا.

كان الإنجليز يكرهون الفكرة ويحاربونها، ويريدون القضاء عليها، وإرجاع مورجانتو وبعثته إلى حيث جاءوا، ولكن كيف؟ كيف يمكننا إرجاع مورجانتو من الطريق دون أن نثير غضب الرئيس ويلسون؟ وكيف نستطيع تحقيق ذلك إلا إذا تسلحنا بسلاح رسمي؟ ولكن ما هو ذلك السلاح؟

وهنا فكر بلفور، وبكر.. ثم طالعني بالمعجزة..

قال لي بلفور: إن الرئيس ويلسون طلب منا تعيين ممثل عن بريطانيا في البعثة، وإذن فلتكن أنت ذلك الممثل، وسأزودك بأعظم سلطات التمثيل وعليك بعد ذلك أن تذهب إلى جبل طارق وأن تقابل مورجانتو هناك، وتفعل ما يمكن ربما لا يمكن لإرجاعه من حيث جاء.

وقد طربت أنا الفكرة أشد الطرب واستأذنت من وزارة البحرية فأجازت لي أن أترك عملي إلى حين. ولما تسلمت من بلفور أوراق اعتمادي، أخذت معي (كنرلي رومفورد) كضابط استخبارات. ورمفورد ذلك كان مغنيا.. وكانت زوجته كلارا.. من أروع النساء.. وسافرنا مختفين إلى إسبانيا عن طريق فرنسا، وفي مدينة (أرون) التحقت بنا جاسوسة لنا وهي امرأة حسناء تقود سيارة فخمة، وتبدو في مظاهر الترف والثراء.

ولما وصلنا إلى سان سباستيان كنا نحاط حيث ذهبنا بالجواسيس الألمان.. ومع ان رومفورد كان متخفيا.. وفى مهمة سرية.. فلقد كانت أخلاقه ليس بأخلاق الجاسوس، وذات مرة دخلنا عربة قطار فلحق بنا جاسوس ألمانى بلباس مدنى وجلس كمسافر.. إلا أن رومفورد أخرج مسدسه.. وشهره فى وجه الجاسوس وطرده من العربة وكان عمله هذا فضيحة لنا لأنه كشف عن حقيقة رومفورد.

تآمر وايزمان يطيل الحرب الأولى عامين!

الصهيونيون ليسوا أهلا للمساعدة وليسوا بالرجال الذين يركن إليهم.

وكنت قبل أن أغادر لندن إلى إسبانيا قد سألت وزارة الخارجية البريطانية عما إذا كان لديها ما يمنع أن أزور (ماكس نوردو) الكاتب الاجتماعى اليهودى الشهير الذى يقيم فى مدريد لانه كان نمساوى الجنسية، وفى الحرب رفضت فرنسا قبول بقائه فى أراضيها فذهب إلى اسبانيا المحايدة وماكس نوردو هو زميل الدكتور ثيدور هرتزل مؤسس الصهيونية. فأجابتنى الوزارة بأنه ليس لديها مانع إلا أنها رأت أن أستشير فى ذلك سفير بريطانيا فى مدريد.

وقد أثار هذا الجواب مخاوفى وظننت أن هناك صعوبات ستحول دون زيارته، ولكن كم كانت دهشتى عظيمة حين وصلت إلى مدريد وذهبت إلى السفارة البريطانية لاستأذنها، فإذا بالسفير يدعونى إلى تناول الغداء معه، ظهر ذلك اليوم، ثم قال لي:

وسيكون معنا ماكس نوردو.. قال لى هذا قبل أن اسأله هل يمكننى زيارة الرجل؟

وقد وصلنا إلى جبل طارق يوم ٣ تموز عام ١٩١٧م أى قبل ميعاد وصول مورجانتو وبعثته إلى قادس بيوم، وفهمنا ان ضابطاً استخبارات بريطانياً ذهب إلى قادس ليحرس البعثة فى طريقها من هناك إلى جبل طارق.

كانت البعثة الأمريكية تتألف من المستر مورجانتو وقرينته، والبروفسور فلكس فرانكفورت - وكان فرانفكورت فى ذلك الوقت مساعدا لوزير خارجية أمريكا - ولويل ايشتين من الرواد الصهيونيين ورجل أرمنى نسيت اسمه.

وقد أحضرت معه وبرغم إخطار البحار بسبب حرب الغواصات ١٨ صندوقا من الحوائج واللوازم، والوثائق بالإضافة إلى ٤٠٠ ألف دولار ذهبا.

وكنت أعرف ابيشنين معرفة جيدة، أما فرانكفورت فسمعت عنه فقط، كما كنت أسمع عن مورجانتو. أما الرجل الذى كان يرافق مورجانتو، ويعمل كسكرتيراً ومستشار له، فلقد كرهته الساعة التى رأيته فيها. وهذا الشخص ترك تركيا قبل ذلك بستة أسابيع، وكان يعمل كخبير أعلى شئون تركيا ويشير على مورجانتو بكل كبيرة وصغيرة.

وفى ٤ تموز، وصل إلى إسبانيا ممثل فرنسا وكان اسمه الكولونيل (ويبل) وكان (ويبل) يعمل من قبل رئيسًا بشركة احتكار الدخان فى تركيا، وكان يتكلم اللغة التركية بطلاقة.

وقد تبين لى أن فرنسا كانت جادة فى مسألة الصلح المنفرد مع تركيا على أساس الاحتفاظ بوحدة الأراضى التركية، أما أنا فقد أدركت فى حال أن البعثة فاشلة، بل يجب أن تفشل، وقد فشلت.

وكان من رأى مورجانتو أن تركيا متبرمة بالحرب، ومتبرمة بالألمان وبغطرستهم.

وكان من رأيه كذلك أنه يمكن اكتساب طلعت باشا إلى جانب الحلفاء، وضرب أنور باشا به، ثم عقد صلح منفرد مع تركيا.

وقد وضعت انا، بصفتى ممثل بريطانيا العظمى فى البعثة السؤالين التاليين أمام مورجانتو وطلبت منه الإجابة عنهما:

١ - هل تظن أنه حان الوقت للحكومة الأمريكية لتفاوض تركيا مثل هذه المفاوضة؟ أو بعبارة أخرى هل يعتقد أن تركيا تشعر الآن الشعور الكافى بأنها قد هزمت، وأنها ستخسر الحرب، وأنها بحكم ذلك اصبحت فى حالة نفسية تبيح لها أن تتفاوض لعقد صلح منفرد؟

٢ - إذا صح ما قلنا عن تركيا فهل لدى مورجانتو فكرة واضحة

عن الشروط التى تضعها تركيا لقبول الصلح المنفرد؟

وكان العضو الفرنسى متحمسًا لسماع الإجابة، إلا أن مورجانتو لم يجب، وقد ظللت أحاوره وأداوره حتى اعترف الرجل بأنه عاجز عن الإجابة لأن الصلح الذى يسعى إليه هو فكرة ملأت نفسه، فهو ذاهب ليسعى لتحقيقها، ولكن ليس لديه ما يساعده على الإجابة على كل سؤال يقدم إليه.

وهنا انتقلت إلى محاورة مورجانتو فى شأن أعضاء بعثة اليهود، وسألته: لماذا احضرت معك صهيونيين، وما هى غايتك من الاستعانة فى مهمتك بالهيئات الصهيونية؟

وهنا عجز مورجانتو عن الإجابة عجزه الأول.

وبعد أيام قليلة انقلبت الحالة.. وصرح لنا مورجانتو بأنه سيتصل بالجنرال برشنج، قائد القوات الأمريكية العام، ليتصل بالرئيس ويلسون، ثم يفيدنا عن النتيجة.

أما النتيجة فقد كانت كما يلي: ذهب مورجانتو إلى بيارتز، بدل أن يذهب إلى مصر.. وفشلت البعثة، وضاعت مهمتها.

لم أر مورجانتو بعد ذلك، ولكن تصادف أنى قابلت، بعد بضع سنوات مدام مورجانتو فى حفلة عامة فى جريستون، ولما رأيتها

رفعت قبعتى واقتربت منها، ثم قلت لها: هالو مدام مورجانتو، إننا لم نتقابل منذ كنا فى جبل طارق.

ومددت يدى للسلام عليها، أما هى فأشاحت بوجهها عني، وأدارت لى ظهرها ولما قدمت لجنة لودج اقتراحها بصدد تعزيز الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، إلى الكونجرس الأمريكى فى عام ١٩٢٢م للتصويت عليه. وقف السيناتور (ريد) وقال:

إن الصهيونيين ليسوا أهلا للمساعدة وليسوا بالرجال الذين يركن إليهم، أو يثق بهم إنسان، وحسبى أن أذكر منهم وايزمان، الرجل الذى استطاع بتآمره على مورجانتو، أن يطيل الحرب عامين..

بريطانيا تعمل لليهود أكثر من اليهود!

كان الجهاد فى سبيل الحصول على وعد قاطع لاسترداد فلسطين لليهود، جهادًا عنيفًا، وجهادًا غريبًا فى بابه، لا يعرف له مثيل فى التاريخ.

فاليهود أمة حرمت.. وطنها منذ أكثر من ١٨٠٠ سنة، وقد تصدرت بريطانيا العظمى حركة إرجاع هذا الوطن لأصحابه. وأظهرت بعض الدول الأخرى عطفًا على تلك الحركة، ولكن.. قامت من بين اليهود فئة كبيرة من أوسع اليهود نفوذًا عالميًا، وأكثرهم مالًا، يحاربون الفكرة، لأنهم يعتقدون بان اليهودى هو مواطن حيث عاش، فهو ألمانى فى ألمانيا، أمريكى فى أمريكا، وهلم جرا. وخلال الستة أشهر التى سبقت إعلان وعد بلفور اشتد الجهاد بيننا وبين أولئك اليهود اشتدادا عنيفًا قاسيًا، بلغ الحدة، ذلك لأنهم كانوا يحاولون مستميتين أن يمنعوا بريطانيا من قطع

مثل هذا الوعد، فلما فشلوا، حاولوا على الأقل أن يخففوا منه وأن يضيقوا من حدوده.

وكان اليهود حملة فكرة أن اليهودى مواطن حيث كان، قد شعروا فى ربيع عام ١٩١٧م أن دعاة الصهيونية قد قويت كلمتهم، وانتشرت دعوتهم، فعزموا على العمل، وعلى العمل السريع، وكان معظم حمله فكرة محاربة الصهيونية من يهود بريطانيا.

ففى ٢٠ أيار من عام ١٩١٧م دعا يهود بريطانيا إلى اجتماع عام خطبت فيه أنا فقلت بين ما قلت:

(اقرأ فى الصحف اليهودية، وغير اليهودية، أن الصهيونيين يريدون إقامة دولة يهودية فى فلسطين فى الحال. وقد ذهب يهود أمريكا إلى حد تعيين نوع تلك الدولة، فقالوا إنها ستكون جمهورية، أما أنا فأقول إن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فى الحال. هو خطأ سياسى كبير، لأن الدول تبنى بالتدريج، ولا تبنى دفعة واحدة.

ويوجد من الناس، ومن اليهود، من يزعم أن ذهاب روسيا القيصرية سوف يقضى على حركة الصهيونيين، لأنه لم يبق لليهود حجة بعد ذلك، وبعد تحرر روسيا من اضطهادات الحكم القيصري، ومن هجرتهم من روسيا إلى فلسطين أو إلى غيرها.

أما أنا فأقول لكم إنه ليس أسخف من هذا الرأى لأن الصهيونية

والمطالبة بالوطن القومى لم تنبعثا من اضطهاد اليهود، وإنما عما وليدتا وطنية اليهود، وحاجتهم إلى وطن واحد يجتمعون فيه بعد التشتت، وهذا الوطن هو فلسطين، وطنهم التاريخي.

إنه من العار أن يتحارب الإخوان حول مطالبتنا بوطن هو وطننا. اقول هذا ثم احذركم، أنتم يا خصوم الصهيونية بين اليهود، واقول لكم ارفعوا أيديكم واحذروا العمل ضدنا).

ولكن كل هذا لم يؤثر فى أغنياء اليهود، وأصحاب النفوذ من يهود بريطانيا فنشر دافيد ألكسندر، رئيس مجلس يهود بريطانيا، وكاردمو نتفيوري، رئيس الجمعية اليهودية الإنجليزية، بيانًا فى جريدة (التايمز) هاجما فيه الصهيونية أشد هجوم، وحذرا فيه حكومة بلفور من الإقدام على عمل من الأعمال التى يسعى الصهيونيون إلى تحقيقها على يد.. بريطانيا..

كان اليهود أصحاب النفوذ يطالبون بأن يعيش اليهود فى سلام مع العرب فى فلسطين، وكانوا يقولون إن اليهودية دين، لا قومية.

إلا أن رؤساء الدين اليهودى فى بريطانيا، وفى إسبانيا، وفى البرتغال، نشروا بيانا فى (التايمز) عارضوا فيه الفكرة، واعلنوا أن اليهودية دين، وقومية.

وهنا تفضلت التايمز فنشرت مقالًا رئيسيًا قالت فيه:

ليس هناك ما يدعو إلى مثل هذه الخصومة بين اليهود.. إن العالم المسيحى لن ينقلب ضد اليهود المقيمين فيه إن هم قالوا إن يهوديتهم هى دين، وهى قومية.

وايزمان يكتب بيده وثيقة الوطن القومي!

كان المقال الذى كتبته التايمز دفاعًا عن الوطن القومي، والذى جاء فيه إن العالم المسيحى لن يتبرم باليهود المقيمين فيه ان هم صار لهم وطن فى فلسطين، ولن يقول لليهود: الآن وقد صار لكم وطن فعليكم ان تتركوا البلاد التى تعيشون فيها، وتذهبوا إلى فلسطين - كان هذا المقال بقلم ريكهام سديد، وقد ذهبت أنا لأقابله، ولأشكره على مقاله، فاستقبلنى احسن استقبال، وأعرب عن عظيم عطفه على اليهود، وعلى فكرة الوطن القومي.

ولما ساهمت الصحف البريطانية فى النضال القائم بين اليهود بعضهم وبعض بصدد فكرة الوطن القومي، أصبحت المعركة عامة، علانية، ومكشوفة، وهذا عزز مركزنا لأنه جعل الحكومة البريطانية فى موقف لا مناص لها فيه من أن تعلن كلمتها الحاسمة فى النزاع.. وبالفعل ذهبنا، أنا واللورد روتشلد، والسر رونالد وقابلنا بلفور، وقلنا له: لقد حان الوقت لإعلان الحكومة البريطانية كلمتها الأخيرة فى القضية.

وقد وعد اللورد بلفور بأن يفعل هذا، وطلب منى - أنا حاييم وايزمان- أن أكتب البيان الذى يجب أن تذيعه الحكومة البريطانية.. ووعد بان يعرض البابن الذى أكتبه أنا على وزارة الحرب للموافقة عليه.

وقد تعان أعضاء اللجنة السياسية الصهيونية برئاسة (سكولوف) على وضع صيغة البيان واشتركت أنا فيه. وبعد بحث طويل اتفقنا على صيغته وسلمناه فى ١٨/ ٧/ ١٩١٧ للورد بلفور وهذا هو نصه:

(إن حكومة جلالته بعد النظر فى غايات المؤسسة الصهيونية تقبل مبدأ الاعتراف بفلسطين وطنًا قوميًا للشعب اليهودى وبحق الشعب اليهودى فى أن يبنى حياته القومية فى فلسطين تحت حماية تقام بعد عقد الصلح ونهاية الحرب فى مصلحة الحلفاء.

وترى حكومة جلالته، صيانة لهذا المبدأ، أن تمنح الحكم الذاتى الداخلى للقومية اليهودية فى فلسطين مع حرية الهجرة لليهود، وتأسيس منظمة قومية يهودية لإعادة بناء التطورات الاقتصادية للبلاد.

أما شروط ومظاهر ذلك الحكم الذاتى وبراءة تأسيس المنظمة القومية اليهودية فشئون ترى حكومة جلالته أن تبحث فيما بعد الدرس الوافي، مع ممثلين عن المؤسسة الصهيونية.

وقد استطعت أنا أن أكتب فى١٨/ ٨/ ١٩١٧م الى فليكس

فرانكفورت فى أمريكا لأقول له: لقد قدمنا نص البيان لوزارة الخارجية، وقد حان قبولها، وفهمت أمس أن لويد جورج وافق عليه كذلك.

ولكن بقى أن توافق عليه وزارة الحرب فلقد كان فى بريطانيا فى الحرب الأولى مثلما كان لها فى الحرب الثانية وزارتان، الواحدة الوزارة العامة، والأخرى وزارة الحرب. وقد دلتنى تحرياتى على أن الوزارتين موافقتان على النص، وأن الموافقة الأخيرة مضمونة إلا إذا تدخل المعارضون اليهود. فى الأمر.

وفى ١٨ أيلول سنة ١٩١٧ علمت ان البيان وضع أمام الوزارة العمة لبحثه وكان متغيبًا عن الاجتماع بلفور، ولويد جورج، فلما عرض البيان للبحث اعترض ادوين مونتاجو، وهو عضو فى الحكومة، وهو يهودي، على البيان وعلى عرضه على الوزارة، فسحب من الأجندة.

وفى ذلك اليوم الذى سحب فيه البيان من أمام الوزارة بفضل تدخل مونتاجو اليهودي، طلبت أنا واللورد روتشلد مقابلة بلفور، فحدد لنا ميعادين لذلك، فقابلته أنا فى ١٩ ايلول، وقابله روتشلد فى ٢٠ منه.

وقد قال لى روتشلد قبل مقابلتنا لبلفور: (أتذكر أنى قلت لك، يوم

قرأت خبر تعيين مونتاجو عضوًا فى الحكومة، أننا قد قضى علينا).

ولما قابلت بلفور أبدى لى كل عطف، وقال لى أنا لم أتأثر قط بمسلك مونتاجو ولم تتبدل عواطفي.

ولما قابله روتشلد، قال له روتشلد: عندى ما يقنعنى بأن عضوًا فى الوزارة يعمل ضدنا. فأجابه بلفور: لا تهتم بذلك. فإن مونتاجو عضوا فى الحكومة لا فى الوزارة.

وايزمان يقترح والحكومة البريطانية (تحت الطلب!)

كيف استطاع الرئيس الصهيوني اقناع ويلسون بتأيد البيان البريطاني؟

فى ٢١ أيلول قابلت الجنرال سمطس.. عضو وزارة الحرب، فأعاد على تأكيده، وولاءه لنا.

وفى ٢٨ منه قابلت لويد جورج وأنتهت مقابلتنا بأن وضع مذكرتنا فى قائمة البحوث التى ستوضع أمام وزارة الحرب فى ٤/ ١٠/ ١٩١٧م.

وكنت قد أبرقت من قبل إلى الأدون براندیز بخلاصة الموقف، ونصحت له بأن يسعى للحصول على تأييد من الرئيس ويلسون يشجع الانجليز على إعلان الوعد.

وفى٤/ ١٠/ ١٩١٧م، أى فى اليوم المقرر لبحث بياننا أمام وزارة الحرب، ذهبت إلى مكتب المستر (كير) السكرتير الخاص للمستر لويد جورج، رئيس الوزارة، وقلت له: أليس من المستحسن

بقائى هنا، فلقد تحتاج الوزارة إلى معلومات منى وهى تبحث البيان.

فأجابنى (كير) إنه كان لبريطانيا وزارات لم يسمح لشخص عادى أن يحضر جلساتها، فاذهب إلى معملك وكن واثقاً من النتيجة. فذهبت.. إلا أنى لم أستطع الذهاب إلى المعمل وإنما إلى مكتب اورمسبى غور، وكان على مقربة من رئاسة الوزارة.

وقد فهمت فيما بعد تفاصيل ما جرى فى وزارة الحرب، وإليكم إياها: لما وضع بياننا أمام وزارة الحرب، وقف، ادوين مونتاجو وألقى خطابًا مؤثرًا ينقض فيه البيان، والفكرة التى يرمى إليها، وبلغ من تأثره، وهو يتكلم، ويحذر من بغية أعمال الصهيونيين أنه بكي.

وهنا ملكت الحيرة كلا من بلفور ولويد جورج ولم يعرفا ما يقولان فأرسلا فى طلبى وكنت أنا على بعد خطوات منهما، ولكن احدا لم يكن يعرف أنى جالس فى مكتب اورمسبى غور، وضاعت الفرصة. إلا أنى لست آسفا على ضياعها، فلو أنى حضرت تلك الجلسة، وسمعت ما قاله مونتاجو، فلربما كنت فقدت أعصابي، وبدرت منى ألفاظ نابية لا تليق.

وفى يوم ٩/ ١٠/ ١٩١٧م استطعت أن أبرق إلى بوانديز فى أمريكا لأقول: اقترحت الوزارة بعد مداولات واتصالات، أن تعدل البيان كما يلي:

(تنتظر حكومة جلالته بعين العطف) إلى إنشاء وطن قومى للجنس

اليهودى وسوف تبذل أحسن جهودها لتسهيل تنفيذ ذلك، ويجب أن يكون مفهومًا أنه لن يجرى شيئًا مما عسى أن يمس أو يؤثر فى كل الطوائف الأخرى فى فلسطين المدنية. والدينية كما أن تحقيق هذه الغاية كان لا يؤثر على الحقوق السياسية لليهود فى خارج فلسطين.

وقد طلبت فى البرقية أن يسعى برانديز للحصول فى الأول، على موافقة ويلسون على هذا البيان الذى وافقت عليه حكومة جلالته.

وقد كان تدخل مونتاجو، هو السبب فى تغيير مهم فى البيان، أما التغيير الأول فهو أننا ذكرنا فى بياننا (حق اليهود فى إعادة حياتهم القومية فى فلسطين).

بينما أن بيان الحكومة تكلم عن إنشاء وطن قومى فى فلسطين. والفرق بين النصين كبير. ففى بياننا اعتراف بأن فلسطين كانت لنا فى الماضي، وأننا عائدون اليها، لإعادة بناء حياتنا القومية فيها، فأين هذا من إنشاء وطن قومى لنا فى فلسطين.

والتغيير الثانى أننا تكلمنا فى بياننا عن الشعب اليهودي، وتكلم بيان الحكومة عن الجنس اليهودي.

إلا أننا، نحن دعاة الصهيونية، لم نسكت، واشترك معنا فى العمل اورمسبى غور، وسايكس، وايمري، وأخيرا اضطرت الوزارة إلى أن تؤلف لجنة يهودية قوامها ٤ أعضاء من الصهيونيين و٤

أعضاء غير صهيونيين وعرضت علينا نص بيانها لنحكم له أو عليه.

وقد اقترحت أنا تغيير كلمة إنشاء وطن قومى فى فلسطين، واستبدالها بكلمة: إعادة إنشاء إلخ. ذلك أن كلمة (إعادة) هنا تثبت حقوقنا الماضية فى فلسطين.. واقترحت كذلك استبدال كلمة الجنس اليهودى بكلمة الشعب اليهودى وقد فاز الجزء الثانى من اقتراحى بالقبول.

بقيت أمريكا، والحصول على إعلان من الرئيس ويلسون بتعزيز بيان حكومة جلالته.

أما ويلسون فقد رفض التدخل، وبنى رفضه على أمرين، الأول: أنه صاحب فكرة عدم الاعتراف بأي معاهدات سرية، والثاني: إن أمريكا لم تكن فى حالة حرب مع تركيا.

ولكن الأدون برانديز استطاع أن يقنع الكولونيل هاوس، مستشار ويلسون فأبرق إلى حكومة جلالته يؤيد سياستها، وكان ذلك فى ١٦/ ١٠/ ١٩١٧م.

ولما أجتمعت الوزارة فى ٢ تشرين الثانى عام ١٩١٧ م لإجازة البيان، ظللت أنا خارج دار الوزارة، انتظر النتيجة، وكان أول من خرج من غرفة الوزارة الكولونيل هاوس الذى تقدم باسمًا وقال لي:

دكتور وايزمان إن المولود صبي...

احتضان بريطانيا لمشروع الوطن القومي

إيطاليا ترى فى الوعد البريطانى خطراً على نفوذها فى البحر الأبيض

مضى جيل كامل منذ أن انطوى وعد بلفور فى اطواء التاريخ تاريخًا من تواريخ الأحداث الجسيمة. وليس من السهل الآن، وبعد مضى جيل كامل على إصدار الوعد أن أصور الغبطة الروحية التى طغت على النفوس - نفوس اليهود، وغير اليهود- بمناسبة صدوره.

أما اليهود فلقد سرهم السرور كله، وهز مشاعرهم إذ أصبحوا ينتظرون قرب خلاصهم، وعودتهم إلى الوطن، وأما غير اليهود فلقد أرضى نفوسهم وضمائرهم أنهم أعادوا إلى شعب مشرد حقوقه فى الوطن، وفى الحياة القومية.

وليس شك أنه كان هناك فريق معارض للوعد بين اليهود، وبين غير اليهود، ولكن كان هذا الفريق معدم الوزن أمام الأكثرية التى استقبلت الوعد بالرضا والسرور.

وكبار الساسة الذين اشتركوا فى تحقيق فكرة الوطن اليهودى كانوا هم أعظم ساسة العصر. وقد قال بلفور بعد اصدار الوعد، وبعد خبرته لتطوراته إنه ينظر إلى الوعد الذى أصدره على أنه أعظم عمل عمله فى حياته.

وقال الكونت سيسل، وهو أحد بناة جامعة الأمم، إن الوطن القومى اليهودى كان فى رأيه عملًا أعظم من جامعة الأمم.

وقال الرئيس ويلسون فيما بعد: إننى مقتنع أن الدول الحليفة، بموافقة امريكا، ستعمل لتقيم فى فلسطين (كيمونولث يهوديًا).

وقال لويد جورج فى مذكراته: إن وعد بلفور، وهو الذى يقيم اليهود وزنًا كبيرًا له، كان يفهمه بلفور على أنه يعنى إقامة حماية بريطانية أو امريكية فى فلسطين، على أن تعطى لليهود الفرص اللازمة لتحقيق خلاصهم، ولبناء مركز هناك لثقافتهم القومية. أما وزارة الحرب فلم تكن تعنى بوعد بلفور إقامة دولة يهودية فى الحال.. وعقب إبرام معاهدة الصلح.. ودون استشارة أغلبية.. سكان فلسطين.. ولكن.. من الناحية الأخري.. كانت الوزارة تفكر بأنه إذا احس اليهود استغلال الفرصة، واستطاعوا أن يقذفوا بمهاجريهم إلي فلسطين بحيث يكونون وحين تجرى عملية الاستفتاء، قد صاروا أكثرية فى البلاد.. فحينئذ تقام الدولة اليهودية

فى فلسطين. وساسة بريطانيا الذين تعاونوا على إصدار وعد بلفور، وبناء الوطن القومي، لم يفكروا قط فى تقييد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بأى وسيلة كانت.

وفى أوائل عام ١٩١٨م قررت حكومة جلالته أن ترسل لجنة صهيونية إلى فلسطين لاستعراض الحالة، ولوضع الخطط والتصميمات طبق محتويات وعد بلفور وروحه.

وكانت مفروضا فيها ان تضم ممثلين عن يهود الأمم الحليفة، ولكن لما كانت امير كاليست فى حرب مع تركيا تعذر ضم ممثلين عن يهود أمريكا، أما يهود روسيا فلقد كان ممثليهم بيننا، ولكن أسبابًا سياسية حالت دون اشتراكهم فى اللجنة.

وإذن فقد تبقى من دول الحلفاء الكبري، بعد بريطانيا صاحبة الفضل الأول فى المشروع، فرنسا وإيطاليا.

أما إيطاليا فأرسلت إلينا ممثلا يهوديا اسمه كوماندور ليفى بيانشيتي، وكان إيطاليا أولا ويهوديًا من بعد. وقد صار واضحًا من بعد احتضان بريطانيا لمشروع الوطن القومى فى فلسطين أثار مخاوف الدول، فلقد رأت فيه إيطاليا خطرا على نفوذها فى البحر الأبيض.

أما فرنسا فقد أرسلت إلينا البروفسور سلفيان ليفي، وهو رجل

معروف بعدائه للصهيونية، وقد فرضته علينا الحكومة الفرنسية فرضًا، وبرغم البارون روتشلد، وضد إرادة بريطانيا.

وايزمان يقابل الملك جورج الخامس

ملك بريطانيا يعرب للزعيم الصهيونى عن أحسن تمنياته لليهود

كانت اللجنة الصهيونية التى قررت بريطانيا إرسالها إلى فلسطين فى اوائل عام ١٩١٨ م لدراسة الحالة عن قرب، مؤلفة كما ذكرنا فى الفصل السابق من ممثلى إيطاليا وفرنسا وكان ممثلو بريطانيا هم: أنا، يوسف كوهين، دافيد ادلر، ليون سيمون، والادون سيف.

وقد صحبنا فى رحلتنا إلى فلسطين جيمس روتشلد، ابن البارون روتشلد ليباشر بنفسه، وبالنيابة عن أبيه، الإشراف على حالة المستعمرات اليهودية التى أنشأها أبوه فى فلسطين.

ولم يكن جيمس روتشلد عضوًا فى اللجنة، وإن كان قد حضر جميع اجتماعاتها، ذلك أنه كان يرفض إعلان نفسه عضواً فى لجنة صهيونية، وكثيراً ما كانت تثور بيننا وبينه خلافات بسبب موقفه ذاك، إلا أن اورمسبى غور ممثل بريطانيا العظمى فى لجنتنا كان يتدخل فى كل خلاف يثور بيننا وبين روتشلد، ويزيله بحكمته ودرايته.

وكان قد تحدد يوم ٨ آذار عام ١٩١٨ لنبحر من بريطانيا فى

طريقنا إلى فلسطين وكان مارك سايكس قد انتخب ليشرف على إعداد وسائل سفرنا، واتصالاتنا، والإشراف على كل شئون اللجنة.

وقبل سفرنا بقليل خطر لسايكس خاطر بثاقب رأيه، إنه من دواعى رفع قيمة اللجنة وإعلاء شأنها السياسي. أن أقابل أنا بوصف كونى رئيسها جلالة الملك جورج الخامس قبل سفرنا.

وقد قدرنا كلنا حكمة سايكس، وإخلاصه، إلا أنى أنا نفسى خشيت من نتائج مثل هذه الزيارة العلنية للملك، ورأيت أنه من الأفضل إرجاء المقابلة إلى ما بعد عودتنا من فلسطين، إلا أن أصدقاءنا فى حكومة جلالته رأوا غير رأيي، فاضطررت، إلى الرضوخ لهم.

وقد اتخذت الترتيبات اللازمة لأقابل الملك صباح يوم السبت السابق لسفرنا بيوم واحد، وقد اضطررت إلى أن أشترى لأول مرة ولآخر مرة فى حياتى (ثوب هات) لاقابل به الملك، ثم لبسته وذهبت إلى وزارة الخارجية لانتقل من هناك إلى حضرة الملك، ولكن.. كان سايكس ينتظرنى فى الوزارة وهو مرتبك، وأخذ يعتذر إليّ، ثم قال لي: لقد تسلمت برقيات من مصر تفيد بأن العرب قلقون من نياتنا، وأنهم يتحرون، ويسألون عما يجرى وراء الستار.. وأنه من الخير أن نرجيء مقابلتك للملك الآن.

وقد كان كلام سايكس موافقًا لما كنت أخشاه، إلا أني، وقد

تعينت المقابلة، وتحدد زمنها، رأيت أنه لا يجوز إلغاؤها، ورأيت فوق هذا أنه من غير اللائق.. أن ترجأ المقابلة، أو أن تلغى بسبب هياج العرب..

ومع ان المقابلة لم تكن قد أذيعت إلا بين عدد قليل بين زملائي، إلا أنى قدرت أن الغاءها، لاسيما على أساس هياج العرب.. سوف يحبط همة أولئك الزملاء وأخيرا فاتحت سايكس برأيي، وقلت له: عليك أن تتدبر الأمر، وأن تصلح الخطأ وأن تعين ميعادًا آخر للمقابلة وقد وافقنى سايكس على جميع ما قلت إلا أنه أعرب عن عجزه عن عمل اى شيء. فوقفت أنا وسايكس فى ساحة الوزارة نتأمل، وبعد قليل جاء اورمسبى غور.. ولما فاتحته فى الأمر، وافقنى على رأيي، وقد قلت لاورمسبى غور إنه إذا شرعنا من الآن نغير ونبدل من سياستنا لعذر من أعذار هياج العرب.. وشعور العرب.. فقل على آمالنا فى فلسطين السلام، ويحسن فى مثل هذه الحالة ان تمتنع اللجنة الصهيونية عن الذهاب إلى فلسطين كذلك.

وقد طال الحديث بينى وبين اورمسبى غور، وسايكس، وأخيرا.. قررنا أن نعرض المسألة على بلفور، فذهبنا إلى مكتبه.

وقد ارتاى سايكس أن أقابله أنا بنفسي، أما أنا فقد رأيت الأنسب أن يقابله سايكس وبالفعل دخل سايكس غرفة بلفور، وظللت أنا

طريقنا إلى فلسطين وكان مارك سايكس قد انتخب ليشرف على إعداد وسائل سفرنا، واتصالاتنا، والإشراف على كل شئون اللجنة.

وقبل سفرنا بقليل خطر لسايكس خاطر بثاقب رأيه، إنه من دواعى رفع قيمة اللجنة وإعلاء شأنها السياسي. أن أقابل أنا بوصف كونى رئيسها جلالة الملك جورج الخامس قبل سفرنا.

وقد قدرنا كلنا حكمة سايكس، وإخلاصه، إلا أنى أنا نفسى خشيت من نتائج مثل هذه الزيارة العلنية للملك، ورأيت أنه من الأفضل إرجاء المقابلة إلى ما بعد عودتنا من فلسطين، إلا أن أصدقاءنا فى حكومة جلالته رأوا غير رأيي، فاضطررت إلى الرضوخ لهم.

وقد اتخذت الترتيبات اللازمة لأقابل الملك صباح يوم السبت السابق لسفرنا بيوم واحد، وقد اضطررت إلى أن أشترى لأول مرة ولآخر مرة فى حياتى (ثوب هات) لاقابل به الملك، ثم لبسته وذهبت إلى وزارة الخارجية لانتقل من هناك إلى حضرة الملك، ولكن.. كان سايكس ينتظرنى فى الوزارة وهو مرتبك، وأخذ يعتذر إليّ، ثم قال لي: لقد تسلمت برقيات من مصر تفيد بأن العرب قلقون من نياتنا، وأنهم يتحرون، ويسألون عما يجرى وراء الستار.. وأنه من الخير أن نرجيء مقابلتك للملك الآن.

وقد كان كلام سايكس موافقًا لما كنت أخشاه، إلا أني، وقد

تعينت المقابلة، وتحدد زمنها، رأيت أنه لا يجوز إلغاؤها، ورأيت فوق هذا أنه من غير اللائق.. أن ترجأ المقابلة، أو أن تلغى بسبب هياج العرب..

ومع ان المقابلة لم تكن قد أذيعت إلا بين عدد قليل بين زملائي، إلا أنى قدرت أن الغاءها، لاسيما على أساس هياج العرب.. سوف يحبط همة أولئك الزملاء وأخيرا فاتحت سايكس برأيي، وقلت له: عليك أن تتدبر الأمر، وأن تصلح الخطأ وأن تعين ميعادًا آخر للمقابلة وقد وافقنى سايكس على جميع ما قلت إلا أنه أعرب عن عجزه عن عمل اى شيء. فوقفت أنا وسايكس فى ساحة الوزارة نتأمل، وبعد قليل جاء اورمسبى غور.. ولما فاتحته فى الأمر، وافقنى على رأيي، وقد قلت لاورمسبى غور إنه إذا شرعنا من الآن نغير ونبدل من سياستنا لعذر من أعذار هياج العرب.. وشعور العرب.. فقل على آمالنا فى فلسطين السلام، ويحسن فى مثل هذه الحالة ان تمتنع اللجنة الصهيونية عن الذهاب إلى فلسطين كذلك.

وقد طال الحديث بينى وبين اورمسبى غور، وسايكس، وأخيرا.. قررنا أن نعرض المسألة على بلفور، فذهبنا إلى مكتبه.

وقد ارتاى سايكس أن أقابله أنا بنفسي، أما أنا فقد رأيت الأنسب أن يقابله سايكس وبالفعل دخل سايكس غرفة بلفور، وظللت أنا

واورمسبى غور ننتظر فى الخارج، وبعد ساعة ونصف الساعة خرج سايكس ليقول لنا: إن بلفور يرى وجوب تنفيذ المقابلة، وأنه - أى بلفور- مشغول مع القصر فى سبيل هذا.

وقد تحددت المقابلة الثانية فى يوم الاثنين، وهو اليوم الذى ابحرنا فيه إلى فلسطين وقد قابلت الملك، وقال أول ما قال: أنت تعلم أن بلفور يأتى دائماً متأخرا إلى المكتب).

ثم حول جلالته الحديث إلى فلسطين فأبدى غاية الاهتمام بمشروعاتنا.

لما علم أنى روسى قال لي: (كثيرا ما حذرت نقولا من مغبة نظام الحكم الذى كان قائما فى روسيا، إلا أنه لم يصغ إلى تحذيري).

وعاد جلالته إلى موضوع المقابلة فاعرب لى عن أحسن تمنياته لنجاحنا.

وايزمان فى طريقه إلى فلسطين

بارحنا بريطانيا إلى فلسطين فى مساء اليوم الذى قابلت فيه الملك جورج، وكان طريقنا البرى أن نقطع المانش ثم نسير من باريس إلى روما ثم إلى تورنتو، ومن تورنتو نركب الباخرة إلى الإسكندرية، وكانت مياه البحر الأبيض المتوسط، كمياه بقية البحار، مزروعة بالألغام، وكان علينا أن ننتظر فى تورنتو إلى أن تصل إلينا قوة بحرية لحراستنا فقضينا فى الانتظار سبعة أيام.

وكانت تورنتو فى ذلك الوقت مكانًا موحشًا، لا مؤن فيه، وكانت البقعة الوحيدة هناك التى يبدو عليها شيء من المدنية معسكرا للجيش البريطاني.

وكانت تسليتنا الوحيدة فى تورنتو أن نقطع الوقت فى السير على شاطيء البحر هناك نتأمل المراكب الإيطالية الحربية وهى رابضة فى المياه الإيطالية هناك، وكانت كلها راسية فى داخل ميناء تورنتو ومن حولها سلسلة مزدوجة تحميها من أخطار غواصات العدو.

وقد كان غريبًا حقًا أن نشاهد مثل تلك القوات الإيطالية

البحرية الكثيرة رابضة فى مياه إيطاليا، وتحت حراسة شديدة.. من السلاسل، والحواجز.. فى حين أننا نضطر إلى أن ننتظر سبعة أيام إلى أن تصل إلينا قوة انجليزية تحرسنا إلى الإسكندرية على شدة مسئوليات البحرية البريطانية، ووفرة واجباتها المتعددة.

وقد خطر لى من باب التساؤل فقط ودون أن أقدر العواقب، أن اسأل نائب أميرال إنجليزى كان مسافرًا معنا من باب المصادفات، عن الحكمة فى أن يحجز مثل ذلك العدد الضخم من المراكب البحرية الإيطالية داخل أسوار، وسلاسل ميناء تورنتو، دون عمل ولا قيام بواجب، بينما أن المراكب البريطانية لا تكاد تفرغ من واجباتها الحربية لا فى الليل ولا فى النهار؟

وهنا انفجر الأميرال الإنجليزى فى صوت عال، وغضب ظاهر، فقال لي: (إن هؤلاء الفيران الطليان لا يصلحون لشيء، اللهم إلا الجلوس خلف أسوار، وحواجز تحميهم، وتفصل بينهم وبين أعدائهم.

لقد احتجت مرة إلى مدمرة إيطالية، لا للحراسة، ولكن للقتال، وفى ظرف حرج جدًا، فأبوا على ذلك، وأخيرًا قلت لقائد الأسطول الايطالى الذى كان يربض بأسطوله خلف الأسوار، والحواجز إذا لم تعرنى مدمرة فى الحال فإنى ساقتحم الحواجز والاسوار بمراكبي، وآخذ ما أريد بالقوة...

وهنا، وبعد التهديد.. نلت ما كنت أريد..

وقد وصلنا إلى الإسكندرية قبل عيد الفصح بقليل، وقضينا فى مصر ثلاثة أسابيع، وقد كانت هى المرة الأولى التى اتصل فيها بيهود مصر، كما كانت المرة الأولى التى أرى فيها زعماء العرب، وكانوا فى ذلك الوقت يملأون مصر.

وكان زعماء العرب الموجودون فى مصر منظمين تنظيماً يجعل كل واحد منهم يشد الحبل من ناحية تخالف الناحية التى يشدها زميله.

وكانت القاهرة فى ذلك الوقت مركز مؤامرات عربية وغير عربية، وقد كاد مركزنا هناك يكون دقيقًا جدًا لولا وجود اورمسبى غور معنا، ولولا همة ومساعدات السر ريجنالد ونجت، وكان هذا الأخير خبيراً بالعرب وبعقليتهم.. فقدم لنا مساعدات جمة بفضل تلك الخبرة.

اللجنة الصهيونية فى مصر وفلسطين

عندما كانت تل أبيب ضيعة صغيرة سكانها بضع مئات..!

لم نجد خلال إقامتنا بمصر، شيئا من العداء لنا بين العرب، ولم نلاحظ شيئا يتفق مع نصوص البرقية التى تسلمها سايكس، والتى زعم فيها مراسلوها ما زعموا عن هياج العرب فى مصر مما أدى إلى تأجيل مقابلتى للملك جورج، بل لقد لاحظنا فى الدوائر العربية العليا، من مثل تلك التى كان يسودها رجال من أمثال الدكتور فارس نمر، احد أصحاب جريدة المقطم، جوًا خاليًا من كل عداء. وقد تكون خبرتنا الضعيفة بحقيقة عقلية العرب هى التى أوهمتنا بعدم وجود عداء لنا. ومما لاحظته فى مصر أن اليهود هناك كانوا يتجنبون بحث قضية فلسطين كأنما المسألة لا تعنيهم.

والعربى معروف فى طبيعته بأنه يحسن الجدل، والمناظرة، وهو أقدر فى هذا الباب من الأوروبي، وفضلا عن ذلك فهو - أى العربي- يتحلى بأدب خطاب يجعلك تتوهم، وهو يجادلك، بأنه لا يحمل لك حقدًا، ولا بغضًا. والجدل مع العرب كالسراب، فلقد

تمضى فى مناقشة العربى وأنت متوهم أنه موافق معك، لا يخالفك فى شيء، وتظل تعتقد ذلك إلى أن تنتهى إلى الكارثة دون أن تشعر بحقيقة ما يترصدك من أخطار.

وحذار أن تواجه العربى بالحقيقة كما هي، وإنما عليك أن تحاور وتناور، وتدور وتلف إلى أن تصل معه إلى الموضوع الذى تريد، ولكن احذر من أن تضع أمامه الموضوع مرة واحدة.. ودون لف ودوران.

ولم يكن من السهل أن تدرك حقيقة شعور المصريين نحو الحلفاء، ولكن تبين لنا، بعد البحث والتحري، وبرغم أن الألمان، فى وقت وجودنا فى مصر، كانوا يقومون بآخر هجوم يائس لهم، إن المصريين لم يكونوا ينطوون على شعور الصداقة للحلفاء.

ومن مصر خرجنا إلى فلسطين، وكان جيمس روتشلد أول من ذهب منا، وكان ذهابه كحرس استكشافي.. لنا.

ولما وصل دعاة اللورد اللنبى للإقامة معه، وكان لروتشلد أصدقاء كثيرون فى رئاسة اللنبي، منهم اللورد روزبري، ابن عم روتشلد، وياور اللنبي. وقد كنت أنا أشعر بأن روتشلد يريد أن يسبقنا إلى فلسطين لأنه لم يكن يريد أن يتظاهر علانية بوجوده فى لجنتنا. وقد وصلتنى دعوة من اللنبى لأقيم معه كذلك، فذهبنا، أنا

إلى اللنبي، وذهب الباقون مع اورمسبى غور.

وبعد أسبوع وجدنا أنفسنا مقيمين فى منزل داود ليفونتين فى تل أبيب.

وكانت تل أبيب فى ذلك الوقت تتألف من نحو مئة بيت، ومن بضع مئات من السكان.

أما رئاسة اللنبى فكانت فى مكان يعرف فى ذلك الحين باسم (بير سالم) فى هوسبيس ألمانى هناك يقع على تل يشرف على ديران التى بنيت فيها المنزل الذى أقيم فيه الآن.

ومنذ وصولى إلى (بير سالم) شعرت بالفارق الكبير بين الجو فى القاهرة والجو هنا، فالمرء فى مصر لم يكن يشعر بوجود حرب عالمية، أما فى (بير سالم) فكان الجو عسكرياً خالصًا للحرب.

ولما جلسنا للفطور حشرت بين اللورد اللنبي، وبين الجنرال السر بولز، وكان بولز يتحدث إلى اللنبى عن الإصابات، عن الهجوم، وعن التقهقر، وقد شعرت أن فى الموقف حرجا).

وكانت أنباء الميدان الغربى فى أوروبا سيئة، وكان معظم الجيوش الأوروبية فى فلسطين تسحب منها لترسل إلى الميدان الغربي، والقطار الذى جئنا به سرعان ما مليء بالجند ليعودوا إلى

مصر، ومنها إلى فرنسا.

وكان من نتيجة ذلك أن توقف زحف قوات اللنبي، وظل اللنبى فى فلسطين وكل اعتماده فى القتال على جنود المسلمين من الهند، وعلى العرب.

وكان العرب قد لاحظوا ضعف بريطانيا، فقام المهيجون منهم ونشروا بين الناس زعماء مؤداه أن اللجنة الصهيونية جاءت لتستلم فلسطين من الإنجليز.

بروتوكول حكماء صهيون في جيوب العساكر

الشيوعية من منتجات اليهود.. والعسكريون البريطانيون بفلسطين يكرهونهم.

وقد كان غريبًا حقا أننا أدركنا، فى خلال إقامتنا مع اللنبي، أن وعد بلفور الذى هز. العالم هزًا، والذى أثبت أن رجال بريطانيا كانوا ينطوون لليهود على كل عطف وإخلاص، لم يكن قد شاع بعد، بين حاشية اللنبي، ولم يكن بينهم واحد سمع به، أو عرف عنه شيئاً.

ولم يكن هذا بمستغرب لدى من خبر حقيقة الحالة فى معكسر اللنبي، فلقد كان اللنبى وحاشيته مشغولين بشيء واحد هو الحرب، وربح المعركة.. بل فقد كان اللنبى وجماعته مشغولين فى ذلك الوقت بالحرب، وبالاحتفاظ بالمراكز الذى تحصنوا فيها فى فلسطين. وكان كل همهم، وبعد سحب الجيوش الأوروبية من فلسطين إلى فرنسا، ان يتحاشوا هجوم فون ساندرس عليهم،

واسترداد الأراضى التى احتلها الإنجليز فى فلسطين.

ولم يكن هذا الجهل لوعد بلفور هو كل شيء عنينا به عند اللنبي وجماعته، وإنما عندنا هناك شيء أهم من ذلك بكثير.

كان اللنبي وأركان حربه وضباطه حين دخلوا فلسطين شاهدوا فيها جماعات متفرقة من اليهود، نالت منهم المشقات التى بلوها خلال الحرب، ما نالت، فظهروا أمام الانجليز كأنهم نفايات من (غيتو) روسيا، وبولندا، وكانت روسيا فى ذلك الوقت تصطرم بالثورة الشيوعية، وكانت الشيوعية فى رأى العسكريين من منتجات اليهود، ولهذا كان العسكريون البريطانيون فى فلسطين يكرهون اليهود، ويحتقرونهم، ولا يتخيلون أن هؤلاء يقطع لهم وعد كوعد بلفور.

وكان هناك، بين رجال الاستخبارات العسكرية مع اللنبي صديق كريم لليهود هو الجنرال السر ويندهام ديز، الذى شغل فيما بعد منصب سكرتير عام لحكومة فلسطين فى عهد اللورد هربرت صموئيل.

وقد دخل عليَّ مرة وناولنى منشوراً باللغة الإنجليزية، وقال لى اقرأ هذا. ولم أكد أشرع فى قراءته حتى رميت به إلى الارض، وقلت هذا كلام فارغ.

أما ديدز فنصحنى بأن اقرأ المنشور بعناية، وأن أتعاون معه على تدبر الأمر، وقال لى المسألة أخطر جداً مما اتصور.

أما ذلك المنشور فكان يحتوى على بروتوكول حكماء صهيون، وكان مكتوبًا باللغة الإنجليزية، ووزع على أفراد القوات البريطانية فى فلسطين.

وقد قلت لديدز: كيف حصلت على هذا؟

فأجابني: (إنك تجد نسخة من هذا المنشور فى جيب كل ضابط، وكل جندى بريطانى فى فلسطين. والخطر فى ذلك أن الضباط والجند يعتقدون بصحة ما ورد فى المنشور الذى أحضرته معها البعثة العسكرية البريطانية التى كانت تعمل فى القوقاز مع الدوق نيقولاوس الروسي).

ولم يكن من المعقول أن كل بريطانى كان يعتقد بصحة ما ورد فى البروتوكول ولكن.. ثورة روسيا، والشيوعية، واتهام اليهود بأنهم هم كانوا منظمى الثورة، وخالقى الشيوعية، هذه كلها جعلت انتشار البروتوكول بين القوات البريطانية فى فلسطين حادثًا خطيرًا جدًا.

كيف أصبح وايزمان واللنبى صديقين حميمين؟

الزعيم الصهيونى كان يشتهى أن تطأ قدمه مدينة القدس!

ولم تكن لجنتنا فى حاجة إلى توزيع منشورات حكماء صهيونيون بين رجال الجيش لإثارة نفوسهم ضدهم، فلقد كانوا، بطبيعة الحال، نافرين منا ومن اليهود.

ولما قدمت أوراق اعتمادى إلى اللورد اللنبى حملت اليه كذلك كتاب توصية خاصة من لويد جورج، رئيس وزراء بريطانيا لكنه قابل هذا كله ببرود، ثم رفع نظره إليَّ وقال:

(نعم.. ولكن لا يستطاع عمل شيء الآن، إذ يجب علينا أن نحرص تمام الحرص على عدم المساس بشعور الأهالي).

ومع أن اللنبى كان أديبا، جم اللطف، لم يظهر أى استعداد للتعاون مع اللجنة، أو للعمل على تحقيق غاياتها.

وكان الجو في فلسطين جوًا حربيًا، وكان المدنيون من أمثالنا يشعرون بأن العسكريين، لا سواهم، هم الذين يحق لهم أن يعيشوا.

ولست أنكر أني حين أقمت في رئاسة اللنبي شعرت بأن آمالنا الواسعة قد تضاءلت، وأن وعد بلفور قد مسخ إلى شيء هزيل.

وقد قضيت في (بير سالم) ثلاثة أيام في شبه (امتحان). ذلك أن السلطات العسكرية كانت تريد أن تدرسني.. وأن تعرف من هذا الرجل الذي فرضه عليها السياسيون في لندن، قبل أن تبيح لي حرية التنقل في فلسطين.

وكنت، خلال إقامتي في بير سالم، أطل على ديران، وعيون قارة حيث لي فيهما أهل وجيرة، وكانوا على بعد خطوات مني، ولكني لم أكن أستطيع الاتصال بهم وكنت حريصًا في خلال الأيام التي قضيتها في بير سالم على التكتم، وحفظ اللسان، اما روتشلد فقد لاقى الكثيرين من أصدقائه بين العسكريين. وكان روتشلد لا يفأ على نصيحته، وهي تتلخص في: حاذر.. إن للحيطان أذانا.

وكانت تسليتي الوحيدة في تلك الأيام الثلاثة أن أذهب إلى خيمة ديدز حيث كنت اتكلم بصراحة، وأحلم.. أحلام اليقظة في حرية.

وكان ديدز هو الذي قدمني إلى الجنرال كلايتون، وكان يشغل منصب الضابط السياسي للجيش في فلسطين، وقد وضعت لجنتنا

تحت إشراف كلايتون.

وفي ليلة نمت مع ديدز في خيمته، وقد تصادف أن أمطرت السماء مطرًا مبكرًا، فجرفت المياه بعض الزهور إلى داخل الخيمة، فلما استيقظت في الصباح، ورأيت تلك الزهور داخل الخيمة استبشرت خيرًا.

وفي ذات صباح كنت واقفًا خارج خيمة ديدز فمر اللنبي من أمامي في سيارته، فلما رآني وقف وسلَّم علَّي، ثم قال لي: إني ذاهب إلى القدس، فهل تريد أن تذهب معي؟

ولم يكن أشهى إلى نفسي من أن أذهب وأن أرى القدس، ولكن شيئًا في داخلي حذرني من الذهاب، فقلت له وأنا أعيد في ذهني كلام اللنبي لي منذ يومين حين قال لي: نعم، ولكن لا يستطاع عمل شيء الآن:

ألست ترى أنه من المناسب أن لا أذهب في الوقت الحاضر.. وأن أذهب حين اذهب، وحدي، وفي سيارتي، فلقد يسبب ركوبي معك في القدس ارتباكا لك أمام الشعب؟

وهنا ترجل اللنبي، ووقف أمامي صامتًا يفكر نحو دقيقتين، ثم قال لي:

أحسب أنك على حق، وثق أننا سنكون من الآن فصاعدًا

صديقين حميمين.. وقد صح ما قاله اللنبي، وشعرت بعد ذلك الحديث أن الثلج الذى كان قائمًا بيننا قد ذاب.

البريطانيون يحاولون تأخير تقدم اليهود

اللنبى وديدز وكلايتون من مشايعى مطامع الصهيونية فى فلسطين

بعد انقضاء الأيام الثلاثة فى بير سالم، سمح لنا بمغادرة رئاسة الجيش، وزودونا (بهويات) تبيح لنا حرية التنقل، وأعطونا سيارة، تليفونا.. وأحسب أننا كنا المدنيين الوحيدين فى فلسطين الذين سمح لهم بذلك.

وقد اعتزمت، منذ ذلك الوقت، أن أحرص على الصلات الحسنة التى أسستها بينى وبين رجال الجيش، ولكن.. سرعان ما خبرت من بعد انى حملت نفسى فى ذلك، فوق طاقتها.

كان اليهود بحكم حيويتهم، وبحكم ما رأوا فى وعد بلفور من آمال، يريدون الوثوب إلى غاياتهم، أما رجال العسكرية فكانوا يكرهون اليهود، ويحاولون تأخير كل تقدم لليهود فى فلسطين.

ولكن من الإنصاف أن أذكر هنا أنه كان لنا، بين كبار رجال الجيش، أصدقاء مخلصون، أخص بالذكر منهم اللنبي، وديدز، وجلبرت كلايتون.

إلا أن أولئك الكبار كانوا مشغولين بالحرب والقتال، أما من كان دون هؤلاء مرتبة، فكانوا هم الذين يشرفون على إدارة البلاد، وكان هؤلاء كلهم يكرهون اليهود.

وكان فى يافا فى ذلك العهد، حاكم عسكرى اسمه الكولونيل هيوبارد، وكان بحكم منصبه يحكم كذلك تل أبيب، وكانت تقع تحت نفوذه مجموعة من اليهود، إن لم تكن هى أكبر مجموعة فى فلسطين من اليهود، فلقد كانت على التحقيق أنشط مجموعاتهم فيها.

وكان هيوبارد ذاك لا يفتأ، فى كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته، يشجع العرب ويضعف من معنويات اليهود. وإنى أذكر الحادث التالى مثالاً على ما أقول:

ذهب وفد يهودى قوامه مزارعون ومهندسون ومسلحون، إلى جفتلك نابلس للاطلاع على الأراضى هناك، وكان الوفد تحت حماية السلطات العسكرية، ثم عاد إلى يافا، وقابل حاكمها، مستأذنا فى زيارة أخري، فأجابهم هيوبارد:

نصيحتى إليكم أن تخرجوا من يافا، لا أن تذهبوا إلى نابلس، واذا بقيتم هنا فلست اضمن سلامتكم، وإذا ثار العرب لذلك فلست على استعداد لاستخدام جنودى لمثل هذه الحوادث.

ثم قال للوفد، وبدون مناسبة: إن الرئيس ويلسون يحشر أنفه فى

كل شيء، ويتدخل فى شئون فلسطين، وهى ليست من اختصاصه.

وأخيرا قال لهم: اذا أردتم الذهاب إلى نابلس فيجب أن تصبحكم فرقة عسكرية بكامل سلاحها.

وكان هناك حاكم آخر فى القدس. وكان هذا الحاكم صديقًا لكل فريق.. إلا أنه على وفرة ما اجهد نفسه فهو لم يستطع أن يفوز بثقة اليهود.. كان اسم ذلك الحاكم السر رونالد ستورس.

وكان الحاكم العسكرى العام، فى ذلك الوقت، هو الجنرال موفي. وحوله فريق من المستشارين والمساعدين، لا هم لهم الا إفهام اليهود بأن العسكريين هم أصحاب الشأن فى فلسطين، وأن لندن لا شأن لها فيها.

عداء السلطات العسكرية البريطانية لليهود:

يثقون بالعرب ولا يأتمنون اليهود.. اللنبى وكلايتون يمهدان السبل

كان اليهود فى فلسطين فى ذلك العهد، وعقب سنوات الحرب التى خاضتها تركيا يعانون أزمات فى كل شيء، وكان أبرز تلك الأزمات أن معظم زعمائهم فى فلسطين كانوا قد برحوا البلاد أما هربا من الحكم التركى الألمانى فى أيام الحرب وإما نفيا إلى الاناضول أو غيرها من الأماكن التى كان الأتراك ينفون إليها من يشتبهون به.

فلما خبر اليهود من عداء السلطات العسكرية البريطانية لهم ما خبروا كان تأثير ذلك عميقًا فى نفوسهم، ومع أن ديدز وكلايتون كانا لا ينفكان يعملان لتحسين الجو بين السلطات العسكرية وبين اليهود فى فلسطين فلقد كانت الحالة تزداد سوءاً وكان العسكريون يحابون العرب علانية. أذكر مثلاً واحداً على تلك المحاباة. ففى ايام عام ١٩١٨م سمعنا أن السلطات العسكرية قد تضطر إلى اخلاء مستعمرة "ملبس" من سكانها لغايات حربية، منها أن تلك المستعمرة قريبة من خطوط النار. وقد اتصلت اللجنة الصهيونية فى الحال بالقائد المسئول عن القوات فى منطقة "ملبس" واتفقت معه على ترتيبات بشأن إخلاء المستعمرة إذا اقتضى الأمر ذلك، وكان من بين تلك الترتيبات أن يعطى لسكان المستعمرة فرصة لينتقلوا منها إلى تل ابيب وما جاورها ويعينوا حراسًا يتولون العناية بمزروعاتهم وما إلى ذلك مما يحفظ على المستعمرين أملاكهم ومزروعاتهم ويمهد لهم الانتقال إلى أماكن أخرى بدون إزعاج.

كانت تلك هى الترتيبات التى وضعت بين اللجنة الصهيونية وبين قيادة الجيش فى منطقة "ملبس"، ولكن فى يوم عيد "العنصرة" تلقى سكان المستعمرة أمرا عسكريا بوجوب مغادرة المستعمرة فى الحال، ودون أي عناية بالترتيبات التى وضعت من قبل. وقد أهاج هذا الأمر سكان المستعمرة وزاد فى هياجهم أنه توجد عدة قرى

عربية كانت أقرب إلى خطوط النار من ملبس، ومع ذلك فأحد من العرب لم يطالب إليه مغادرة قريته، وكان تفسير ذلك أن السلطات العسكرية لا تثق باليهود وبقائهم قريبين من خطوط النار، وأنها تثق بالعرب برغم أنه كان معروفا أن العرب كانوا يتنقلون كل يوم بين المعسكرات البريطانية والمعسكرات التركية.

وقد ذهبت في الحال إلى الجنرال اللنبى لاشكو إليه ذلك، فلما دخلت عليه في مركز رئاسته دعاني إلى العشاء وقال لي إنه لن ينام في تلك الليلة فلقد كان تلقى أنباء باحتمال وقوع مناوشات بين القوات التركية والقوات البريطانية في تلك الليلة نفسها.

فلما استقر بنا المقام قصصت عليه حكاية ملبس فاهتم بها وأرسل أحد ياورانه للتحقيق في الأمر وأسفرت التحقيقات عن تأخير الجلاء المستعمرة بضعة أيام.

وجلسنا بعد العشاء نتحدث أنا والجنرال اللنبى فطلب إليّ أن أحدثه حديثا مستفيضا عن الصلات بين الطائفة اليهودية في فلسطين وبين السلطات العسكرية البريطانية. فقلت له: قد أفهم أن وعد بلفور لا يمكن تنفيذه والحرب دائرة، ولكن هذا الشعور العدائى بين السلطات العسكرية نحو اليهود سوف يعود على مستقبل العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين بأوخم العواقب.

ثم ذكرت إلى اللنبى أنى لاستغرب غاية الغرابة أن يقوم بين السلطات العسكرية من يحرض العرب ضد اليهود، بينما نحن رجال اللجنة الصهيونية قد وطدنا أحسن العلاقات بين أكثر زعماء العرب المعروفين فى ذلك الوقت قلت هذا إلى اللنبي، ثم قلت له: حسبك أننا نحن رجال اللجنة الصهيونية لم نسمع ولن يسمع غيرنا أن سماحة كامل افندى الحسينى مفتى فلسطين وموسى كاظم باشا الحسينى رئيس بلدية القدس وقد احتجا على وجودنا فى فلسطين أو اعترضا على السياسة الجديدة بشأن الوطن القومى فى البلاد بل أنا أقول لك أكثر من هذا فنحن أعضاء اللجنة الصهيونية قد أنشأنا احسن العلاقات الشخصية بيننا وبين سماحة مفتى القدس وسعادة موسى كاظم رئيس بلديتها بالإضافة إلى صلاتنا الطيبة مع الأمير فيصل زعيم الحركة العربية فى ذلك العهد. ومفاوضاتنا معه مما سيأتى الكلام عنها فى فصل مقبل.

ثم قلت إلى اللنبى إن الأراضى التى احتللتها فى فلسطين وما عسى أن تحتل منها فى المستقبل القريب قد لا تكون لها من الناحية العسكرية القيمة التى يفخر بها غيرك من القواد فى ميادين القتال الأخرى، ولكن عليك أن تذكر أن هذه القطعة من الأراضى التى احتللتها. هى آمال أمة وسوف يذكر لك التاريخ هذا الفتح أكثر مما يذكر من فتوحات أى قائد آخر. وهذا التحريض الذى تقوم به

السلطات العسكرية هنا قد يقضي على كل أمل في حسن العلاقات بين العرب واليهود في المستقبل.

ويؤسفني أن الأيام أثبتت صحة ما قلت، فالتحريض الذي به السلطات العسكرية منذ بداية احتلال فلسطين إلى أن جاء السر هربرت صموئيل إلى البلاد قضى بالفعل على كل امل في الاتفاق بين اليهود والعرب برغم الجهود التي بذلت في هذا السبيل من بعد.

وايزمان وارمسبي غور يطاريقهما إلى فيصل

أحسب أن الواجب يقضي عليَّ بتسجيل عملين بارزين قامت بهما اللجنة الصهيونية خلال إقامتها في فلسطين عام ١٩١٨م. الأول قد طمس تحت ذبول الإهمال، والنسيان. وإن كنت أرجو ان يعود المستقبل فيزيل ذلك، ويبرز على حقيقته الناصعة، والعمل الذي أعنيه هنا هو (تفاهمنا مع الأمير فيصل بن الحسين. والثاني عمل باق، وسيظل باقيًا، وهو الجامعة العبرية في القدس.

وقد كان اللنبي هو أول من أشار علينا، وبعد وصولنا إلى فلسطين بثلاثة أشهر، أن نتصل بفيصل، وأن نتفق وإياه على برنامج الصهيونية في فلسطين.

وكان فيصل في ذلك الوقت هو زعيم العرب، وقائد جيوشهم، ورمز أمانيهم. وكان في رأي اللنبي، وفي رأي معظم الخبراء في

قضايا العرب، هو الزعيم العربي الوحيد الذي تتعدى زعامته حدود قُطر عربي واحد، وتمتد إلى العرب في كثير من اقطارهم.

وكان فيصل، بحكم صفاته الشخصية، وبحكم أنه القائد الاعلى للجيوش العربية، يملك الزعامة في البلاد العربية التي كانت ثائرة على الترك، وكان يتمتع كذلك بمكانة ملحوظة عند الإنجليز.

وقد وافقنا في الحال على اقتراح اللنبي واعتبرناه دليلاً على رغبة القائد العام للقوات الإمبراطورية في أن يمهد السبيل لتفاهم اليهود والعرب. وقد كان لنا في اقتراح اللنبي ذاك خير عوض عما كنا نلاقي من سوء معاملة السلطات العسكرية البريطانية لليهود.

وبناء على ذلك بارحت القدس أنا واورمسبي غور إلى العقبة، ومن هناك واصلنا السفر إلى وادي عربة في أراضي الأردن.

وكان الأتراك لا يزالون يحتلون وادي الأردن، وكان الطريق الوحيد للوصول إلى فيصل أن نذهب إلى السويس ومنها إلى العقبة بالبحر، ومن ثم إلى عمان.

وقد استغرقت رحلتنا تلك عشرة أيام، وهي اليوم تستغرق ساعتين بالسيارة من القدس إلى عمان.

وقد ادعى بعض الرجال الذين سافروا معنا في المركب من

السويس إلى العقبة، أن المركب الذى سافرنا فيه كان هو نفسه يخت السفارة الألمانية فى إسطنبول، ولكن خبرتنا بالمركب وقاذوراته اقنعتنا بكذب ذلك الادعاء.

ويبدو أن قاذورات المركب وشدة الحرارة، أثرت على اورمسبى غور فأصيب بالدوسنتاريا، واضطر إلى البقاء فى العقبة تحت عناية طبيب بريطاني، وذهبت أنا وحدى إلى فيصل، مصحوبًا بضابط بريطاني، ودليل عربي.

وقد يممنا معكسر فيصل عن طريق وادى موسي، وهو فى الصيف أقرب شيء إلى جهنم الحمراء المذكورة فى التوراة. وليس فيه نبت، ولا ظل، ولا ماء، ولا سكن، ولا شيء يأوى إليه الإنسان، أو يستظل به.

وقد استطاعت السيارة أن تمضى فى ذلك الجحيم ٣ ساعات ثم تعطلت، فركبنا الجمال، ثم كملنا المسير على الأقدام. إلى أن وصلنا إلى معسكر لقوة الطيران البريطانى فى (النقب) حيث وجدنا أصدقاء، وملجأ، وعناية.

وفى صباح اليوم التالى زودنا السلاح الجوى البريطانى بسيارة جديدة، وبسواق إنجليزي، ولكن حتى تلك السيارة الجديدة والسواق الماهر عجزا عن السير فى منتصف الطريق، فعدنا إلى

المشى على الأقدام إلى أن أطللنا على مرتفعات الأردن فوجدنا هنالك جوا يختلف عن جو جهنم التى تركناها خلفنا، كما وجدنا معسكرًا بريطانيًا جميلاً، وطريقا معبدًا، وكان يقع وراء هذا المركز رئاسة للأمير فيصل.

ولم نكد نمكث إلا قليلاً فى المعسكر البريطانى حتى أتانا رسل من الأمير فيصل يحملون إلينا تحيات الأمير، ووضعوا بين أيدينا ماء وفواكه.

وفى رئاسة فيصل قابلت الكولونيل جويس.. فنصحنى بأن ارتاح راحة تامة ثم أقابل فيصلا فى اليوم التالي.

ومن هناك، وكان الوقت ليلا، وكان القمر قمرًا فلسطينيًا بديعًا، أطللت على جبال مؤاب، ووادى الاردن، والبحر الميت، وتلال (اليهودية) فنسيت الحاضر. وذابت أمامى ثلاثة آلاف سنة، وأصبحت اواجه تاريخ اليهود، وماضيهم وجها لوجه، حتى لكأنى كنت أعيش فى فترة تكتنف فيها ثلاثون قرنًا، وغرقت فى أحلامي، وتخيلت نفسى أقوم باسم شعبى أطلب إذن مرور لليهود بالرجوع إلى وطنهم.

وايزمان يطرى خدمات لورنس لليهود

الداهية البريطانى لم يكن عدوًا لليهود رغم (صداقته) للعرب

فى صباح اليوم التالى لوصولى إلى رئاسة الأمير فيصل، وبعد أن أخذت قسطى اللازم من الراحة، قابلت الأمير فى خيمته، يحيط به عدد من المحاربين الذين كانوا منهمكين حينذاك، بساعة حظ (فانطازيا). وكان لورنس يتنقل بينهم، يحدث هذا وذاك من شيوخ القبائل وأغلب الظن أنه كان يمهد معهم لغارة من غاراته الليلية ضد مواصلات الأتراك.

وكان أدعى الأشياء إلى انتباهى وفرة جنيهات الذهب الإنجليزية هناك، وكان الذهب فى ذلك الوقت من الأشياء النادرة الوجود بين الأمم المحاربة، وقد نبهنى وجوده إلى تلك الأكياس الثقيلة التى حملت معنا من السويس فى الباخرة، وكانت مملوءة جنيهات ذهبية.

وقد قضيت نحو نصف ساعة أشاهد ما أسموه تمرينات عسكرية، ثم دعيت إلى الجلوس مع فيصل فى خيمته، وبعد قليل قدموا لنا شايًا بدل القهوة، فسُررت أنا من ذلك، ولكن.. سرعان ما تبينت أن الشاى هناك مثل القهوة تمامًا، كلاهما شديد الحلاوة، دون طعم ولا نكهة.

وكان بينى وبين الأمير حديث طويل جرى بمساعدة ترجمان، حاولت فيه أن أبدد مخاوف العرب من مشاريع اليهود، وشرحت

للأمير كيف تسع البلاد - وكانت فلسطين والأردن لا تزالان بلدًا واحدًا - لمشاريع عمرانية واسعة تكفى العرب واليهود. وبينت له حاجتنا إلى مساعدته الأدبية.

وكانت محادثتنا تلك فى شهر حزيران عام ١٩١٨م، وكان الموقف الحربى لا يزال حرجًا، وقد يظن بعضهم أن فيصلًا لم يجد فى حديثى شيئًا عمليًا، قابلًا للتنفيذ بحكم أن الموقف الحربى كان لا يزال غامضًا، وأنه بحكم ذلك، لم ير حرجًا فى أن يقابل ما عرضته عليه بأدب خطاب معروف عن العرب من باب المجاملات، ولكن فيصلًا حين أعرب لى عن رغبته المخلصة فى أن يرى العرب واليهود يتعاونون فى مؤتمر السلام، وحين قال لى: إن مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط، وأن واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبري- وحين قال لى - فيصل- ما قال كان يعنى ما يقول بدليل ما سوف ترى فى الفصول المقبلة. وقد استغرق حديثنا ساعتين، اقترح الأمير فى نهايتهما ان تؤخذ لنا صورة معا.

وكان الأمير يلجأ فى بعض الأحيان إلى الكلام باللغة الفرنسية التى لم يكن يجيدها إلا أنه كان يستطيع أن يعبر بها عن أفكاره فى بعض الأحيان.

وقد قال لى الأمير إنه سوف ينقل حديثى معه إلى والده الملك

حسين. وقال إن والده هو الحكم الأخير في شئون العرب. وقد أثبتت تطورات الحوادث من بعد على أن فيصلاً نقل حديثي بالفعل إلى الملك حسين.

وقد كانت مقابلتي تلك مع الأمير فيصل في الصحراء الحجر الأساسي الذي بنينا عليه صداقة متينة بيني وبينه دامت طوال حياة الأمير

ويقضي على الواجب، وأنا أبحث هذه الناحية من تاريخ العلاقات بين العرب واليهود، أن أثني هنا أعطر الثناء على الخدمات التي قدمها لورنس للقضية اليهودية.

لقد عرفت لورنس، وقابلته مراراً في مصر ثم في فلسطين، وكان من بعد يتردد على منزلي في لندن في غير كلفة، ولا رسميات.

وكان موقف لورنس من الصهيونية موقفًا ايجابيًا، لا شك فيه. وقد كان من الخطأ البالغ أن الكثيرين تصوروا لورنس عدواً للصهيونية بحكم أنه كان صديقاً للعرب.

الانتصار الثاني الذى أحرزته اللجنة الصهيونية

اللنبي يرفض إقامة الجامعة العبرية أثناء الحرب.. ولكن لندن تخذله

كانت مقابلتي للأمير فيصل، وحديثي معه واشتراك لورنس في مفاوضاتنا، أول انتصار سجلته اللجنة الصهيونية خلال زيارتها لفلسطين.

أما الانتصار الثاني فهاكم قصته: كنت قبل أن أغادر لندن قد حصلت على موافقة بلفور بأن نضع أثناء اقامتنا في القدس. أساس الجامعة العبرية في جبل الطور. وفي أيار عام ١٩١٨ م تحدثت إلى اللنبي عن ذلك، وطلبت منه أن يتفضل بقبول وضع الحفلة تحت رعايته. وحين سمع اللنبي هذا الكلام بهت وقال لي: ماذا تطلب مني؟ اننا قد نضطر إلى التقهقر، ومغادرة فلسطين في أي دقيقة. فما هي الفائدة من الإقدام على عمل قد لا تستطيعون إتمامه؟

أما أنا فقد قلت له: (إننا حين ندعوك لتتولى حفلة رعاية وضع أساس بناية الجامعة العبرية في مثل هذا الوقت الحرج، فإنما نعرب بذلك عن إيماننا بالنصر، والنصر الذى سيتحقق لكم. وإيماننا كذلك بمستقبل فلسطين. وأنا لا أجد ظرفاً أصلح من هذه الظروف المحفوفة بالمخاطر لوضع أساس الجامعة العبرية).

أما اللنبي فقد عاد وقال لي:

(أحسب أنكم قد اخترتم شر وقت لتحقيق فكرة وضع أساس الجامعة، ذلك أن الحرب في فرنسا تجتاز محنة عصيبة والألمان أصبحوا الآن على أبواب باريس فأجبته في الحال:

(إننا سنربح الحرب، وليست الأزمة الحربية الحاضرة سوى سحابة صيف ستنقشع).

وأخيراً اضطر اللنبى إلى الإبراق إلى لندن.. سيتشيرها فى الأمر، وسرعان ما أجابت بالموافقة على إقامة الحفلة، ووضع أساس الجامعة.

وقد كانت حفلة التدشين على بساطتها، خالدة لذكريات بعيدة المعانى كانت أشعة الشمس فى ساعات النهار الأخيرة، تتراءى على جبال اليهودية، ومواب، فتحيلها إلى جبال من الذهب، وقد خيل لىَّ أن تلك الجبال كانت تنظر إلينا بعين التاريخ، وتتنبأ لنا: بأن الأساس الذى وضعنا للجامعة بحضور اللنبى كان بداية رجوع إسرائيل إلى أرض الميعاد.

وقد كنا، نحن نحتفل بوضع حجر الأساس، نستمع قذف المدافع فى ميدان شمال فلسطين، وقد أثارت هزة الصور المتباينة أغرب المشاعر فى نفسي، فلما وقفت لألقى كلمتى أخذت اقارن بين الخراب والتدمير اللذين يصاحبان الحروب وبين فكرة البناء والتعمير التى يحملها اليهود فى عودتهم إلى الوطن.

ذكرت فى خطابى كذلك أن ذكرى ٩ آب وهو التاريخ الذى هدم فيه الهيكل والذى قضى فيه القضاء الأخير على كيان اليهود السياسى فى فلسطين من قرون عديدة، لم يمض على تجديدها المعتاد فى كل عام سوى أسبوع واحد، وها نحن نحتفل الآن

بذكرى جديدة أخرى، هى الاحتفال بأول حجر فى إعادة بناء كيان اليهود السياسى فى فلسطين.

* * *

وقد رأيت بعد أن أقمنا أساس الجامعة العبرية أنه لم يعد لنا مقام لازم فى فلسطين فاستشرت اللنبى فى ذلك فوافق على رأيى وقال إننا مقدمون على هجوم كبير على الأتراك ويحسن أن نغادر البلاد إلى أن تنتهى الحرب.

وفى تشرين الأول وجدت نفسى مرة أخرى فى لندن. وأخذت أفصل هناك ما فعلنا فى فلسطين، وأشرح آمالنا، ومخاوفنا لأصدقائنا فى بريطانيا وأمريكا.

وقد أخبرت لويد جورج، وكان رئيسا للوزارة، تحضوري، فدعانى إلى تناول الغداء معه فى يوم ١١/ ١١/ ١٩١٨م ولم نكن نعلم بعد آن ذلك اليوم سيذهب فى التاريخ كيوم اعلان الهدنة بعد الحرب العالمية الأولي.

ولما حان اليوم المذكور وأعلنت الهدنة، كلمت فيليب كير، سكرتير لويد جورج بالتليفون، وقلت له: لعل لويد جورج ألغى دعوة الغداء بسبب إعلان الهدنة، وكم سرورى عظيمًا حين ذهب (كير) ثم عاد ليقول إن لويد جورج لم يغير شيئا، وأنه سيتناول الطعام معى وحدي.

المرحلة التى أعقبت الحرب الأولى

اختلاف ممثلى اليهود فى مؤتمر الصلح.. فرنسا تؤيد قيام دولة اليهود.

لما انتهت الحرب بإعلان الهدنة كان العالم يواجه الشيء الكثير من نتائج الحرب التى غيرت وبدلت من حياة الأمم، وكانت حياة الأمة اليهودية أكثر تأثرا بذلك من أى أمة أخرى.

وكان هناك غير ما ذكرنا من التبديل الذى طرأ على حياة الأمم، وحياة اليهود، أشياء أخرى أثرت على اليهود بصفة خاصة فمن ذلك مثلًا الصلح المنفرد بين روسيا وألمانيا، وقيام الثورة الشيوعية، ثم الحرب بين بولندا وروسيا الحمراء. هذه كلها كان لها أثر حاسم على جزءٍ كبير من الأمة اليهودية ممن يعيشون فى شرقى أوروبا.

وقد خرج العالم من الحرب وهو يشكو الجوع، والعري، والقلق، وبينما كان العالم هذا مشغولاً بإطعام المحتاجين وكسائهم تحت اشراف الحكومات، كنا نحن اليهود نحاول بناء وطن لنا يقيم فيه اليهود المضطهدون، دون أن تكون لنا حكومة أو كيان دولى معترف به.

ولم تكن مصاعبنا الخارجية هى كل ما لاقينا من مشقات، فلقد نشأ بين صفوف زعماء اليهود خلاف داخلى كبير، ذلك ان الكثيرين من اليهود كانوا يعتقدون أن وعد بلفور أعطى اليهود ما

يريدون بل فوق ما يريدون، وأنه لم يبق أمام اليهود إلا أن يذهبوا إلى فلسطين ويعلنوا هناك مملكتهم، وينتخبوا الحكومة التى تقوم على شئون تلك المملكة. وبلغ من أوهام اليهود فى هذا الباب أن وفد يهود أمريكا إلى مؤتمر الصلح، جاء وهو يحمل معه قائمة بأسماء المرشحين لتولى الوزارة فى مملكة إسرائيل.

وقد اقتضتنى هذه الأوهام أن أعمل ليل نهار لإفهام اليهود أن بريطانيا قطعت لنا الوعد، وعلينا نحن أن نفسره كيف شئنا، وأن ننفذه كيف أردنا ولكن بالعمل والصبر، والبناء الذى يحتاج إلى زمن. ولما دعينا إلى مؤتمر الصلح أفسح المؤتمر لخمسة منا مجال الكلام، وبسط قضية الوطن القومي، وقد دخلنا قاعة المؤتمر فى يوم الخميس ٢٣ شباط عام ١٩١٩ م وفى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، وكان سكولوف أول من تكلم، فشرح للمؤتمر تاريخ اليهود، وتعلقهم بأرض إسرائيل ثم تكلمت أنا وتناولت فى كلامى الشئون الاقتصادية للوطن القومي. وتبعنى اشيشكين، ثم الأستاذ اندريه سبير. وأخيرا تكلم سلفيان ليفي، وهو مندوب فرنسي، وقف بعدنا كلنا وهدم كل ما قلنا عن اليهود، وعن الوطن القومي.

وقد أحرجنا خطاب سلفيان ليفى غاية الإحراج، فلقد كان آخر من تكلم منا، ولم يكن من اللائق أن نخطب من جديد لننقض

كلامه، فجعل من مؤتمر الصلح مسرحًا لخلافات اليهود.

وأخيرا وقت المعجزة.. فلقد وقف مندوب الحكومة الأمريكية ووجه إليَّ هذا السؤال: ماذا تقصدون بالوطن القومى اليهودى فى فلسطين؟

ولم أكد أسمع هذا منه حتى وقفت وأخذت أفصل وأشرح وأهدم كل ما قاله سلفيان ليفي، وخرجنا من الجلسة لنتقبل تهانى الأصدقاء، وكان بلفور.. أول المهنئين.. وأشدهم حماسة.

وفى مساء ذلك اليوم أصدر تارديو، أحد أعضاء مجلس النشرة بياناً رسمياً قال فيه إن فرنسا لا تعارض فى انتداب بريطانيا على فلسطين، وإنشاء مملكة إسرائيل فيها.

وكان هذا أول تصريح علنى رسمى عن مملكة إسرائيل، فسررنا به غاية السرور، ولكن.. فى صباح اليوم التالى صدرت جريدة (الماتان) وفيها حديث للأمير فيصل كله عداء لنا، وهنا تدخل سكرتير فيصل، ونظم مقابلة بين فيصل وبين فليكس فرانكفورت، ولورنس، صديق العرب.

فيصل يشترط وحدة البلاد العربية واستقلالها

كان من نتائج المقابلة التى جرت بين الأمير فيصل، وبين فليكس فرانكفورت بحضور لورنس، صديق العرب، أن أرسل

فيصل فى اليوم التالى للمقابلة الرسالة التالية إلى فليكس فرانكفورت، وقد ضمنها رأيه فى قضية اليهود وقضية العرب. وفيما يلى ترجمة الرسالة المذكورة:

عزيزي المستر فرانكفورت: أريد أن اغتنم هذه الفرصة الأولى التى اتصل فيها بكم لاتحدث إليكم عما سبق لى ان تحدثت به من قبل إلى الدكتور وايزمان فى البلاد العربية فى أوروبا.

إن العرب واليهود أصولهم الجنسية واحدة، فهم كلهم ساميون، وكلا الشعبين يشكو الاضطهاد ويتطلع إلى الحرية.

ونحن العرب الذين أقمنا فى باريس نعلم تمام العلم حقيقة مطالب اليهود، وقد نستطيع نحن وأنتم إذا أحسنا التعاون، أن نفيد الشرق الأوسط أعظم إفادة وأن نبعثه من جديد. إن العرب طلاب وطنية واستقلال، وليسوا بطلاب استعمار، وإنى أرجو أن يكون اليهود كذلك.

المخلص: فيصل

* * *

ومن الانصاف أن أذكر هنا أن الأمير فيصل، حين اتفق معنا على التعاون وقبل دخولنا مؤتمر الصلح، علق تنفيذ اتفاقه معنا على

شرط واحد، إلا أنه عظيم، وهو وجوب موافقة بريطانيا على مذكرته التى قدمها إلى وزارة الخارجية بتاريخ ٤/ ١/ ١٩١٩م، وهى التى طالب فيها بوحدة البلاد العربية واستقلالها كلها.

وقال فيصل كذلك إنه إذا لم توافق بريطانيا على ذلك الشرط فإنه يصبح فى حل من تنفيذ اتفاقه.

ومهما يكن من أمر فيصل والعرب وتعاونهم معنا فلقد تأكد اليهود من الأيام الأولى لمؤتمر الصلح، إنهم قد ربحوا قضيتهم بالعرب، وبغير العرب.

***

وفى تلك الأيام التى قضيتها فى مؤتمر الصلح فى باريس تعرفت بالكثيرين من زعماء اليهود الأمريكيين، كما توطدت صلاتى بهم، وفهمتهم الفهم الصحيح، وكان لفيلكس فرانكفورت الفضل الأول فى ذلك، فلقد كان أول من أفهمنى حقيقة عقلية الأمريكان، وكيف يمكن التأثير عليها، وربحها إلى جانبنا.

وفى ذلك الوقت ذهب الأدون برانديز، مستشار الرئيس ميلسون، فى الشئون اليهودية، إلى فلسطين، فلما عاد منها أكد لنا أن فلسطين لن تصلح لاستيطان اليهود إلا إذا تولت حكومة الانتـــــداب تنفيذ مشاريع صحية كبيرة فيها، اعظم شأنا من تجفيف

المستنقعات، والقضاء على أسباب انتشار الملاريا فيها. ويأتى بعد ذلك وجوب تعبيد طرق تصـــل أطـــراف البلاد بعضها ببعض.

وبعد أن قضيت فى باريس المدة التى تطلبها وجودى فى مؤتمر الصلح، عزمت على العودة إلى القدس، وفى طريقى إلى الإسكندرية أقيمت فى الباخرة التى كنت فيها حفلة (يانصيب) ربحت فيها ١٠٠ جنيه تبرعت بها لصندوق بحارة السفينة.

ولما وصلنا إلى الإسكندرية كان الجنرال كونجريف يقوم مقام اللنبى كمندوب سام فى مصر، وهو رجل عنيد. وقد قيل له: إن هناك رجلا اسمه وايزمان آت فى طريقه إلى فلسطين مع لجنة صهيونية، فخشى الجنرال من نزولنا فى أرض مصر، ومنعنا من ذلك تفاديا للاضطراب. وكان الكولونيل جنرال مينرزاجن، يعمل فى مصر كضابط سياسى تحت امر كونجريف، وكان الكولونيل من أصدقاء اليهود، فأبرق إلى لندن يخبرها بما فعل كونجريف، فأرسلت وزارة الخارجية ووزارة الحرب تعليمات إلى الجنرال كونجريف فألغى أمر المنع، وجاء لزيارتنا، ودعانا إلى الغداء فى دار الاعضاء فى القاهرة.

بدء الاضطرابات العربية فى القدس

كانت أيامى الأولى فى فلسطين، حين عدت إليها، تضطرب بالقلق السياسى والاقتصادى معا. وكنت خلال إقامتى فى القدس، وكلما زادت هواجسي، أذهب إلى تل أبيب حيث انقطع فى عزلة مع بعض أصحابى من قدماء المستعمرين اليهود، من مثل إبراهام شابيرو الذى ولد فى روسيا وعاش فى فلسطين وأتقن العربية اكثر مما يتقن العبرية، ويشوعا خانكين واوشيسكين، وكان لهذا الأخير الفضل الأكبر فى أننا اشترينا سهل مرج بن عامر من عائلة سمرسق فى بيروت، وكانت تلك الصفقة الأولى من الصفقات الكبار التى اشتريناها من أراضى فلسطين.

وعدت إلى لندن فى أوائل عام ١٩٢٠ ثم رجعت إلى فلسطين قبل شهر آذار لأقضى عيد الفصح مع أمى فى حيفا. وكان سبب رجوعى السريع انى قابلت اللنبى فى باريس، فابدى لى مخاوفه من أعمال اللجنة الصهيونية فى فلسطين، ونصحنى بوجوب عودتى إلى القدس.

ولما وصلت إلى فلسطين وجدت هناك هربرت صموئيل،

واللنبي، وبولز، وكان بولز حاكمها العسكرى العام. وكان اللنبي، وبولز قد استدعيا هربرت صموئيل كمستشار للحكومة العسكرية.

وكان الجميع هناك مسرورين من مجيء هربرت صموئيل، فلقد كان الجو مشحونًا بنذر الشؤم، والاضطرابات، وكان وجود هربرت صموئيل ضروريًا للاستعانة بآرائه.

وكان المهيجون بين العرب نشيطين أشد نشاط، ولكن لم يكن هناك أدلة على أن الحكومة تتخذ إجراءات لمنع التهييج، والاستعداد لوقف الاضطرابات.

وكان جابوتنسكى موجودًا فى القدس فى ذلك الوقت.

وقد تبين لى من مصادر عديدة أن بعض رجال الحكم يشترك فى عمليات تهييج العرب، وتشجيعهم على الثورة. وأنا لست ممن يتأثرون بالفزع، أو يتشاءمون من أفل الأشياء، ولكن مصادر عديدة أصرت على صحة ما ترامى إلينا من أعمال التهييج، واشتراك بعض الحكام فى ذلك، لقد ذهبت تلك المصادر إلى حد تعيين زمن انفجار البركان فقالوا إن الاضطرابات حدثت فى يوم عيد الفصح، وهو عيد اليهود، ويصادف كذلك عيد النبى موسى عند المسلمين.

كان هذا فى القدس، أما فى الجليل فكانت اضطرابات الحالة فى سوريا بسبب حوادث الملك فيصل كثيرة، وكان المسلحون

العرب لا يفتأون يتسللون من سوريا، ومن قرى فلسطين إلى المستعمرات اليهودية النائية للسلب والنهب تحت ستار الوطنية.

وفى إحدى تلك الغارات العربية على مستعمرة (تل حي) وكانت مستعمرة حديثة، وفى أقصى الشمال، قتل يوسف ترمبلدور، وسيدتان معه.

***

وعبثا حاولت إقناع اللنبي، وبولز بأن الاضطرابات واقعة لا محالة فى عيد الفصح؟ وفى يوم شددت على بولز فى هذا الصدد فقال لي: لا تخف، إن البلاد تعج بالجنود، فقلت له: إن العرب يثورون لساعة واحدة، أو لنصف ساعة فقط، ثم يختفون؟ فليس الجند هم العامل فى هدوء الحالة، وإنما الذى يضمن السلام هو الضرب على أيدى المهيجين.

ولكن بولز لم يقتنع، وقال لي: اذهب إلى حيفا واقض العيد مع أمك مطمئناً.

وقد قضيت عيد الفصح فى حيفا مع أمي، ولكن.. الثورة نشبت فى القدس فى عيد الفصح كذلك ونشبت لأقل من ساعة. وفى هذه الثورة خرج جابوتنسكى مع شبان يهود لحماية المنطقة اليهودية، وكان مسلحًا فألقى الجند الإنجليزى القبض عليه وحوكم

هو والحاج أمين الحسيني، وعارف العارف أمام محكمة عسكرية وصدر حكم على جابوتنسكى بالحبس ١٥ سنة، وعلى الحاج أمين وعارف العارف بالإعدام.

وقد أصدر السر هربرت صموئيل - المندوب السامى اليهودى على فلسطين - أمرا بالعفو عن الثلاثة، فقبل العفو الحاج أمين الحسيني، ثم عينه مفتيًا أكبر، وقبل العفو كذلك عارف العارف، ثم تعين قائمقاما.

أما جابوتنسكى اليهودى فرفض العفو، وظل فى السجن، وأرسل إلى السر هربرت يقول: إن قبولى العفو منك معناه اعترافى بأنى ارتكب جريمة، وأنا أقبل منك إلغاء الحكم، أى اعترافك أنت بأنى أنا لم ارتكب جريمة، حين خرجت مسلحًا لادافع عن بلادي.

وظل جابوتنسكى فى السجن إلى أن أصدر السر هربرت صموئيل أمرًا بإلغاء الحكم.

وهذا هو الفرق بين العقلية العربية وعقلية اليهود

وايزمان يرى فى ثورة ١٩٢٠م مغزاً خطيراً

لماذا اشغل اليهود العالم بها؟.. اللنبى يؤيد فكرة الوطن القومي

وقد وجد من الإنجليز، فى ذلك الوقت، من اتهمنا بأننا نجعل

من الحب قبة.. فاضطرابات عام ١٩٢٩ التى جعلنا العالم المتحضر كله يهتز لها، ويبدى أعظم مظاهر العطف علينا بسببها، لم يفقد فيها اليهود سوى عدد من القتلى يسقط مثلهم كل يوم بحوادث السيارات في لندن وحدها كما قالت الليدى استور

أما حوادث عام ١٩٢٠م التى حكم فيها على الحاج أمين الحسيني، وعارف العارف بالإعدام، ثم عفا عنهما السير هربرت صموئيل، وهى الحوادث الأولى من نوعها في فلسطين، والتى شغلنا العالم بها، وأقمنا الحكومة البريطانية وأقعدناها بسببها، فقد كان مجموعة من قتل من اليهود فيها ستة أشخاص فقط، وإذن فلماذا ضججنا نحن كل تلك الضجات على ضآلة تلك الحوادث، وتفاهة خسائرها؟

السبب في ذلك أن زعماء فلسطين كانوا يتعمدون إثارة الاضطرابات، وتقتيل اليهود بدون تمييز لبعث الرعب في قلوب اليهود في الخارج، وإيهامهم بأنهم سيلقون في فلسطين من ضروب الاضطهاد ما اعتادوا أن يلقوه في روسيا في عهد القيصرية.

وكانت لحوادث عام ١٩٢٠ م أهمية خاصة، ذلك أن زعماء فلسطين حسبوا حساب مؤتمر سان ريمو، وهو الذى كان عليه أن يقرر مصير الانتداب، فأثاروا الاضطرابات المذكورة اعتقادًا منهم

بان المؤتمرين، متى سمعوا بأن العرب قتلوا ستة من اليهود فى فلسطين تراجعوا رهبة.. وفزعًا.. فلا انتداب، ولا وطن قومي.

وكنت أرى فى اضطرابات عام ١٩٢٠م مغزى خطيراً، فلقد كان من المخجل حقا أن تقع مثل تلك الاضطرابات فى عهد الحكم البريطاني، وهو المكلف بتنفيذ سياسة الوطن القومي، كما أنى خشيت ان تؤثر تلك الاضطرابات على اذهان وفود بعض الدول فى مؤتمر سان ريمو، فتتحقق بذلك فكرة زعماء فلسطين، وغايتهم من الاضطرابات التى أشعلوها.

ولهذا فقد رأيت أنه من الواجب عليَّ أن أغادر فلسطين وأعود إلى أوروبا، وأن أحضر بنفسى مؤتمر سان ريمو.

ولما وصلنا إلى مصر نزلت فى فندق الكونتيننتال، ومن هناك كلمت اللنبى فدعانى إلى تناول الغداء معه فى اليوم التالى لوصولي.

وفى الكونتيننتال شاهدت حفلة رقص كبرى أقيمت فى الليلة التى وصلت فيها، وكم كان حزنى عظيما حين شاهدت يهودًا ويهوديات يشتركون فى تلك الحفلة.

ويراقصون العرب كأنما كان يهود مصر لا صلة لهم بيهود فلسطين، ولا سمعوا بقتل إخوانهم فى القدس.

ولما ذهبت إلى اللنبى فى دار الاعتماد بالقاهرة، كانت أول عبارة قالها لى هى هذه:

(أحسب أنك ستقول لي، وبحق، لقد صدقت نبوءتي، ووقعت الاضطرابات التى حذرتك أنت وبولز منها. وأحسب أنك تفضل الآن أن ينسحب الإنجليز من فلسطين جزاء ما فعلوا).

فأجبت قائلاً:

(إنى ارى عكس ما تقول. فأنا أتطلع إلى مؤتمر سان ريمو، ووجوب نجاحنا فيه، ومتى وافقت الدول على الانتداب فأول ما يجب علينا فعله هو إقامة حكومة قوية مدنية تتولى الإشراف على البلاد، فلا تصلح الإدارة العسكرية لمثل هذه المهمة).

وهنا قال لى اللنبي: يبدو أنك قليل الثقة بالإدارة العسكرية؟

فقلت له: إنى لست قليل الثقة فحسب بل لا ثقة لى بالمرة بتلك الإدارة.

وقد انتقلنا بعد ذلك إلى بحث شئون الهجرة، وشراء الأراضى فى فلسطين. ثم طلبت من اللنبى رسالة إلى لويد جورج، فأعطانى رسالة خلاصتها ما يلي:

١- أنا لا أوافق الدكتور وايزمان على رأيه فى الإدارة العسكرية

التى أتولى الإشراف عليها فى فلسطين.

٢- أنا أوافق على جميع ما جاء فى برنامج الدكتور وايزمان بشأن الوطن القومى فى فلسطين).

المعضلة التى اشغلت ولا تزال تشغل وايزمان

بولز يطلب قرضًا لاستيعاب مليونى نسمة فى فلسطين!

وفى طريقى إلى إيطاليا كنت لا أنفك أفكر فى معضلة ظلت، ولا تزال، تشغلنى حتى اليوم، وستظل تشغلنى حتى الممات. هذه المسألة هى هذه: لماذا واجهنا، نحن اليهود، عداء رجال الحكم فى فلسطين من بداية الاحتلال حتى نهايته؟ ولماذا نشب هذا العداء حين لم نكن قد أرسلنا مهاجرين، ولا اشترينا أرضا؟ ولماذا كانت الحكومة البريطانية والشعب البريطانى متحمسين لنا بينما كان الإنجليز فى فلسطين يبغضوننا؟ ولماذا كان كل إنجليزي، حتى المتحمسين لنا، متى جاءوا كحكام إلى فلسطين انقلبوا إلى أعداء اليهود؟

إن هذه المعضلة تشغلنى منذ زمن، ولا تزال تشغلني، وسوف أبحثها فى فصول قادمة.

وبهذه المناسبة أريد أن أنشر هنا رسالة زودنى بها الجنرال بولز بتاريخ ٢١/ ١٢/ ١٩١٩م وكان يشغل فى ذلك الوقت منصب

الحاكم العسكرى العام لفلسطين بالنيابة عن اللنبي، والرسالة موجهة إلى اللنبي:

عزيزى الجنرال

أرسل كتابى هذا مع الدكتور وايزمان الذى قضى هنا فى فلسطين شهرين تناول خلالهما العمل فى عدة مسائل بروح خالية من التحزب، بعيدة عن العاطفة الجامحة وليس من شك أن روح العداء للصهيونية قد خفت هنا بفضل جهوده. وأنا أستطيع أن أزعم، وبعد مرور شهر على تعيينى حاكمًا عامًا على فلسطين، أنه فى الإمكان جلب المهاجرين بكميات كبيرة، ودون اضطرابات على شرط أن تجرى عمليات الهجرة دون تظاهر، وترائى بالنفس.

وأنا أعرب أنه يوجد هنا البعض من المهيجين ممن لا يفتأون يعادون عبارة وحدة سوريا..

إن البلاد فى حاجة إلى الإصلاح، والتعمير بسرعة حتى يرضى الشعب، وفى رأيى أنه متى صودق على الانتداب فى سان ريمو يجب عقد قرض كبير لفلسطين بمبلغ عشرة أو عشرين مليون جنيه، وأنا أريد هربرت صموئيل أن يأتى إلى هنا للاستعانة به فى هذا الأمر. ولو تيسر للبلاد مثل هذا القرض فلست أشك فى أننى أستطيع أن أجعل هذه البلاد تتقدم، وأن تتسع لمليونين ونصف

المليون من السكان بدل ٩٠٠ ألف فقط، وأستطيع أن أجعل وادى الاردن يتسع لمليون ساكن بدل الف.. ساكن فقط يعيشون فيه الآن.

وأنا أرجوك أن:

١ - تعيد لى وايزمان.

٢ - ترسل إلى هربرت صموئيل فى زيارة.

٣- ترسل لى خبيرًا ماليًا ضليعاً.

٤ - تعمل لتحقيق القرض.

وإذا حققت لى هذه المطالب فأنا أعدك بأن أجعل من فلسطين أرضا تفيض لبناً وعسلاً.

المخلص ل. ج. بولز

ولكن بولز الذى كتب تلك الرسالة كان هو ج. بولز الذى وقعت فى ٥ يونيه وبعد ٤ أشهر من تاريخ الرسالة الاضطرابات عام ١٩٢٠م.

مصيبة العرب
بالخطة البريطانية الموضوعة

بلفور يقول: اضطرابات القدس لا تقدم ولا تؤخر فى سير قضية الصهيونية.

وأخيرا وصلنا إلى إيطاليا ومنها ذهبنا إلى روما فسان ريمو. وفى سان ريمو تقابلت مع المستر (كير) سكرتير المستر لويد جورج، رئيس الوزارة البريطانية وكانت مقابلتنا فى فندق رويال.

ولم أكد أشاهد (كير) حتى انفجرت عواطفي، فشرعت أ... على الاضطرابات التى وقعت في القدس وتحت الحكم البريطاني.

وأنا أعيد اليوم إلى ذاكرتى تفاصيل تلك المقابلة فأشعر بالشفقة على (كير) وما ناله من لوم، وتعنيف مني.

وقد سلمت (كير) رسالة اللنبى إلى لويد جورج وسألته أن يعين لى وقتًا لمقابلة رئيس الوزراء. وكان هربرت صموئيل يجلس

مع سكولوف فى عزلة، بينما كنت أنا أحادث (كير) وكان هربرت، وسكولوف هادئين، وتبدو عليهما مظاهر الثقة والاطمئنان. ولما طلبت من (كير) تعيين مقابلتى مع لويد جورج، نظر إلى الجهة التى يجلس فيها هربرت وسكولوف ثم قال لي:

(سأعين لك المقابلة متى رأيتك هادئا هدوء هذين الرجلين)..

ولا شك أن كلام (كير) كان حقا، ولو أنى لم أقبله فى تلك الساعة.

ولما كانت قضية فلسطين مدرجة فى آخر (أجندة) المؤتمر فى سان ريمو فلقد كان علينا أن ننتظر نحو أسبوع دون عمل إلى أن يحين الوقت لطرح القضية أمام المؤتمر، وكثيرا ما كنت أفكر فى بعض الأوقات فى حوادث القدس، وأقول: ترى هل ستؤثر هذه الاضطرابات على سير القضية؟ وفى يوم قابلنى بلفور، وتحدثت إليه عن مخاوفى فأكد لى أن تلك الحوادث لا أهمية لها، وأنها لا تخطر على بال انسان، وأن القضية ستسير سيرها حسب الخطة الموضوعة، وزادنى اطمئنانا، أن للورد كرزون، وكان معروفا بأنه ليس من أصدقاء.. اليهود، شارك بلفور فى الرأى وأكد أن اضطرابات القدس وأمثالها لا تقدم ولا تؤخر.

وكان أول الغيث، قبل نظر القضية، أن أذيع فى أروقة المؤتمر، وبين كبار رجاله، فكرت في إرسال هربرت صموئيل كمندوب سام

إلى فلسطين، فيستهل بذلك الحكومة المدنية فيها، وكان هربرت قد أعلن عن استعداده لقبول المنصب كما وافق على ذلك لويد جورج، وبلفور.

وكل هذا الذى شاهدت فى المؤتمر أكد لى أن حوادث القدس كانت هباء منثورًا، وان المهيجين العرب قد خابت مساعيهم كعادتهم فى تاريخهم الطويل فى الحركة العربية.

وأخيرا، وفى آخر أيام المؤتمر، وفى ساعاته الأخيرة نظر قضية فلسطين، وطال الاجتماع حتى تسرب إلينا القلق، فشرعت أقطع ردهة المؤتمر الخارجية ذهابًا وإيابًا وأنا فريسة القلق، والفزع وفجأة فتح باب المؤتمر، وخرج بلفور وهو يلوح بيده فهرولت إليه، فقال لي: أنا ألوح لشركائى فى فرقة التنس.. فقد حان الوقت ولم يأتوا كلهم.

وكدت أصعق لولا أن تداركنى لويد جورج، وسكرتيره رانا يطفحان بشراً وأخذا يهنئانى على نجاح القضية.. وقال لى لويد جورج:

(إن الفرصة سانحة أمامكم، والعالم اليوم فى حركة، وفى حرارة الساعة، فعليكم أن تعملوا حالًا، وقبل أن تجمد العاطفة وتستحيل إلى صقيع..

وكان كل من فى المؤتمر فى ذلك الوقت كريمًا، عطوفًا حتى

اللورد كرزون وحتى الوفود العربية كانت مسرورة، بادية مظاهر الغبطة. وكان الشخص الوحيد الذى بدا عليه التفكير، والقلق هو فيليب ساسون اليهودي، وكان أحد أعضاء الوفد البريطانى مع لويد جورج.

ومصادقة مؤتمر سان ريمو على الانتداب وبالتالى على وعد بلفور فتح أمامنا صفحة جديدة فى تاريخ اليهود، وكان أول ما رأيناه واجبا علينا فعله هو ضم يهود العالم فى وحدة سياسية واحدة، هى ما عرف من بعد باسم المنظمة الصهيونية، والوكالة اليهودية. ولما وضعنا الخطط اللازمة لتحقيق ذلك فى أوروبا أعددت نفسى للذهاب إلى أمريكا حتى أسسنا هناك المنظمات السياسية اللازمة لنا.

الأحداث التى تلت اضطرابات يافا عام ١٩٢١م

المؤتمر الصهيونى العام فى براغ لتأليف الوكالة اليهودية فى فلسطين

ولما ذهبت إلى أمريكا، بعد أن فزنا بمصادقة مؤتمر سان ريمو على الانتداب، أردت أن يكون الوفد الذى يرافقنى إلى هناك قويًا بشخصياته، فذهب معى ألبرت أينشتين العالم الألمانى الشهير، وصاحب نظرية النسبية، وأوسيشكين، والدكتور بنزيون موسنسون، وسيمون جنزبورج وهو ابن احادهاعام، ولينوتارد شتين وكان حاكمًا عسكريًا فى صفد ثم سرح من الجيش البريطاني.

وكان يهود أمريكا بعيدين عن فكرة الصهيونية كما نعرفها

نحن، وكان حزب برانديزى يريد فرض إرادته علينا، وعدم المناداة (بكارن هايسود) وأمثالها من المؤسسات الأخري، كمنظمات يهودية عامة يجب التبرع لها.

ولما طال الجدل مع برانديزى فى هذا الشأن اضطررت أن أتحداه، وأن أنشر بيانا ادعو فيه يهود أمريكا إلى المصادقة على فكرتى بشأن (الكارن هايسود) وأمثالها، وفى اليوم التالى لنشر بيانى المذكور قابلت السير أريك جدس، سفير بريطانيا فى أمريكا، فلامنى على تسرعى فى نشر البيان، وتجاهلى حزب برلنديزى فى أمريكا، ثم قال لي: إنك أخطأت هنا كما أخطأ الرئيس ويلسون حين تجاهل الحكومة الرسمية لايطاليا، واتصل بالشعب الإيطالى رأسا ضد إرادة حكومته، ففشل.

وقد أجبته أنه ليست هناك روابط دم بين ويلسون والشعب الايطالي، أما أنا فإنى يهودي، ويهود أمريكا منى وفي. وبالفعل لقد استجاب يهود امريكا لندائى وتجاهلوا زعمائهم.

ومن أمريكا، وكان ذلك فى عام ١٩٢١، ذهبنا إلى براغ لحضور المؤتمر الصهيونى العام، حيث كان مطلوبًا منا تنظيم المنظمات الصهيونية العالمية، وتأليف الوكالة اليهودية فى فلسطين.

وخلال انعقاد المؤمر وصلت إلينا أنباء مقلقة عن تصرفات

أول رئيس لإسرائيل
التجربة والخطأ

السير هربرت صموئيل

خلال اضطرابات يافا عام ١٩٢١ أراد هربرت صموئيل تهدئة الشعور العربي فأمر بوقف الهجرة، فكان لعمله ذلك أسوأ أثر على يهود العالم كلهم.

ثم تتابعت أخطاء هربرت صموئيل. فهو لم يكتف بوقف الهجره وانما اضاف إلى ذلك أنه عفا عن مثيريها، ثم فعل شرًا من ذلك.

فلقد أراد أن يبالغ فى تملق المهيجين ورشوتهم فعين الحاج أمين الحسينى رئيسًا للمجلس الاسلامى الأعلى وأطلق عليه لقب المفتى الأكبر، وأطلق يده تتصرف فى أموال كثيرة، وزاد من نفوذه بين الشعب. وكانت الغلطة التالية أنه خضع لمحامٍ عربي اسمه وديع البستانى فى قضية أراضى بيسان، فسجل باسم المزارعين العرب ٤٠٠ ألف دونم أرض من الأراضى الأميرية.

هذه الأخطاء الثلاثة كانت من أكبر أخطاء هربرت صموئيل.

وايزمان يشرف على مسودة صك الانتداب!

نتائج أعمال الوفد العربى إلى لندن - تقرير هيكرافت - مقابلة البابا

عدت إلى لندن قبل خريف عام ١٩٢١م بعد أن أتممت جولاتى فى أمريكا وفى بلدان أوروبا. وكان همى الشاغل فى تلك الجولات أن أقيم الكارن هايسود على أسس متينة، وقد نجحت فى ذلك فى أمريكا، ثم رجعت إلى أوروبا لأفعل هناك ما فعلته فى أمريكا أما رجوعى إلى لندن فكانت الغاية الأولى منه هى الإشراف على وضع مسودة صك الانتداب قبل عرضه على جامعة الأمم للمصادقة النهائية عليه، بعد أن صادق مؤتمر سان ريمو على مبدأ الانتداب ذاته.

وكان اللورد كيرزون، خلال الفترة التى كانت لندن تضع فيها مسودة صك الانتداب، قد تسلم وزارة الخارجية مكان بلفور وكان هو نفسه المسئول عن وضع المسودة وكان معنا فى لندن بن كوهين، وهو من أقدر واضعى المسودات وقد أرسله يهود أمريكا

خصيصا لذلك، وقد تعاون بن كوهين مع الشاب ايريك فوربس آدام، سكرتير اللورد كيرزون، فى وضع التسويدة المطلوبة، وكان أهم خلاف وقع بيننا وبين كيرزون فى صدد المسودة هو أننا حاولنا وضع العبارة التالية فى الصك، وهى هذه:

(والاعتراف بحقوق ... اليهود التاريخية فى فلسطين) إلا أن كيرزون عارض فى ذلك، واستعاض عنها بعبارة: (والاعتراف بصلات اليهود وعلاقاتهم التاريخية فى فلسطين).

ثم لم يثر بيننا خلاف آخر.

وبينما كنا نتقدم كل ذلك التقدم فى تهيئة صك الانتداب لعرضه على جامعة الأمم، وصل إلى لندن فى عام ١٩٢١م الشيخ الزعيم العربى موسى كاظم باشا على رأس وفد سرعان ما ملء أجواء وزارة المستعمرات، والبرلمان ومجلس اللوردات والصحف بالشكوى من اليهود، ومن سياسة الوطن القومي. وقد استطاع هذا الوفد أن يجمع حوله نخبة مختارة قوية من الإنجليز الذين نسميهم الآن بالفاشيست وكان على رأس هؤلاء اللورد اسلنجتون، واللورد سينهام، واللورد راجلان، ونورثكليف، وبيفربروك، وغير هؤلاء. وزاد فى الطين بلة أن جاء نورثكليف إلى فلسطين ثم عاد منها وهو يحمل البغض لليهود فى فلسطين، وشرع فى القيام بحملة شديدة ضدنا.

وجاءت ثالثة الاثافى فى تقرير هيكرافت الذى وضعه عن اضطرابات يافا عام ١٩٢١م. ومع أن هيكرافت انحى باللائمة على الثوار العرب، وجرمهم، إلا انه صور العرب فى فلسطين بصورة تجعلهم فى نظر الأجانب ضحايا سياسة الوطن القومي.

وفجأة التهب الجو فى بريطانيا ضدنا فحملت علينا معظم الصحف هناك، وكانت صحف نورثكليف، وبيفربرزوك أشد تلك الصحف عنفا. وفى ذلك الوقت ظهر كاتب إنجليزى اسمه جيفرس.. نشر ضدنا سلسلة مقالات نارية ساعدت على إشعال الجو.

إلا أننا لم نضطرب، فلقد كان لنا أصدقاء نعتمد عليهم، منهم رامزى ماكدونلد واللورد ملز وكانت الحكومة معنا.

وقد زار مكدونلد ومنر فلسطين، ثم عادا ليكتبا عنا أحسن ما يمكن أن يكتب، ودافعا عنا خير دفاع.

أما الوفد العربى برئاسة موسى كاظم باشا فلقد ترك لندن، بعد أن أشعل جوها، وذهب إلى باريس، وإلى روما فأثار هناك الطبقات الفاشيستية التى أثارها فى لندن.

وقد أثارتنى هذه الزيارات العربية، والتهاب الجو ضدنا، إلى فكرة وجوب زيارة عواصم البلدان الأوروبية حتى اطلع بنفسى على أثر الدعايات ضدنا، وحتى أتابع جهودى فى سبيل الكارن

هايسود فى بلادن أوروبا.

وقد فكرت فى أن تكون روما أول بلد أزوره، لأن الفاتيكان كان أكثر المراكز تأثراً بالدعايات ضدنا.

وكنا نعلم حق العلم كره المونسنيور برلاسينا لنا، وحقده علينا بسبب تسوية الأماكن المقدسة، وعبثا حاولنا إفهامه أن ليس لليهود شأن، ولا مصلحة فى تلك التسوية.

وكان وزير خارجية ايطاليا فى ذلك الوقت هو السنيور تشانزر، وكنت أرجح أنه من أصل يهودى من تريستينو.

وقد تحدثت إلى تشانزر مدة طويلة وكان حديثه كله عن المشكلة التى أثارها برلاسيناء وعبثًا حاولت إفهامه، أننا نحن اليهود، لا شأن لنا بمشكلة الأماكن المقدسة وإنما الشأن فى ذلك شأن الدول المسيحية وبريطانيا.

ثم قابلت الكاردينال جاسباري، وزير خارجية الفاتيكان، وكان متأثراً بآراء برلاسينا، ولما خرجت من عنده بعد أن حاولت إفهامه الحقيقة، صدرت صحيفة الفاتيكان وفيها (ريبورتاج) عن مقابلتى خال من الهجوم، إلا أنه غير خال من التشويه. فقد نسبت الجريدة إليَّ أنى قلت: ان اليهود يملكون فى فلسطين (فضلة) من الأراضى ولهذا فهم لن يشتروا أراضى جديدة لمدة عشر سنوات مقبلة.

وأخيرا قابلت البابا، وقد واجهنى بقوله: (لقد قلت أمس قولًا أعجبني) فقلت له: هل تعنى بذلك ما ورد فى خطابى فى الجامعة الرومانية فى روما، وما ورد فى خطابى فى الاوسرفاتورى رومانو؟ فابتسم البابا، وقال: إنها أقوال ذكرها الصحفيون.

وهنا قلت له: إنى كنت أجل صحفيى الفاتيكان عن أخطاء مثل تلك التى نسبوها إلي.

وعبثا حاولت إفهام البابا أن ليس لليهود شأن فى تصرفات حكومة فلسطين، ذلك أن البابا كان يعتقد أن اليهود هم شركاء الإنجليز فى الحكم فى فلسطين.

أغرب الحوادث التى وقعت لوايزمان بإيطاليا

تشرشل واورمسبى غور أكبر فرسان الصهيونية فى البرلمان البريطاني

وقد قابلت الكاردينال جاسبارى مرة أخري، وتناول الحديث بيننا شئون اليهود العامة، فشرحت له ما يقوم به اليهود فى فلسطين من أعمال زراعية، وصحية وتعليمية وغير ذلك، فنظر إليَّ ثم قال:

(ليس هذا ما يقلقني، وإنما يقلقنى فكرة الجامعة العبرية فى القدس).

وقد أثار قول الكاردينال تفكيري، وشغل ذهني.

ثم قابلت رجال الوزارة الإيطالية وقابلت الملك عمانوئيل،

فتحدث عن صداقته لهرتسل وكان يضع صورته على المائدة التى أمامه.

وفى جميع هذه المقابلات كنت أحاول أن أتبين أسباب معارضة إيطاليا للصهيونية ولكنى لم أوفق. كذلك لم أوفق فى تبين أسباب أهتمام إيطاليا وفرنسا بشئون الأماكن المقدسة فى فلسطين، ذلك أن اليهود لم يكن لهم أى دخل فى تلك الأماكن. فهل كان ذلك بسبب قيام دولة بروتستانتية على الانتداب على فلسطين؟

وخلال زيارتى لإيطاليا درست حالة اليهود هناك، وكانوا يعدون ٥٠ ألفًا بين نحو ٤٠ مليونًا وقد اندمجوا مع الطليان اندماجا جعلهم منهم وفيهم، لا يختلفون عنهم فى شيء، اللهم إلا ذهاب هؤلاء إلى المعابد اليهودية وذهاب أولئك إلى المعابد المسيحية. واليهود فى إيطاليا ينعمون بحريتهم التامة. ولكن برتيس شارنر هو أديب يهودى معروف، استطاع أن يغرس فى إيطاليا غرسة الصهيونية بين شبان اليهود هناك.

واليهود خدموا إيطاليا أجل الخدمات. وفى زيارتى الأولى لها، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولي، وكان أربعة من وزراء الحكومة الإيطالية يهودًا. ولليهود مكانة مرموقة فى العلم، والسياسة، والاقتصاد والصناعة وكانت الشركة الإيطالية التى تولت إصلاح ميناء الإسكندرية شركة يهودية.

وكان مما أثار اهتمامى بيهود إيطاليا أنى قدرت مستقبل إيطاليا فى حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد فهمت من الإيطاليين أن ساستهم كانوا يخشون الصهيونية اعتقاداً منهم بأنها صنيعة.. من صنائع بريطانيا، وأن بريطانيا تحتضن الوطن القومى اليهودى فى فلسطين لأغراض استعمارية.

ومن أغرب الحوادث التى وقعت لى فى ايطاليا أنى ذهبت إلى جزير جابرى للراحة، وكان فيها عدد من المهاجرين الروس، ولم أكد أسير فيها حتى تجمع حولى عدد من الروس يصيحون: هذا هو لينين.

وقد حدث لى حادث آخر أخطر من هذا فى جنوي، فلقد تتبعنى البوليس فيها. وكان من حسن حظى أنى كنت أسير مع صديق من كبار رجال جنوى فالتفت صديقى إلى البوليس يسأله عن سبب تتبعه إيانا؟ وكان الوقت وقت اجتماع المؤتمر الاقتصادى لدول غربى أوروبا وحضره وفد من روسيا.

فأجاب البوليس: (أنا يا سيدى مكلف بحراسة الوفد الروسي.. فلما شاهدت المستر لينين.. معك اضطررت إلى تتبعكم فأفهمته أنه ليس بينى وبين لينين صلة سوى هذا الشبه فى الخلقة).

وذهبت من إيطاليا إلى المانيا إلى باريس حيث قابلت الجنرال (غورو) وتحدثت إليه عن الحدود الشمالية لفلسطين، وبينت له

اهمية نهر الليطانى للمشاريع اليهودية.

أما (غـورو) فردنى كما ردنى الطليان بحجة أننا أذناب للاستعمار الإنجليزي.

ومن باريس عدت إلى لندن وقد كنت فيها خلال مهزلة نقض مجلس اللوردات لوعد بلفور، وتحويل الوعد إلى مجلس النواب للتصويت عليه، وخذلانه كما جرى فى مجلس اللوردات.

وقد قال لى بلفور إن خذلان بعض مهاويس.. اللوردات للوعد لا يعنى شيئا. وبالفعل لقد جرى التصويت على الوعد فى مجلس النواب فنال أكثرية ساحقة وكان أبرز فرسان اليهود فى ذلك ونستون تشرشل، واورمسبى غور.

وفى ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢م وافقت جامعة الأمم على الانتداب.

الحركة الصهيونية
تتأرجح بين مد وجزر

حفلة افتتاح الجامعة العبرية.. اليهود يتمسحون ببلفور ويشكرون له خدماته

كانت الفترة بين عام ١٩٢٠م وعام ١٩٢٩م فترة تأرجحت فيها الحركة الصهيونية بين مد وجزر، وكانت أحب الذكريات إلى نفسي في تلك الفترة حفلة افتتاح الجامعة العبرية في القدس

ويذكر القاريء أننا وضعنا أول حجر في تحقيق فكرة الجامعة حين اخذنا من الليدى جراى قطعة الأرض التي كانت تملكها على جبل الطور، وكان ذلك في خلال سني الحرب، وكان الحجر الثاني حين أقمنا بناء على قطعة الأرض المذكورة لتخزن فيه الكتب التي كانت في حوزتنا والتي جعلناها نواة لمكتبة الجامعة، ثم تلا ذلك بناء قسم الدراسات الشرقية.

وفي عام ١٩٢٣ جاء إلى القدس البروفسور بتريك جريس

ليدرس شئون تخطيط مدينة القدس، فطلبنا منه أن يضع لنا تصميم بنايات الجامعة، ففعل.

وفي الوقت الذي كنا نقوم فيه بدعايات واسعة في العالم كله لفكرة الجامعة العبرية ونعمل لتحقيقها في القدس كنا لا نفتأ نسمع انه لا سبيل للجامعة العبرية أن تضاهي كمبردج، أو باريس، أو هارفارد أو غير هؤلاء من الجامعات الكبرى.

أما أنا فكنت أتطلع دائما إلى اليوم الذي تتحقق فيه فكرة الجامعة، وتتحول إليها جهود ودماء الجيل الجديد من شبان اليهود بكل ما فيهم من استعداد للتفوق.

وأخيرا قررنا أن نفتتح الجامعة في أول نيسان عام ١٩٢٥م.

وفي منتصف أذار عام ١٩٢٥م كنت أبحر من جنوى إلى فلسطين للإشراف على حفلة الافتتاح، وكان من حسن الحظ أن رافقنا في السفر وفي نفس الباخرة البروفسور وابارد، السكرتير الدائم للجنة الانتداب في جامعة الأمم، وكان في طريقه إلى القدس ممثلاً لجامعة جنيف. وكان معنا كذلك بلفور.. وجماعته وكانوا في طريقهم للغاية ذاتها.

وفي القاهرة نزل بلفور ضيفا على اللنبي، وبعد يومين رافقنا اللنبي إلى القنطرة، ثم إلى القدس.

وقد كان لوصول بلفور إلى القدس أثره على العرب، وقد قدرنا ذلك، لأن المسألة لم تقلقنا، فلقد كانت النتائج معروفة.. فهي لا تتعدى قفل بعض حوانيت العرب في القدس، ويافا، وحيفا، ثم بعض غوغاء يتظاهرون في الشوارع، ويرددون نداءات معادية.

لم تقلقنا هذه الأشياء، ولم تشغل وقتنا، وإنما الذي أشغلنا بالفعل هو تدبير أماكن للضيوف القادمين للاشتراك في الحفلة، وكانت القدس في ذلك الوقت فقيرة بفنادقها. وقد تعاون معنا السكان اليهود في حل هذه الأزمة، وقدم لنا الجميع بيوتهم، فوجد الضيوف الراحة التامة، أما بلفور واللنبي فنزلا ضيفين على دار المندوب السامي.

وكانت حفلة الافتتاح رائعة ببساطتها وبجمال الطبيعة المحيطة بنا. وفي المساء جلست امرأتي بجانب اللنبي في حفلة العشاء فقالت له زوجتي:

أتذكر حين طلب منك زوجي في عام ١٩١٨م وضع حجر الأساس في بناء الجامعة، بينما الحرب لا تزال دائرة؟ وهل تذكر أنك قلت: ليس الوقت صالحًا لذلك ونحن قد نتقهقر في أي ساعة؟

وهل تذكر أن زوجي أصر على ذلك وقال إنها فرصة نثبت فيها إيماننا بالنصر.

فقال اللنبي: لقد كانت تلك الحفلة التي وضعت فيها حجر الأساس مشجعة لي.. ولجيشي..

وكان بلفور حين جاء لافتتاح الجامعة في السابعة والسبعين.. من عمره، ومع ذلك فقد أبى إلا أن يجول في فلسطين، ويشاهد بنفسه كل ما فعله اليهود هناك.

وكان أروع ما رآه بلفور، وما أثار شعوره في تل أبيب، فلقد اجتمع فيها يهود المنطقة كلها يحيون بلفور، ويتمسحون به، ويشكرون له ما فعله لليهود.

وبلغ من تأثر بلفور حين شاهد ما شاهد من حياة اليهود في فلسطين، ومن آمالهم بالمستقبل، أن التفت إليَّ وقال:

(أحسب أن المسيحيين في أوائل المسيحية كانوا كهؤلاء اليهود.. الذين يعيشون اليوم في فلسطين بالأمل..).

وكان برنامج بلفور أن يخرج من فلسطين بالقطار إلى سوريا، وقد خرج تحت حراسة شديدة، ولكن سوريا كانت قد ثارت كلها كتلة من الشعور الحانق.. فأرسل الجنرال (سراي) قوة هربت.. بلفور تهريبًا.. قبل أن يدخل الشام، وأخذته إلى الباخرة رأساً في بيروت، وعاد إلى مصر.

لو نفذ المجلس التشريعي لحطم آمال اليهود

زعماء العرب لم يفهموا غاية (الوكالة العربية) فرفضوها..!

وفي خلال الأسابيع التي أعقبت زيارة بلفور بمناسبة افتتاح الجامعة، سمعت، نقدًا مرًا لتصرفاتي، وكان ممن اشترك في نقدي الدكتور جودا ماجنس، وهو الذي كان على وشك أن يعين عميدًا للجامعة، فلقد كان من رأى ماجنس أني جعلت من حفلة افتتاح الجامعة مظاهرة سياسية. قلت وأي ضرر في هذا؟ إن كل عمل انشائي نعمله في فلسطين هو مظاهرة سياسية. وما وعد بلفور، والوطن القومي سوى مظاهرتين سياسيتين؟

إن هذا الذي جرى في افتتاح الجامعة كان له اثره العميق في مختلف أنحاء العالم واكتسب لنا أصدقاء لم يكونوا من قبل من انصار الصهيونية، وأنا أذكر من هؤلاء اللنبي.. ورابارد.

وكانت مظاهرة الجامعة مقصوداً منها التدليل على أن قيمة الشيء بما فيه من احتمالات. وها نحن نجد، وبعد أقل من ٢٥ سنة من بدء تأسيس الجامعة أنها قد صارت معهدا يبشر بان يصبح من أعظم المعاهد العلمية في العالم كله.

كذلك كان القصد من مظاهرة الجامعة بعث روح الأمل بين اليهود في مهاجرهم وإثارتهم للصمود أمام التجارب حتى يوم الخلاص.

وبالفعل لقد كان افتتاح الجامعة متفقا في الزمن مع بدء موجة اللاسامية الأخيرة. فلقد ظهر هتلر لأول مرة في مظهر التحدى عام ١٩٢٣، ونشر كتابه (كفاحي) في عام ١٩٢٤م كذلك ظهرت بوادر لاسامية في ذلك الوقت في رومانيا وهنغاريا وبولندا.

وبينما كانت هذه النذر تتابع ضد اليهود في مهاجرهم، كانت الحملات ضد وعد بلفور، وسياسة الوطن القومي تتقوى في بريطانيا، وشرعت الحكومات البريطانية تتخذ من كتاب تشرشل الأبيض وسيلة للانتقاص من حقوق اليهود في فلسطين.

وفي عام ١٩٢٣م جاءت حكاية المجلس التشريعي لفلسطين، وهو مما رفضه العرب. ولو تم تنفيذه وحرص العرب على الاستفادة منه، لعاد علينا بأعظم الأخطار.

ثم جاءت فكرة الوكالة العربية أمام الوكالة الصهيونية. والوكالة اليهودية تمثل يهود العالم أجمعين، أما الوكالة العربية فهي تمثل عرب فلسطين وحدهم ولكن زعماء العرب لم يفهموا الغاية من الوكالة العربية فرفضوها، مع أن غاية بريطانيا من ذلك كانت جعل عرب فلسطين وحدهم يتساوون في الوزن مع يهود العالم كله.

ثم جاء بعد ذلك تقرير لجنة الانتداب الدائمة في عام ١٩٢٤م، وكان رئيس الدورة الكونت تيودولي، وكان إيطالياً، متزوجًا من

عربية، وكان يبغض اليهود. وقد جاء في تقرير تلك الدورة حديث طويل يفهم منه القارئ أن عرب فلسطين هم الأكثرية، وأن اليهود أقلية، وأن واجب الانتداب الحرص على حقوق الأكثرية لا على حقوق الأقلية.

وفي عام ١٩٢٥م استقال السر هربرت صموئيل وكان من حسن الحظ أن جاءنا المارشال بلومر، وهو رجل حديدي.

وأنا أقنع بالحادث الآتي للدلالة على قوة ذلك الرجل، وحسن إدارته:

حدث أن اليهود أرادوا أن يأتوا بعلم الفرقة اليهودية، وأن يضعوه في الكنيس تخليدًا لذكرى الفرقة. وقبل يوم الاحتفال بالعلم ذهب زعماء العرب إلى بلومر ليحتجوا.. وقالوا له:

(إذا تظاهر اليهود بالعلم فنحن لا نستطيع أن نكون مسئولين عن الأمن).

فقال لهم:

أيها السادة: لم يطلب منكم أحد أن تكونوا مسئولين عن الأمن، وانم المسئول عن ذلك هو أنا، وأنا هنا وسأكون هناك.

وكان هذا الجواب كافيًا لإسكات زعماء العرب طيلة السنوات الثلاث التي قضاها بلرمر في فلسطين.

ثورة العرب عام ١٩٢٩ م

تعقب اتحاد اليهود

بدء الصراع بين اليهود ووزارة المستعمرات بعد نشر الكتاب الأبيض

مضت سبع سنوات على تاريخ المصادقة على الانتداب في عام ١٩٢٢م، حتى إعلان تأسيس الوكالة اليهودية في عام ١٩٢٩م وقد افتتح الاجتماع الدستوري للوكالة في سويسرا في ١١ آب عام ١٩٢٩م، وتم فيه الاتفاق بين اليهود الصهيونيين واليهود غير الصنهيونيين. وبرغم المجهود الذي صرفته في ذلك الاجتماع، وما نالني فيه من تعب، وارهاق، فلقد كنت سعيداً بالنتائج التي حصلنا عليها. ولما انتهى الاجتماع سافرت إلى (ونجن) لأقضي هناك فترة أيام ارتاح فيها من متاعبي. وقد قضيت يوما هناك لم اقرأ فيه صحيفة، ولم أسمع خبراً، فلقد تعمدت أن انقطع عن العالم لارتاح راحة تامة.

وفي صباح اليوم التالي دخل الغرفة أحد خدم الفندق ومعه

برقية لي، فتوجست شرا، وقلت في نفسي:

لقد تركت المؤتمرين منذ يومين فليس هناك ما يدعو إلى إرسال برقية مستعجلة، وإذن فلن تكون هذه البرقية سوى أنباء سيئة من فلسطين، وقد كان...

كانت تلك البرقية إعلانا بالتهاب ثورة العرب عام ١٩٢٩م التي قتل فيها ١٥٠ يهوديًا، وجرح مئة، عدا الأملاك التي نالها الخراب، والدمار.

وقد ذعرت أنا من تلك الأنباء، وقدرت أن زعماء العرب قد هالهم اتفاق اليهود في مؤتمر سويسرا فأرادوا أن يقابلوا تقدم اليهود في فلسطين، وفي خارجها بعمل من أعمالهم المعروفة، وهي لا تعدو التقتيل والتخريب، وهي حكاية تكررت حتى ملها العالم.

أما أنا فقد عزمت على إفساد حركة المهيجين في العالم، فاتصلت بلندن بالتلفون ولكن كان جميع أصدقائي غائبين وأ... استطعت أن اتصل باللادى ستودن قرينة وزير المالية فأ... تهدئ من شعوري.

وسافرت من (وزجن) إلى لندن وكان وزير المستعمرات في ذلك الوقت هو اللورد باسفيلد، وكان معروفاً بنفوره من اليهود، ومن الوطن القومي.

وقد ذهبت إلى منزله مع صديقنا الحميم.. ودجوود، فقالت لي اللادى باسفيلد: (لماذا تتأثر كل هذا التاثر، وتذعر كل هذا الذعر؟ ان ما قتله العرب من يهود فلسطين يقتل مثله كل أسبوع في حوادث السيارات في لندن وحدها).

ولما قابلت باسفيلد وأصحابه في وزارة المستعمرات تبين لي أن باسفيلد يريد وقف الهجرة.

وحاولت أن أرى رمزى مكدونالد رئيس الوزارة، وبرغم تدخل ابنه مالكولم ماكدونالد فلقد خابت محاولاتي. وفي الواقع أني لم استطع أن ارى رمزي ماكدونالد إلا بعد ذلك بوقت طويل، وكان ذلك في جنيف حين ذهب إليها لحضور اجتماع جامعة الأمم.

وكانت مساعى خصومنا في لندن قد أخذت تثمر ثمارها، فجاءت لجنة (شو) ثم لجنة جون سمبسون.

وفي جنيف قابلت ماكدونالد، وقابلت كذلك المسيو بريان وزير خارجية فرنسا.

ثم قابلت ماكدونالد الكبير مرة أخرى بحضور باسفيلد، وروتنبرغ، وجمع من كبار رجال الحكومة البريطانية، وكان ظاهرًا أن عداء باسفيلد لنا كان قد كسح كل شيء أمامه، وجعل من حكومة ماكدونالد حكومة معادية لنا.

وفى ٢١/١٠/١٩٣٠م صدر تقرير سمبسون والكتاب الأبيض معا، ولست أرغب فى تحليل هذين التقريرين، وحسى أن أقول إن كل يهودى فى العالم اعتبرهما محاولة لإفساد اعمالنا فى فلسطين.

وردًا على نشر هذين الكتابين استقلت أنا من رئاسة الوكالة، ثم ابتدأ الصراع بيننا وبين وزارة المستعمرات، وكان يناصرنا فى ذلك ستانلى بلدوين، واوستن تشمبرلن، وليبولد امري، والسر جون سيمون، والجنرال سمطس.

وايزمان يمتدح جميل مكدونلد على اليهود

تعيين واكهوب مندوبًا ساميًا كان بطلب من وايزمان

وكان رمزى مكدونالد قد طلب من الوكالة اليهودية، وقبل نشر كتاب باسفيلد الأبيض، تعيين لجنة يهودية تتشاور مع اللجنة الوزارية فى شئون سياسة فلسطين، وكان غرض ماكدونالد من ذلك تغطية موقفه، ونشر الكتاب الأبيض على أنه شيء لم ينشر دون سابق تعاون وتشاور.

وكانت اللجنة الوزارية تضم ارثر هندرسون كرئيس، ومالكولم ماكدونالد سكرتيرا، وغيرهما، أما اللجنة اليهودية فكانت تضم بين أعضائها: أنا، وليونارد شتين، وهارى ساكر، وهارولد لاسكي، وجيمس روتشلد والبروفسور برودتسكي والبروفسور ناميز.

وقد كافحنا فى هذه اللجنة المشتركة طوال شهور فصل الشتاء، وكان أمامي كفاح مرير لهدم فكرتين للحكومة البريطانية:

الفكرة الأولى هى السعى لجعل تعهد بريطانيا لليهود مقصوراً على يهود فلسطين دون يهود العالم.

والفكرة الثانية هى السعى لتصفية الوطن القومى عند الحد الذى وصل إليه.

وكانت هناك مسألة ثالثة أحاول هدمها، تلك هى ما ذكر فى الكتاب الأبيض من أن السلطات المنتدبة سوف تعاقب بالشدة والصرامة أى فريق تصدر عنه الاضطرابات والقلاقل، والإخلال بالأمن.

وكنت أنا أعلم أن مثل هذا النص فى كتاب باسفيلد الأبيض هو من ابتداع حكومة فلسطين كيدا منها لليهود، وإلا فما شأن اليهود، حتى ذلك الوقت، بالاضطرابات، والقلاقل؟ فاليهود لا يخرجون على القانون، ولا يقتلون، ولا يخربون. وهناك شيء أخير، وهناك ان الكتاب الأبيض، كغيره، من كتب الحكومات البريطانية عن فلسطين، كان دائماً ينص على أشياء توهم القارئ بأن اليهود والعرب فريقان متحاربان، وان الانجليز بينهما يد سلام، وتوفيق وحكم.

وكان اللورد باسفيلد يحضر بعض اجتماعات اللجنة. وقد دل، فى جميع الاجتماعات التى حضرها، على أنه هو عميد حركة مقاومتنا.

ترى كم كان اثر كفاحنا على الحكومة البريطانية، وعلى الرأي العام؟ الحق أنى لا أدري، ولكن الذى أدريه أن الحكومة البريطانية

قلت سياستها رأسا على عقب فى١٣/ ٢/ ١٩٣١م ولم يكن ذلك الانقلاب فى شكل إلغاء كتاب باسفيلد صراحة. فلقد تكون الصراحة هنا مضيعة لماء الوجوه. وإنما جاء الانقلاب فى صورة كتاب وجهه رمزى مسكدونالد إلى شخصى أنا، وقد تلا كدونالد هذا الكتاب فى مجلس النواب، وطبع فى هانسارد وقد رأيت أنا فى الكتاب الدليل الكافى على القضاء على سياسة باسفيلد، وكتابه، فلم يعنينى من بعد أن يقضى ماكدونالد على سياسة باسفيلد بكتاب خاص لى أم بأى طريقة أخري.

وقد تعرضت أنا أمام المؤتمر اليهودى لحملات شديدة لانى قبلت كتابًا شخصياً من ماكدونالد، بدل أن أطالب بإصدار كتاب أبيض آخر يلغى الكتاب الأبيض الأول.

وحسبى ردا على تلك الحملات هو أن ألفت النظر إلى الأرباح العظيمة التى ربحناها بعد كتاب ماكدونالد مباشرة، وخلال السنوات التى تلت ذلك.

وفى الحق أن كتاب ماكدونالد الذى وجهه إلى شخصى هو الذى مهد لنا أن ندخل إلى فلسطين فى عام ١٩٣٥م وحدها، ٦٥ ألف مهاجر شرعي، عدا المهاجرين غير الشرعيين.

وقد برهن ماكدونالد على حسن نياته. حين دعاني، بعد تخلى

السر جون تشانلر عن منصب المندوب السامى ليستشيرنى عمن يخلفه.. وقد قال لى ماكدونالد: إنى أقدر مبلغ أثر المندوب السامى فى توجيه السياسة.. وتحقيق الغايات...

فقلت أنا له: إنى أريد جنرالًا عسكريًا.. على أن يكون ممن يعملون برؤوسهم، لا بأقدامهم...

فكان من نتيجة ذلك أن تعين السر آرثر واكهوب فى عام ١٩٣١م وهو الذى تقدمت البلاد فى عهده كل ذلك التقدم المعروف..!

اتفاق زعماء فلسطين وأعداء اليهود بلندن

اختلاف زعماء الصهيونية على وسائل استغلال فلسطين واستعمارها

وأحب أن أقيد هنا مطالعتين، لابد لى من تسجيلهما قبل أن أمضى فى بحثي. أما المطالعة الأولى فهى هذه. لقد أثار زعماء عرب فلسطين اضطرابات عام ١٩٢٩م معتقدين بأنها ستكون هى القاضية، ولهذا فقد جعلوها أعنف، وأقوى ما عرف من قبل. فهل تحققت آمالهم؟ لا، وقد كان فشلهم ذريعًا، ذلك أنهم فشلوا فى كل شيء، حتى فى التأثير على أعصابنا.

والمطالعهة الثانية: أن أعداءنا فى لندن اتفقوا فى العمل مع زعماء العرب فحاولوا ما حاوله الزعماء المذكورون، وأصدروا كتاب باسفيلد بقصد القضاء علينا، ففشل الأعداء فى لندن فشل الأعداء فى فلسطين.

ولى أن اسأل الآن: هل هناك صلة بين تآمر زعماء فلسطين،

وأعدائنا فى لندن؟ وهل كانت هذه الصلة صلة تعاون، وتوافق، أم صلة فى طبيعة الأشياء حين تتجاذب، وتنمو فى وحدة من الغاية الواحدة؟

أما أنا ففى رأيى أن الصلة كانت موجودة، ولولا (فلسفتى السياسية) وهى تلك الفلسفة التى وضعتها للصهيونية، وتوليت أ... تنفيذها، فليس من شك فى أننا كنا خسرنا المعركة بيننا وبين زعم... فلسطين وأعدائنا فى لندن.

وخلاصة فلسفتى السياسية، منذ بداية فكرة الصهيونية، هى أ... الصيونية عملية بيولوجية بين اليهود بعضهم وبعض، وبين ارض إسرائيل، ولولا جهودى من قبل فى توحيد يهود العالم، وتعبئتهم تحت لواء الصهيونية، ولولا التعمير الذى عمرناه فى فلسطين لخذلت الصيونية أمام تآمر زعماء فلسطين وأعدائنا فى لندن.

وبرغم أن كتاب ماكدونالد لى قد اعاد إلينا مركزنا السياسي، فقد أعاد إلى البلاد الأمن، والسلام، والرخاء، وتدفق الهجرة.. وظل الرأى اليهودى العالمى ثائراً عليَّ، لأنى قبلت كتاب مكدونالد بدل أن أطلب من الحكومة البريطانية اصدار كتاب ابيض آخر يلغى الكتاب الأول، وكان أشد الأحزاب اليهودية وطأة عليَّ هو حزب الإصلاحيين بقيادة جابوتنسكي، فلقد كان يطالب بإنشاء مملكة يهودية على ضفتى الأردن، ويعتبر القبول بأى شيء آخر خيانة لليهود.

ولما انعقد المؤتمر الصهيونى فى عام ١٩٣١ م كنت أنا هدفًا لحملات شديدة، إلا أنى صمدت لها، وأفهمت المؤتمرين ان نجاح الصهيونية وتحقيق غايلتها يتوقفان على الاستعمار، والعمران فى فلسطين، ثم مراضاة الدولة المنتدبة، وقلت كذلك إنه واحب علينا أن نربح الرأى العام البريطانى إلى جانبنا.

ولكن برغم جهودى أبى المؤتمر ان يصغى إليَّ، واصر على وجوب بحث غايات الصهيونيين فى غير خفاء، ولا تستر. واتفق الاصلاحيون والمزراحيون ضدي، وصوت المؤتمر ضد سياستي.

وظلت هذه الخلافات عدة سنين بين اليهود الذين يطلبون اصطناع القوة فى أخذ فلسطين، وبين اليهود الذين يرون أن أخذ فلسطين يتحقق بالسلم، والسياسة أكثر مما يتحقق بالقوة.

وكان من رأيى أنا أن ليس المهم أن نأخذ من بريطانيا كتابًا أبيض بدل الكتاب الخاص الذى أرسل إليَّ، وإنما المهم أن نأخذ ما أخذناه من مثل مشروع روتنبرج ومشروع البحر الميت وغير ذلك كثير.

وقلت للمؤتمر إن أسوار أريحا سقطت أمام أصوات الأبواق، وهتافات الشعب ولكن أحدا لم يسمع بأن أصوات الأبواق وهتافات الشعب أقامت أي أسوار أخرى لأريحا.

تعيين واكهوب

كان ترضية للصهيونية..!

كيف اضطر وايزمان إلى التخلي عن رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية؟

لم تكن المعارضة التي واجهتها والتي اضطرتني إلى التخلي عن رئاسة المنظمة الصهيونية، مقصورة على السياسة، ورجال السياسة من اليهود، وإنما كانت هناك موجة من خيبة الأمل في.. عمت الطبقات المتوسطة من الشعب اليهودي الذين كانوا يعتقدون بأنه لولا اعتدالي، وسياستي لاستطاع اليهود أن يستولوا على فلسطين دفعة واحدة. وفي وثبة واحدة.

أما أنا فلم أغير، ولم أبدل قط من رأيي، وهو أن الوطن القومي له سبيل واحد لتحقيقه وهو سبيل ضم دونم إلى دونم، وبقرة إلى بقرة، ومزرعة إلى مزرعة، ومهاجر إلى مهاجر، إلى أن تتم عملية بناء الوطن القومي.. وكان من رأيي كذلك أن الوطن القومي يبنيه الشعب اليهودي شيئاً فشيئاً على الأسلوب الذي ذكرت.

ولو تركنا الميدان لأفراد من المتمولين اليهود أن يبنوا الوطن

القومي دفعة واحدة لأصبح وطنًا راسماليًا لا وطنًا قوميًا.

وكان من نتيجة مؤتمر (بال) الذى خذلت أنا فيه، أن انتخب (سكولوف) للرئاسة، وكان هذا العمل ظاهرة ملحوظة من التناقض، فلقد كان سكولوف من أصدقائي، ومن زملائى فى الحركة الصهيونية منذ عام ١٩١٦م، ومن الأخذين بالسياسة التى أخذت بها أنا.

وقد يبدو أن جابوتنسكى خدع بهذا الإنتخاب، فلقد كان يؤمل أن يفوز هو بمقامي، فلما فاز سكولوف أصيب بخيبة أمل، وعلى إثر انتهاء المؤتمر كتب جابوتنسكى إلى قرينتى يقول: أنا فخور بزوجك، وبك يا صديقتي.

فردت عليه قرينتى تقول: لقد وصلتنا تعزيتك.. ولكن نحن لم نمت.. بعد.

ولما خذلنى المؤتمر، وتنحيت عن السياسة الصهيونية إلى حين، بحكم تطورات مؤتمر (بال) كنت قد بلغت الثامنة والخمسين، وقد رأيت أن أعود، وبعد ١٣ عامًا من الانقطاع للسياسة، إلى عملى فى الكيمياء، فعدت إلى لندن، واقمت لى معملًا متواضعاً، وأخذت أصل ما انقطع ما بينى وبين تطورات تقدم العلوم الكيماوية خلال فترة انقطاعي.

ترى كم كان يعود بى إلى الكيمياء، وإلى ملاحقتى لتطورات تقدمها العظيم خلال انقطاعى عنها من أثر على مشاريعى

الكيمياوية.. فى فلسطين لاسيما على مؤسسة وايزمان للكيمياء فى ديران؟ كان أثر ذلك عظيمًا ولا شك.

انقطعت اذن عن السياسة ولكن السياسة لم تنقطع عني.. فحين اصيب العالم بالكارثة الاقتصادية التى بدأت منذ عام ١٩٣١م اصيبت اقتصاديات الصهيونية برجة عنيفة فلم يختر الصهيونيون سواء للتجوال فى أوروبا وأمريكا لتدبير الأموال اللازمة لمواجهة تلك الأزمة الطارئة. ولم يكن لى مندوحة عن قبول المهمة، وعن الانصباب عليها بكل ما أملك من قوة وفكر.

وخلال فترة ابتعادى عن رئاسة المنظمة الصهيونية، أى من عام ١٩٣١-١٩٣٥، كنت حريصاً على أن أميل مع هذا الحزب، أو مع ذلك، و،كنت قانعًا بالرقابة من بعيد.. لبعيد، ولكن لم يكن معنى هذا أنى طلقت الصهيونية، أو شغلت عن سياستها.

وقبل أن يذهب السر واكهوب إلى فلسطين مندوبًا ساميًا فيها زرته فى بيته وترددت الزيارات، وكان يستعين فى كخبير بشئون فلسطين.

وبرغم خلافاتنا مع السر واكهوب فى صدد سياسته فى الأيام الأخيرة من حكمه فى فلسطين، فنحن لا ننكر أن إرساله إلى فلسطين كان أكبر دليل على رغبة رمزى ماكدونالد فى ترضيتنا، وعزمه على التعويض علينا.

وطن قومى غريب عديم المشكلات

اقتضتنى مهمتى التى انتدبتنى لها الهيئات الصهيونية وأنا بعيد عن منصبى الرسمي، أن أذهب إلى جنوب إفريقيا، وقد كانت زيارتى لتلك البلاد سعيدة، إذ احتفى بى الجنرال سمطس صديق الصهيونية الذى لم يتخل عنها طوال سنى حياته، أحسن احتفاء.

وقد شاهدت فى جنوب إفريقيا، وهى أقرب أن تكون قارة، طائفة يهودية غريبة، موزعة فى تلك القارة الكبيرة، ولم يكن بينها من يؤمن بفكرة اندامج اليهود مع الأمم الأخري، وإنما كانوا كلهم متصلين برباط روحى واحد هو الصهيونية.

وكان معظم اليهود هناك، وأكاد أقول كلهم، من روسيا، وأكثرهم من ملوك ألماس.. والذهب.

وقد قضيت فى جولاتى خمسة أشهر، كانت شائقة كلها، ولكن كان اغرب ما صادفت هو ذلك الوطن القومى فى أحد برارى إفريقيا.

فلقد كان صيد الحيوانات والوحوش الأليفة منها وغير الأليفة

تنتشر انتشاراً كاد يقضى على اصناف الحيوانات فى تلك البلاد، ولهذا خص الجنرال كروجر الحيوانات هناك بمساحة قدرها ٨ آلاف ميل مربع منع فيها الصيد والقنص ومحاولة إصابة أى حيوان، أو طير هناك باذي.

وقد اعتادت الحيوانات الأمن هناك فصارت أليفة، وشبه أليفة، حتى ليمر المرء هناك بسيارته فلا يهابه حيوان واصبحت عادة مألوفة أن يرى المرء، وهو يقطع طريقا فى ذلك الوطن القومي، حيوانًا واقفًا امامه أإو سائرا دون ان يتعرض له باذي، أو أن يجفل منه.

وقد خطر لى أن أذهب إلى ذلك الوطن القومي.. وأن أقضى فيه ثلاثة أيام، فتجهزنا لذلك، وأخذنا حاجتنا من السلاح للطوارئ، ومن الأدلاء لبيان الطرق، ثم ذهبنا بالسيارات.

وكان منظراً مألوفا أن نرى سربا من الفيلة وهى تقطع الغابات وتأكل الحشيش وتلهو وتلعب كما كان مألوفا أن نرى الأفاعى الكبرى وهى متكبكبة على شجرة أو زاحفة على الأرض.

وكانت فينا رغبة أن نرى الأسود وبعد يومين من رحلتنا قال لنا الأدلاء فى الليل أننا على مقربة من قطع من الأسود وفى الصباح تجهزنا وركبنا السيارات ومضينا فى الطريق.

ولما كان الصيد ممنوعًا، فى ذلك الوطن القومي، فلقد نصحنا

الأدلاء بعدم إظهار أطراف البنادق من نوافذ السيارات لأن شيئاً كهذا قد يثير الأسد ويغضبه، ونحن ممنوعون بأن نثير الحيوانات، وأن ننالها بأذي.

وكم كان جميلًا أن نرى أسداً واقفًا فى عرض الطريق فاضطررنا إلى أن نوقف السيارة على بعد عشرين ياردة منه فقط، وانتظرنا إلى أن تفضل الأسد وحاد عن الطريق إلى الغابة.

وبعد قليل شاهدنا لبوتان ومعهما أسد ففعلنا فعلنا الأول، وكان المنظر رائعاً حقاً.

وبعد مدة شاهدنا ثورًا عجوزًا لوحده فى حالة بؤس، وضنك، فلما سألنا عن سبب ذلك، قيل لنا إن مثل هذا الثور يكون زعيمًا لقطيع من الثيران فإذا كبر حل مكانه زعيم شاب، واعتزل الثور الكبير فى مكان منقطع إلى أن يأتى أسد فيفترسه. وما أشبه هذا القانون الطبيعى القاسى بقانون الحياة الإسبانية؟

ولما خرجت من الوطن القومي. للحيوانات قلت: ما أسعد الحيوانات بهذا الوطن لأنه وطن لا مشكلة عربية.. فيه.

عندما شرع هتلر فى حرب اليهود!

الوطن القومى فى فلسطين يقوم على فكرة الأرض واحيائها

كانت سنة ١٩٣٣م سنة تولى هتلر شئون الحكم فى ألمانيا، وهى كذلك بداية تاريخ أعظم مأساة عرفها اليهود فى تاريخهم الطويل.

وحين عرض عليَّ أن أتولى رئاسة المكتب المركزى لإيواء يهود ألمانيا، لم أكن احوز صفة واحدة من الصفات التى تؤهلنى لمثل هذا المنصب ولكن لم يكن بد من أن أقبله بحكم ما كان للعمل من الدلالة والخطورة. وقد كان عملى هذا موزعا بين واجباتى العامة وبين واجباتى الخاصة فى فلسطين، فلقد كانت فلسطين أهم مكان لإيواء اللاجئين.

وكانت تطورات الحالة فى ألمانيا قاسية، أودت بمستقبل الكثيرين من ألمع شبان اليهود العلماء، وحاولت أن أنقذ من هؤلاء من استطعت، لإيوائهم فى فلسطين، إلا أنى فشلت فى مسعاي، ذلك أن الأغنياء بالفكر من علماء اليهود كانوا كالأغنياء بالمال

من اليهود، كل الفريقين لم يؤمن بمستقبل الصهيونية حتى صارت فلسطين حقيقة ملموسة.

وفضل بعض علماء اليهود الذين طردهم هتلر من ألمانيا أن يذهبوا إلى تركيا للتدريس فى أنقرة، وفى إستانبول، مفضلين تركيا على فلسطين.

وقد زرت أولئك العلماء الأعلام بعد ذلك ببضع سنين فعلمت منهم ما يحزن. ذلك أن الأتراك كانوا يظنون أن الكفاية العلمية أن يتلقى التلميذ علومه على أساتذه العلم ثم.. ثم يحل التلامذة من بعد محل أساتذتهم.. وهذا خطأ كبير وقعت فيه تركيا، فالعلم شيء يحتاج إلى مران، وخلق طبيعة علمية، وليس هو مجرد تلقى علوم على أيدى الأساتذة.

وقد كان يهود ألمانيا، قبل قيام هتلر لا يعرفون الاضطهادات، ولم يعتادوا عليها، فلما شرع هتلر فى حرب اليهود كانت حيرتهم عظيمة لعدم اعتيادهم ذلك.

ولما تدفقت الهجرة على فلسطين من ألمانيا واجهتنا مشكلة جديدة هى أن يهود ألمانيا لم يكونوا من أبناء الزراعة، والوطن القومى فى فلسطين يقوم على فكرة الأرض، وإحيائها وزاد سكان المدن زيادة كبيرة إلا أننا عملنا على حل هذه المشكلة بما أعددنا

من قبل من فكرة تدريب الشبان على فنون الزراعة، والشباب أقدر على التكيف وألين للصياغة حسب الحاجة.

وفى عام ١٩٣٥م، وكنت حينذاك منقطعًا فى منزلى فى ديران، أعمل فى معمل الكيمياء هناك، تحولت أنظار الصهيونيين مرة أخرى نحوي، ورشحونى للرئاسة من جديد.

ولم يكن هناك جديد فى الحركة الصهيونية، فلقد كان سكولوف صديقا للإنجليز مثلي، ولكن سكولوف لم يحسن أن يسير مع الإنجليز مسيرى أنا، ومن هنا كانت الدعوة التى وجهت إليَّ لأعود إلى الرئاسة.

وقد عدت إلى الرئاسة مضطرًا غير مختار، وكنت أعلم أن الظروف غير مؤاتية فلقد كانت حرب إسبانيا من جهة، وحرب الحبشة من جهة أخرى ظاهرتين من مظاهر محور برلين- روما ضد الديمقراطيات، وكل خطأ ترتكبه بريطانيا ضد اليهود فى فلسطين ساسأل أنا عنه، ولكن.. برغم ذلك قبلت أن أعود.

رجال الحكم فى فرنسا يمقتون اليهود

اتصالات وايزمان ومساعيه فى أقطار أوروبا المختلفة

كان بين واجباتى الاولية، بعد أن عدت إلى رئاسة الجمعية الصهيونية أن أحافظ على الصلة برؤساء الدول المشتركة فى جامعة الأمم، وكانت أهم دولة تحتم عليَّ المصلحة أن اتصل بها هى فرنسا. ففرنسا هى أقرب دولة كبرى إلى بريطانيا، وكانت كذلك مجاورة لبريطانيا فى انتدابها على سوريا، وكان عليَّ أن أحافظ على اتصالاتى بإيطاليا، وقد كنت كثير التردد على باريس وروما.

وفى باريس قابلت كل رئيس وزارة تسلم الحكم فى الفترة التى مرت بين الحربين العالميتين، من بوانكاريه إلى رينو، أما ليون بلوم فكان له سجل عظيم من التعاون معنا.

ولما كان سكولوف يقوم بمفاوضات الصهيونيين فى أوروبا، كان بلوم يزوده دون صفة رسمية، بحقيقة موقف فرنسا من تلك المفاوضات.

وكان (بلوم) شديد العناية بالحركة الصهيونية، ويتعاون أصدق

يتعاون مع المسيو مرت جار بلوم، أحد كبار زعماء يهود الفرنسيين.

وكان ارستيد بريان عطوفا على الصهيونية وان كان يجهل ما يجرى فى ميادينها.

وكان بريان كثيرًا ما يقول: أحسب أن فلسطين ستكون بلداً عظيماً، وذا نفوذ عميق.

وكان بريان، كلما أرسل له، فى عيد الميلاد، هدية من برتقال فلسطين، يمتدح حمضيات ذلك البلد العجيب، وعلى أن بريان كان يرجو لنا كل خير، فهو كان يجهل حقيقة الحركة الصهيونية، ولم يعن قط بالسعى لتفهم ذلك.

وكان معظم رجال الحكم فى فرنسا اما خصوما لنا، أو ممن لا يبالوننا وكثيراً ما تصيبهم الغيرة من أعمالنا التقدمية فى فلسطين.

وقلت من قبل، وفى مقدمة كتابي، إن الفرنسيين كانوا يعتبرون فلسطين، كما يعتبرها العرب، جزءاً متمما لسوريا، وحين نال الإنجليز الانتداب عليها أسف لذلك الفرنسيون أسف العرب.

كذلك كان الفرنسيون يعتبرون أنفسهم ممثلى أوروبا فى شرق البحر الأبيض، وحماة المسيحيين.. هناك وكانت اللغة الإنجليزية، حتى دخول اللنبى القدس تكاد تكون مجهولة فى تلك البلدان

ويبدو أن الإنجليز ينسون، أو يتناسون، ولكن الفرنسيون ينظرون إلى سياسة الوطن القومى من وجهة نظر الكتلة الكاثوليكية، أو يعتبرونها افتئاتا على حقوقهم التقليدية فى الشرق.

وكان هناك رجل واحد بين رجال الحكم فى فرنسا يشذ عن زملائه، وهو المسيو دى سان كنتان، وكان يعمل فى خلال الحرب الأولي، ضابط ارتباط مع اللنبي، وهو أحد الذين مهدوا لى مقابلة الأمير فيصل ومفاوضته.

وفى رأيى أن أكثر الفرنسيين متعة فى ذلك الوقت كان المسيو دى جوفنيل، المندوب السامى فى سوريا ولبنان فى عهد بلومر فى فلسطين. وكان من قبل محرر جريدة (الماتان) وكان معروفاً بعدائه للصهيونيين، وعبثًا حاولنا اكتساب عطفه.

وحين قابلته فى بيروت لم يتورع عن إبداء رأيه فينا.. بصراحة.

وقد قلت له: إنك يا سيدى لا حق لك بالكلام عن الصهيونية، وعن فلسطين، إلا إذا جئت إلى فلسطين، وشاهدت بنفسك فقبل الدعوة.

ولما جاء إلى فلسطين كان صورة مناقضة تماماً للورد بلومر، فاللورد كان إنجليزيا متشدداً فى عقليته المحافظة، المتأثرة بالتقاليد الإنجليزية، وكان دى جوفنيل رجلًا فرنسيًا يمثل الحرية، والصراحة، والتجديد بين الفرنسيين.

ولما جاء دى جوفنيل فى فلسطين، وأعجب بأعمالنا العمرانية فيها.

إن سوريا هى الميدان الصحيح لكم، فلماذا لا تأتون العمران فيها.

ثم استدرك جوفنيل، فقال: وأنا لا أريدكم أن تأتوا للعمل فى حدود فلسطين لئلا تطالبون بالتوسع على حساب سوريا.. وإنما أنا أطلب منك أن تذهبوا للعمل فى أراضى الجزيرة.. فهناك أراضٍ ومياه.

فأجبته: إننا قانعون بأراضى فلسطين، ومياه الاردن...

وايزمان يحاضر مرتين فى قاعة السوربون

ولما عدت إلى باريس من بعد، تصادف أن قابلت هناك المسيو دى جوفنيل فأعاد فكرة ذهاب اليهود لتعمير أراضى الجزيرة فى سوريا، وبلغ من اهتمامه أنه حاول اقناع المسيو ليون بلوم بذلك، ولكن جهود دى جوفنيل ذهبت سدى عندنا.

وفى الحق أن موقف الفرنسيين منا، لاسيما رجال الحكم منهم، كان موقفًا شاذاً غريباً، وإنى أذكر الحادث التالى كمثل على صفة ما أقول:

فى عام ١٩٣٣، وحين شرع هتلر يضطهد اليهود، وبدأت الهجرة تتدفق من ألمانيا على فلسطين، تسلمت برقية من مدام لويز وايز، وهى صحفية مشهورة فى فرنسا، تطلب منى فيها أن ألقى خطابًا فى

قاعة السوربون عن الصهيونية وفلسطين. وأكدت لى أن الاجتماع سيكون عظيمًا، وسيترأسه شخصية كبري. وسيحضره كثيرون، وقد كان عسيراً عليَّ أن أهاجم ألمانيا فى خطابى خشية انتقام هتلر من ابرياء اليهود هناك، كما كان عسيراً عليَّ كذلك أن أرفض طلبًا كهذا يتيح لى فرصة شرح قضية اليهود، وعرضها على الرأى العام الفرنسي. وبعد البحث والتشاور مع أصدقائنا، قبلت الدعوة.

وقد كان الاجتماع عظيمًا حقًا، فلقد حضرته نخبة مختارة من الشعب، وترأسه المسيو مارتن وزير المالية السابق، واشترك فى الاجتماع رجال السفارة البريطانية.. وعدد من أصدقائنا فى الحكومة الفرنسية، وغير هؤلاء.

وكانت محاضرتى ناجحة كل النجاح، وقد دهشت حين سمعت المسيو مارتن يقول لى بعد نهاية حديثي: أرى أن تستأنف الكلام مرة أخرى فى اليوم التالي.

وأكد لى المسيو مارتن أنه يوجد الكثيرون ممن يحبون سماع ما قلت، وأنه ليس من الحق أن تحرمهم من ذلك، كما أكد لى أن المسيو هربو.. يسعده أن يترأس الاجتماع المقبل.

وفى اليوم التالى عقد الاجتماع، وكثر الحاضرون. ولكن الرئيس لم يحضر وكان مفروضًا أن يكون المسيو هربو، رئيس الوزراء، وقد

مضينا فى الاجتماع بدون رئيس.. وافتتحت مدام وابز الاجتماع.

وفى منتصف خطابى دخل المسيو هربو فجأة.. وقطع عليَّ الكلام- ودون أن يعيرنى أى التفات، أو أن ينظر إلي- تقدم على وإلى المسرح ووقف حيث كنت أقف، ثم شرع يخطب فى صوت أجش، غاضب مدة عشرين دقيقة وتحدث فى كلامه عن مدينة فرنسا، وتاريخ فرنسا، وتسامح فرنسا. وكان كلامه شائقاً حقًا. ولكن.. ما المناسبة؟ ولأى شيء يذكر هذا ونحن فى سبيل الحديث عن الصهيونية؟

ولما اتم حديثه خرج كما دخل، دون أن يلتفت إلى أحد، وهنا عادت مدام وابز وطلبت منى فى هدوء ورصانة أن استأنف الحديث.

لم أقابل هربو من بعد، ولكنى على ثقة من أن الرجل لم يكن يعلم شيئاً عن غاياتنا.

بريطانيا الدولة الوحيدة التى ساعدت اليهود

موسولينى يخشى أن يثبت الإنجليز أقدامهم شرقى البحر الأبيض

أما موقف إيطاليا منا فلقد تحدثت عنه فى الفصل الذى عقدته لبحث شئون الانتداب فى جامعة الأمم، وقد كانت إيطاليا قبل قيام الفاشستية، خالية من اللاسامية، ولكن بدأت بوادر كره اليهود بعد ظهور موسوليني.

وقد كان موسولينى نفسه ينكر اللاسامية، ولكنها كانت تتغذى فى إيطاليا برجال ذوى نفوذ من الفاشيست امثال ساتراتشى وفيدروزيني. وكانت تنشر مقالات بين الحين والحين فى صحف إيطاليا تهاجم الصهيونية والصهيونيين، وتنكر على يهود إيطاليا حق الاشتراك فى الحركة الصهيونية، وكان يهود ايطاليا، على صمتهم، اعداء للفاشيست، لا يستثنى منهم أحداً.

وكان انزو سيربنى أحد أفراد عائلة يهودية إيطالية من علية القوم، وهى ممن اشتركوا فى تأسيس مستعمرة حبات بونر، مراقبًا

من البوليس الإيطالي، وكان شقيق (انزو) معروفاً بأنه شيوعي، فاعتقل ونفى إلى جزيرة ليباري، وكان أبوه طبيب الملك الخاص، فاستحصل على أمر بالإفراج عنه إن هو طلب العفو، وارتد عن مبادئه، إلا أن الابن رفض ذلك، وظل فى المعتقل إلى أن تسنى له الهروب منه، وذهب إلى موسكو، واعتقل عدد من اليهود فى إيطاليا وهم يهربون نشرات شيوعية، فتحرج بذلك مركز الشيوعيين هناك.

أما أنا فقد قابلت موسولينى ثلاث مرات، أولاها عقب الحرب العالمية الأولي، وكان يجلس فى غرفة مظلمة مضاءة بنور ضعيف، وكان على الداخل إليه أن يسير مسافة طويلة فى الغرفة قبل أن يقترب منه ويجلس على الكرسى الذى أمامه وكان كل ما فى الغرفة، حتى حركات موسولينى نفسه، تدل على مسرحية متعمدة.

وبعد أن صافحني، هز يدي، قال لى باللغة الفرنسية: أنت تعلم يا دكتور وايزمن أن ليس كل اليهود صهيونيين. فأجبته فى الحال: ولعلكم تعلمون كذلك انه ليس كل الطليان فاشيست.

وقد عدل موسولينى بعد هذا الرد عن محاولة تخويفي.

وشرعت أتحدث إليه عن مشاريعنا، وقلت له إن ميناء تريستا مهم لنا لأنه مركز لشحن المهاجرين، وبينت له شدة صلتنا بشركة (لويد تربستينو) البحرية، وقلت له: اننا نستخدم كذلك ميناء جنوي، وفنيس، ونابلي.

ثم تكلم موسولينى عن بريطانيا، وتطرق إلى القول بأن الصهيونية أداة من أدوات الاستعمار البريطاني.

وقد قلت له: إن بريطانيا كانت، حتى ذلك الوقت، الدولة الكبرى الوحيدة التى أظهرت إستعدادها العملى لمساعدتنا فى مشاريعنا فى فلسطين، ولست أعلم ماذا يجرى فى رؤوس بعض الساسة الإنجليز، ولكن ما أعلمه هو هذا:

ما دام الإنجليز سائرين معنا فليس هناك ما يمنع أن نسير معهم.

وهنا قال لى موسوليني: إن روما تستطيع أن تبنى لكم مملكة دفعة واحدة...

وقد أجبته فى الحال، وبدون تردد: نعم، ولكن التاريخ تقول لنا إن روما خربت مملكتنا دفعة واحدة...

ولم يعجبه جوابي، فلقد كان يريدنى أن اقع فى الفخ.. وإن أوافق معه على أن إيطاليا تستطيع أن تفعل لنا ما لا يستطيعه الإنجليز.

وقد فهمت من جماع حديثى مع موسولينى أن الرجل لم يكن عدواً لليهود، وإنما كان متخوفاً من الإنجليز وسياستهم وأغراضهم الخفية، وكان ما يخشاه أن يكون الإنجليز سخروا اليهود فى فلسطين لتثبيت موطئ قدم لهم فى شرق البحر الأبيض لضرب سياسة إيطاليا التى تتلخص فى أن البحر الأبيض هو بحر إيطالي.

وايزمان يستعين بالأتراك على تهدئة العرب

المسائل التى بحثها زعيم الصهيونية فى مقابلتين له مع موسوليني

كانت الفاشيستية فى إيطاليا تتعمق فى تأثرها باللاسامية فى ألمانيا كلما قويت شوكتها بين الإيطاليين، وكانت لهجة الصحف الإيطالية ضد اليهود تزداد عنفًا بازدياد انتشار تلك الروح.

وكان موسولينى لا يزال يتذبذب بين الانحياز إلى دول الغرب أو إلى ألمانيا، وكانت الفكرة التى تشغله فى هذا التذبذب هى أيهما أقدر على تحقيق أطماعه فى إفريقيا، وفى نيس، وفى كورسيكا.. كتلة الديمقراطية أو ألمانيا؟

وكان الألمان كعادتهم، نشيطين أكبر النشاط فى إيطاليا، ولم يكن هذا منهم اعتقاداً بأهمية إيطاليا الحربية، وإنما كان هذا لمجرد الدعاية، ويلف العالم بالأنصار.. والحلفاء الذين ينضمون إلى فلك برلين.

وكان اليهود فى فلسطين لا يزالون كتلة مهملة. ولكن على الرغم من ذلك.

كان الطليان يكرهون فكرة وجود اليهود فى فلسطين، وكانت هذه الفكرة تلقى صداها فى الصحف الإيطالية وعلى لسان الكونت ثيودولي، مندوب إيطاليا فى جامعة الأمم.

ولست أعلم ما كانت حقيقة مشاعر ثيودولى الشخصية نحونا، ولكن اليذ اعلمه ان الكونت كان متزوجًا من عائلة سرسق فى بيروت، وكان فكتور سرسق- وهو من تجار الإسكندرية- يسعى لبيع مرج بن عامر لليهود، فباعه السرسقيون لنا، فلما أنفق على المرج مئات الألوف وأصبح جنة تجرى من تحتها الأنهار (توهم جماعة سرسق أنهم باعوا المرج بثمن بخس.. ولاموا فكتور على ذلك، ولكن الحقيقة أن المال الذى دفعه اليهود لعائلة سوسق كان ثمنًا طيبًا أما أن الأرض صارت تساوى أضعاف ثمنها فى الماضي، فبفضل أموال اليهود وجهودهم.

وكان الكونت ثيودولى لا يفتأ يدعى علينا بدعاوى فى لجنة الانتداب، ويتهمنا بالإلحاد ونشره فى فلسطين، ويفعل هذا فى الوقت الذى شرع موسولينى بوطد صلاته بالفاتيكان.

ثم قابلت موسولينى مرة ثانية، فأعرب لى عن سروره لحسن صلات اليهود بالجالية الإيطالية فى فلسطين وقد تحسنت لهجة

صحف إيطاليا بعد تلك المقابلة.

وقابلت موسولينى للمرة الثالثة عام ١٩٣٨م وكان الكونت نشيودولى هو الذى عين لى تلك المقابلة بعد أن تحول الكونت من عدو لليهود إلى صديق لهم.

وقد تحدث موسولينى إليَّ عن تطلعه إلى إنشاء محور روما- باريس- لندن وقال إن محوراً كهذا يكون هو الشيء المعقول.

وتحدثت إلى أصدقائى الإنجليز عن ذلك حين عدت إلى لندن ولكنهم لم يعيروا حديثى أهمية. وبعد ذلك بقليل ذهب تشمبرلين وهاليفاكس يخطبان ود موسولينى ففشلا، لأن الوقت كان قد فات.

ولست ازعم أن انضمام إيطاليا إلى بريطانيا كان يمنع نشوب الحرب، فعلم ذلك عند الله، ولكن الذى أعلمه أن انضمام إيطاليا لو تم لوفر دماء كثيرة ومتاعب جمة فى حوض البحر الأبيض.

وقريب من هذا هو ما حدث فى تركيا فلقد ذهبت عام ١٩٣٨ م لاستعين بالاتراك على تهدئة العرب. فقابلت عصمت اينونو، وزير المالية، وجلال بايار، رئيس الوزراء، وقد طلبوا مني قرضًا ماليًا على أن يدفع ذهبا.

وقال لى السر بوسى لورين السفير البريطانى أن الأتراك فى حاجة إلى نصف مليون جنيه فقط.

وقد عدت وتحدثت إلى لندن فى ذلك فلم تهتم لكلامي. ترى كم من الملايين دفعت بريطانيا وأمريكا، بعد ذلك بعام واحد لشراء ود الأتراك؟

المجلس التشريعى يقع على اليهود كالصاعقة!

اضطرابات عام ١٩٣٦م- لجنة بيل وفكرة التقسيم- خدمات واكهوب لليهود

كانت بداية الخلاف بيننا وبين ارثر واكهوب، حين اقترحت وزارة المستعمرات تأليف مجلس تشريعى لفلسطين وأظهر واكهوب عطفًا فى الفكرة، إلا أن هذا الخلاف كان من الممكن التغلب عليه بحكم ما كان ينطوى عليه واكهوب من عطف على الوطن القومي، وخيرة به.

ومنذ مجيء واكهوب إلى فلسطين كان شعوره نحو مشكلاتها شعور عناية واهتمام، إن كان يشعر دائماً بأن نجاح الصهيونية فى فلسطين متوقف على الهجرة ولهذا، وفى عهده، بلغت الهجرة المشروعة فى عام ١٩٣٥م ستين ألفاً.

ولو استمرت الهجرة على مثل هذا المعدل بضع سنوات فقط، لاجتزنا أزمة الأقلية والاكثرية، ولكن القضاء والقدر أرادا شيئاً آخر غير ما كنا نرغب فيه وفى عام ١٩٣٥ جاءت حرب إيطاليا والحبشة، وجاءت معها سياسة ترضية العرب. ولم تأت تلك

الترضية فى عامى ١٩٣٤م و١٩٣٥م ، واوئل عام ١٩٣٦م، بصورة تمس الهجرة وتدفقها، وإنما جاءت فى ورة فكرة تأليف مجلس تشريعى فى فلسطين.

وتأليف مثل هذا المجلس فى فلسطين عمل غير ديمقراطي، فلقد كان معروفًا أن الحاج أمين الحسينى وجماعته سيربحون المعركة بالإرهاب، وبالتالى سيكون المجلس وسيلة لتمكين حكم الإقطاع، لا القضاء عليه.

وبينما كان الجدل محتدمًا حول المجلس التشريعى ساءت الحالة الدولية بسبب حرب الحبشة، وظهور ألمانيا الهتلرية بمظهرها الحقيقي، وحرب إسبانيا.

وكان موقف بريطانيا من هذا كله موقفًا ضعيفاً، حسبك منه سكوتها على مرور سفن إيطاليا عبر قنال السويس إلى الحبشة، وهذا أعطى زعماء فلسطين فكرة أن اتلقوة، والقوة وحدها، هى الوسيلة لنيل الغايات.

وفى نيسان عام ١٩٣٦م شبت ثورة فلسطين بتشجيع من الخارج. وظلت الحركة العربية نحو شهر دون أن تتخذ الحكومة موقفاً حازماً منها، وهذا شجع زعماء العرب على التوهم بان ذلك الوقت كان وقتاً للعمل، وبعد مرور ذلك الشهر تألفت الهيئة العربية

العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني.

وكانت صلة تلك الهيئة بالاضطرابات صلة علانية، وكانت الهيئة هى التى أحضرت فوزى القاوقجى وثواره إلى فلسطين.

وزاد فى الطين بلة أن لندن شجعت هذا التدخل العربى من الخارج، وأضافت إلى تدخل فوزى وثواره، تدخل الدول العربية لحل الإضراب.

وعبثاً حاولنا إفهام لندن أن الحركة فى فلسطين كانت الحركة فى إسبانيا، كلتاهما تتغذى من الخارج، ومن دول المحور بالذات.

وفى أيار عام ١٩٣٦م، تعينت لجنة (بيل)، إلا أنها لم تأت إلى فلسطين إلا فى تشرين الثانى عام ١٩٣٦م، وقد دعيت أنا لإعطاء شهادتى أمامها.

ولم يكن من المصلحة أن أعد شهادتى كتابياً، ولهذا فإنى أعددت مطالعات فقط ثم ذهبت إلى مقر اللجنة، وبينما كنت اسير إلى مكانى سمعت اليهود من الحضور يرددون عبارة. كان الله معك، وكلل جهودك بالنجاح.

وقد شعرت أنا أن هؤلاء القليلين الذى دعوا الله لمعونتى كانوا يتكلمون باسم اليهود، الأحياء منهم والأموات.

وقد استقبلتنى اللجنة أجمل استقبال، وطلب منى الرئيس أن استريح، وأن ألقى بيانى وأنا جالس. وقد تكلمت نحو نصف ساعة ثم رفعت نظرى لألاحظ تأثير كلامي، وقد دهشت حين شاهدت أعضاء اللجنة ينصتون إليَّ بالعناية التامة والعطف، فاندفعت ساعة ونصف الساعة ثم شربت كوب ماء واستأنفت الكلام، وظللت على هذا المنوال طيلة الأيام التى استغرقها بياني.

وكانت أول مرة سمعت فيها شيئاً عن التقسيم.. حين استدعتنى اللجنة إلى اجتماع سري.. خاص.. وذكرت لى التقسيم.. وقد كانت هى المرة الأولى التى عرض علينا فيها مملكة.. فى فلسطين.

وكان إعجابى بتحقيق فكرة المملكة، ولو فى بعض أراضى فلسطين، فلقد قلت للجنة، أيها السادة: إنى رئيس هيئة ديمقراطية، وليس من حقى أن أجيب على طلبكم قبل أن استشير زملائي.

ثم جاء الخلاف بين اليهود على حدود المملكة، وطال الأمر والجدل إلى أن ساء الموقف الدولي، وشرعت بريطانيا فى التقهقر.

بريطانيا تعرض التقسيم ثم ترفضه

الاضطرابات التي سادت البلاد منذ عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩م وعدد الضحايا

نشرت الحكومة البريطانية عرضها مشروع التقسيم فى كتاب ابيض صدر فى تموز عام ١٩٣٧م، وصحب هذا العرض إجراءات فى فلسطين كانت تتفق وفكرة المشروع، وكانت تتحيف الكثير من حقوق اليهود وتعمل على هدم آمالهم. وكان هذا الكتاب الأبيض أول بادرة فى سبيل الغاء وعد بلفور الذى ألغى بالفعل فى الكتاب الأبيض الأخير الذى صدر فى عام ١٩٣٩م.

وبعد مضى ستة شهور على نشر تقرير اللجنة الملكية، والكتاب الأبيض، كانت الحالة فى فلسطين لا تزال تسوء، وتتدرج من سيئ إلى أسوأ، ذلك أن بريطانيا كانت تنشر التقارير والمشاريع والكتب البيض ثم نقف عند هذا، فلا تنفذ شيئاً، ولا تحقق شيئاً.

والحق أن سياسة بريطانيا نحو الوطن القومى فى فلسطين كانت تتأثر بفريق من رجال الإنجليز المسئولين عن الشرق الأوسط،

وهؤلاء كانوا يهدفون إلى إبقاء اليهود أقلية بين العرب، ولكن فات هؤلاء السادة أن اليهود خبروا حالة الأقلية، وصاروا يهدفون إلى شيء واحد هو بناء وطن لهم، يعيشون فيه احراراً. واليهود أتوا فلسطين ليحققوا هذه الغاية، لا ليعيشوا عربا مع العرب.

ومضى شهر بعد شهر دون أن تعمل الحكومة شيئاً، وساءت حالة الأمن لجمود السلطات عن ضرب الفوضى، وأخيرا عينت لجنة (وودهيد) وكانت الحالة الدولية تزداد سوءاً كذلك، وتنذر بالحرب العالمية الثانية.

أما حالة الأمن في فلسطين فلقد كانت سيئة، فالإرهاب العربي استمر، وكانت السلطات في خريف عام ١٩٣٦م قد اتخذت إجراءات شديدة ضد الإرهابيين عادت بفوائد طيبة. وظلت البلاد في حالة لا بأس بها طيلة الزمن الذي قضته اللجنة الملكية في فلسطين. ولكن في صيف عام ١٩٣٧ نشطت الاضطرابات من جديد، وقتل في الفترة بين نيسان ١٩٣٦ واذار ١٩٣٧، ٩٣ يهوديًا وأصيب بجراح نحو ٤٠٠، ودمرت املاك لليهود بنحو نصف مليون جنيه.

وفي أيلول عام ١٩٣٧م اتخذت السلطات العسكرية إجراءات شديدة فتحسنت الحالة، ولكن عاد الإرهاب إلى الشدة في تشرين الأول. وفي عام ١٩٣٨م قتل ٦٩ بريطانيًا و٩٢ يهوديًا و٤٨٦ عربياً،

وكان كل هؤلاء من المدنيين. وقتل من العرب المسلحين أكثر من ١٠٠٠ شخص.

أما لجنة (ودهيد) فقد عينت في عام ١٩٣٧م، ولكنها جاءت إلى فلسطين في نيسان عام ١٩٣٨م، ونشرت تقريرها في تشرين الأول من تلك السنة لتقول فيه إنها عجزت عن وضع مشروع للتقسيم.. وفي الشهر الثاني رفضت الحكومة البريطانية فكرة التقسيم.

وبديهي أن لجنة (ودهيد) عينت لغاية واحدة هي التمهيد لرفض التقسيم.

ولما دعت بريطانيا إلى مؤتمر لندن للبحث مع العرب، واليهود، والإنجليز في صدد حل لقضية فلسطين، كانت تهزل، ولا تجد، لأنها اعتادت أن تحقق.. وأن تضع مشاريع وتقارير ثم لا تفعل شيئاً.

ترى أن أي أمل كان لليهود في حكومة تشمبرلن بطله مهزلة ميونيخ؟

المؤتمر الصهيوني يرفض الكتاب الأبيض

ساسة الإنجليز ورؤساء أحزابهم يعتبرون الكتاب خيانة لليهود

لما اجتمع المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرون في ١٦ آب عام ١٩٣٩م، كانت نذر الحرب تظلل الاجتماع، وتلقي عليه سحبًا من القلق، والتوجس، والفزع.

وقد اجتمعنا ونحن بين مخاوف الحرب، ومخاوف الكتاب الأبيض. أما الكتاب الأبيض فكان ينذر بهدم الوطن القومي، وأما الحرب فكانت تنذر بتدمير حريات العالم، والقضاء على الحضارة الإنسانية، ولكن الحرب كانت لم تعلن بعد، أما الكتاب الأبيض فكان نشر بالفعل، ولهذا انصرف جهود اليهود فى مؤتمرهم، إلى الكتاب الأبيض دون الحرب.

ولكن اتفاق هتلر مع روسيا فى ٢٢ آب كان نذيراً محققاً بوقوع الحرب، فهل كنا نتعلل بأمل فى أن ينجو العالم من الحرب، فلا تعلن؟ لا. واليهود كانوا على ثقة بأن الحرب واقعة لا محالة، وأن قضيتهم قد امتزجت بقضية العالم المتحضر، وأن الحرب جعلت من القضيتين قضية واحدة، الغاية منها تحطيم العدو المشترك.

ولما كانت النذر تزداد اليوم بعد اليوم، فلقد أسرعنا فى العمل، وأنهينا المؤتمر فى ٢٥ آب، ورفضنا الكتاب الأبيض بالإجماع، بل قد فعلنا ما فعلته لجنة الانتدابات الدائمة التى رفضت ذلك الكتاب رفضًا باتًا برغم ما سمعته من مالكولم مكدونالد، وزير المستعمرات، وأعلنت بنقض نص صك الانتداب.

وقيدنا فى مطالعتنا كذلك أن جميع ساسة الإنجليز.. ورؤساء أحزابهم، هاجموا الكتاب الأبيض فى البرلمان، واعتبروه خيانة

لليهود.. والوعود.

وكان على الجمعية العامة لجامعة الأمم أن تنظر فى قضية الكتاب الأبيض، وحكم لجنة الانتدابات عليه، ولكن.. من أين للجمعية ان تفعل هذا ونحن كنا على مسافة.. أيام قليلة من الحرب؟

وبرغم شعورنا ضد الكتاب الأبيض فلقد كان قرارنا إجماعياً فى وجوب الوقوف جنبا إلى جنب مع الديمقراطية فى كفاحى المقبل.

ولما ودعت وفود يهود أوروبا الشرقية لاسيما وفد بولندا: قلقت لهم: ارجو الله أن ينجيك من النهاية المحتومة.

ثم ذهبوا ولم يعودوا، فلقد هلك من يهود بولندا وحدها نحو ٣ ملايين.

وفى طريق عودتى إلى لندن صادفنا الصعوبات المعروفة التى يصادفها كل امرئ يسافر فى أيام الحروب، ولما دخلت باريس تذكرت أيامى فيها فى بداية الحرب العالمية الأولي، فلقد قلت: ما أبعد الفرق بين الحالتين؟

وعند وصولى إلى باريس قابلت السيو بول رينو، ورئيس ديوانه المسيو باليفسكي، وكان كلاهما يعتقد بإمكان تجنب الحرب، ولكن كيف؟

وأمضيت فى باريس يومين، وتذكرت كيف احتل الألمان فى الأيام الأولى من حرب عام ١٩١٤م- ١٩١٨م الكثير من مدن، وأراضى فرنسا، ومع ذلك فلقد ظلت باريس، وظل الشعب الفرنسى محافظًا على معنوياته، وثقته بالنصر، أما فى أواخر عام ١٩٣٩م فكان الشعب ضعيف المعنويات، مفكك الأوصال، وكان كل فرنسى يردد: إن حربين عالميتين فى ٢٥ سنة شيء كثير، ويجب أن نتجنب هذه الحرب، وأن نتفق مع ألمانيا.

ولكن الحرب وقعت.

فيلبى يقترح حلين لحسم قضية اليهود

تقدم روميل فى الصحراء الغربية يحطم أعصاب اليهود وأسيادهم الإنجليز.

وما كنت اعير كلام تشرشل أهمية لولا أن الرجل حدثنى بذلك الحديث دون أن أطلب منه ذلك. ثم كنت قد قابلت السر جون فيلبى قبل ذلك ببضعة شهور، وتحدثنا عن العرب واليهود، فكان بين ما قاله لي:

(احسب أن هناك سبيلين فقط لحل قضيتكم، الأول: أن يقول تشرشل وروزفلت لابن السعود إننا نريد منك تحقيق برنامج اليهود فى فلسطين، والسبيل الثانى أن يعمل تشرشل وروزفلت على تمهيد السبيل لجعل ابن

العود سيد الاقطار العربية، ثم تقديم قرض كبير له.

ومع أنى قابلت روزفلت عند وصولي، فلقد أمسكت عن الحديث معه عن فلسطين، وعن حديث تشرشل إذ كنت ذاهبًا إلى أمريكا لأعمال كيماوية، لا سياسية.

وأريد أن اقيد هنا أن المزاحمات، والمنافسات وقفت حائلاً دون نجاح مشاريعى الكيماوية، وفشلت مرة أخرى فى أمريكا.

وفى حيفا عام ١٩٤٢م جاءت اخبار تقدم روميل فى الصحراء الغربية، وجاءنى مراسل حربى عاد من مصر وفلسطين خصيصًا.. ليراني، وليقول لى: إن العرب يستعدون لاستقبال.. روميل، وتوزيع الأسلاب بينهم، وقال لي:

إن عرب فلسطين يذهبون إلى تل أبيب ويشيرون إلى الاسلاب.. التى سيتقاسمونها وذكر لى المراسل أن عربيا قتل فى جدل بينه وبين زملائه على تحديد تلك الأسلاب.. وقال لى المراسل كذلك: إن الجنرال ويفل دعا زعماء اليهود إليه، وقال لهم: آسف ان بريطانيا لا تستطيع عمل شيء آخر لليهود. وأن جيوشها ستنسحب إلى الهند.. وأنه على اليهود أن يدافعوا عن أنفسهم بأنفسهم.. ضد الألمان، والطليان، والعرب.. ومضى المراسل (الهمام، والبطل الضرعام) فقال:

وقد قرر اليهود أن يقسموا أنفسهم إلى قسمين، القسم الأول

يضم المتقدمين فى السن، وهؤلاء يتحرون.. عند وصول الاعداء.. والقسم الثانى يضم الشباب، وهؤلاء يتفرقون فى الجبال لمقابلة الاعداء.. الألمان، والطليان، والعرب.

تشرتشل يضع مشروعا لمصلحة الصهيونية!

...ويريد أن يرى ابن سعود سيداً على الشرق وكبير كبرائه

وعلى أن الحرب وقعت بالفعل، واشتبك معسكر الديمقراطيات بمعسكر النازي، فلقد استمر الإنجليز فى سياسة الترضية، ترضية العرب، تماماً كما كانت سياسة تشمبرلن فى زمن التخوف من معسكر النازي، ودعوى ترضيته، وترضية غيره حتى لا يقع هذا الغير تحت نفوذهم وسلطانهم.

وفى السنتين الأوليين من الحرب سافرت إلى أمريكا، وإلى غيرها فى سبيل العمل للصهيونية. وكنا، على استنكارنا لسياسة بريطانيا نحونا، منصرفين بكلنا إلى وضع كل ممتلكاتنا تحت تصرف بريطانيا. فلقد كنا على ثقة بأن هزيمة النازى حياة لنا، وانتصارهم موت محقق لليهود.

وفى أوائل عام ١٩٤٢م دعانى المستر وينانت، السفير الأمريكى فى لندن، وذكر لى أن الرئيس روزفلت يريد منى أن أذهب إلى أمريكا، وأشرف هناك على معامل الكيمياء التى تحاول

استخراج المطاط الصناعي، ونصحنى وينانت بوجوب قبول الدعوة، ووقف جميع جهودى على تحقيق الفكرة، وقال لي: إن ذلك فى خدمة الحلفاء، ولقضية اليهود.

وقد اتخذت الإجراءات اللازمة للطيران من بريستول إلى نيوبورك فى ١٢-٢-٤٢، وفى صباح ذلك اليوم ركبنا السيارة فى طريقنا إلى المطار، ولما وصلت إلى هناك قيل لى إن المستر سيمون مارك يطلبنى على التليفون، وكانت رسالته إليَّ أن ابنى مايكل، وكان طياراً فى السلاح الجوى البريطاني، مفقود.

وكان مستحيلاً علينا أن نسافر، فعدنا للسؤال والتحرك فعلمنا أن ابنى قد فقد فى المعركة، وتأخرنا إلى ١١ آذار.

وفى صباح ١١-٣-٤٢ ذهبت لأودع جون مارتن، سكرتير تشرتشل، الذى كان السكرتير العام للجنة (بيل) وهو من أخلص الأصدقاء.

وفجأة قال لي: ان تشرتشل عنده بضع دقائق من الفراغ وسأدخلك عليه.

وقد تمنى تشرتشل النجاح لى فى مهمتي، ثم قال لى فجأة، ودون مناسبة:

(أريدك أن تعلم أنى وضعت مشروعاً لكم وهو لا ينفذ إلا

بعد نهاية الحرب، إني أريد أن ارى ابن السعود سيداً على الشرق الأوسط، وكبير كبراء هذا الشرق، على شرط أن يتفق هو معكم أولاً، متى تم هذا فعليكم أن تأخذوا منه ما أمكن أخذه. وليس من شك فى اننا سنساعدكم فى هذا، وعليك أن تحتفظ بكتمان هذا الحديث، ولكن أنقله إلى روزفلت، وليس هناك شيء يستحيل تحقيقه حين أعمل لتحقيقه أنا وروزفلت).

تبادل المساعدات بين بريطانيا واليهود

اتصالات وايزمان فى أمريكا لوقف تقدم روميل- حكاية ابن السعود

ترى ماذا كان يكون مصير اليهود فى فلسطين لو أن روميل استطاع أن يغزو مصر؟ وترى أما كانت مصائب اليهود فى أوروبا التى غزاها النازى بكافية؟

وفى ذلك الوقت العصيب كانت الجهود تبذل من كل ناحية لإثارة أمريكا لإرسال كل ما يمكن ارساله من أسلحة وطيارات إلى البريطان فى الصحراء الغربية حتى يتمكنوا من اجتياز الأزمة، وقد بذلت أنا نفسى كل جهد فى هذا الباب، فقابلت الجنرال مارشال، وكان ذلك بتدخل هنرى مورجانتو، كما قابلت رئيس أركان حرب الجيش الأمريكي، وقد بينت لهما المصير الذى ينتظر اليهود فى فلسطين إذا نجح روميل، وكان مارشال يقيد مطالعات مما أقول،

ثم شكرنى على المعلومات التى أدليت بها.

ولست فى حاجة إلى إعادة الحديث عن كيف تدفقت الأسلحة عبر الأطلنطي إلى إفريقيا، وكيف وصلت إلى هناك فى احرج الاوقات، وكيف قلبت الحال غير الحال، وأنقذت الموقف.

ومهما يكن من أمر تلك الذكريات فليس هناك من يذكرها ذكر اليهود لها، فهى كانت شبيهة بذكريات اسلاف اليهود حين قهر سنحارب وهو على أبواب القدس.

وقد قضيت الشهور الأولى من إقامتى فى أمريكا مستغرقاً فى الأعمال الكيماوية بعيداً عن النشاط السياسي، ولكن بعد زوال الخطر عن فلسطين أخذت اتحرى من مبلغ ما عسى أن تقدمه لنا أمريكا من مساعدات لتحقيق آمالنا فى فلسطين.

وقد كان جميع البارزين من رجال السياسة، والحكم فى أمريكا من أنصارنا ومن أشد المتحمسين لنا، ولم نكن نلقى صعوبات بين هذه الطبقة من الحكام، والسياسيين، أما الصعوبات والدس، فكانت توجد بين طبقة الدرجة الثانية من رجال السياسة، والحكم هناك.

أما الأمريكان فى الشرق الأوسط فكانوا إما من أنصار شركات البترول، أو من أتباع البعثات فى القاهرة وبيروت ولهذا كانوا جميعهم متحزبين ضدنا.

وإنى لأذكر مثلاً واحدًا فقط للتدليل على مبلغ ما كان يحاك ضدنا من مؤامرات بفضل أولئك الذين كانوا يعملون بين الطبقة الثانية من رجال الحكم والسياسة.

فالقارئ يذكر ما قاله لى السيرجون فلبى عن ابن السعود، وهو يتفق تماماً مع ما قاله لى تشرتشل قبل سفرى إلى أمريكا بساعات قليلة. وفى أمريكا قابلت الكولونيل هوسكين أحد رجال القسم الشرقى فى وزارة أمريكا الخارجية، وهو كان كذلك مندوب روزفلت الخاص فى الشرق الأوسط. ولم يكن هوسكين من أنصار اليهود، إلا أنه لم يكن بالعدو اللدود مثل إخوانه من بقية تلك الطبقة.

هوسكين هذا كان له رأى فى قضية فلسطين خلاصته أن اليهود يجب ان يخففوا من مطالبهم، وأن يقنعوا بإدخال مليون يهودى إلى فلسطين فى ٢٠ سنة.

وقد ذهب هوسكين إلى الشرق فلما عاد، وقابلته فى أمريكا وكان قد تغير..

فقال لي: (لقد زرت ابن السعود وتحدث جلالته عنك فى غضب، وسخط وقال إن وايزمان يحاول رشوتى بعشرين مليون جنيه لأبيع فلسطين العربية لليهود).

ثم قال: (ان ابن السعود لن يسمح لجون فلبى بدخول الحجاز مرة أخري).

ترى لماذا غضب على ابن السعود وهل كنت أنا صاحب الفكرة التى غضب لها ابن السعود، أو تشرتشل.

ترى من الذى يستطيع أن يقع على حقيقة هذه المؤامرات، فيبين لنا هل اخترع ابن السعود ما قال، أم أن غيره هو الذى اخترع كل تلك الشائعات تحتى إذا وصلت إلى ابن السعود قام وقعد لها؟

وترى لم كان لهذه القصص من أثر على وزارة الخارجية فى أمريكا؟

تشرتشل يعد مشروعًا لإلغاء الكتاب الأبيض

برنامج حزب العمال يتضمن إغراق فلسطين بالمهاجرين وطرد اصحابها العرب

لما ذهبت إلى أمريكا كنت أحمل معى الوعد الذى أعطانيه تشرتشل والذى يتلخص فى أنه قد وضع لنا مشروعًا لتنفيذه بعد الحرب، وهو مشروع سيتناول، أول ما يتناوله، إلغاء الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩.

وقد قال لى تشرتشل: إنه هو وروزفلت يستطيعان فعل أى شيء لنا حين يشتركان فى العمل، وطلب منى مفاتحة روزفلت

بذلك. أما أنا فقد قضيت معظم المدة التى قضيتها فى أمريكا، مشغولا بالكيمياء وأخيراً جداً تحدثت إلى روزفلت عما قاله لى تشرتشل فأبدى لى كل ما من شأنه ان يعزز فكرة عطفه على سياسة الوطن القومي، والوقوف منها موقفًا ايجابيًا، ولو أنه بيّن لى تقديره لمشكلة العرب كما أنه ذكر لى بصفة خاصة الملك ابن السعود، وتشدده فى قضية فلسطين.

وكان يصحبنى فى زيارتى تلك للرئيس روزفلت، المستر سمنر ويلز، وكان خير نصير لي، وقد اتفقت آراؤنا فى تلك المقابلة على أن زعماء العرب، مهما بلغت شدتهم، وحماستهم، ومعارضتهم فهم لا شك خاضعون، راضـون، مستسلمون حين يقول لهم روزفلت وتشرتشل: إن هذه هى إرادتنا.

ـه وفى المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى عام ١٩٤٣ ارسل حزب العمال البريطانى برقية تهنئة، وتعضيد.. يؤيد فيها سياسة العمال نحو الوطن القومي.. وفى نيسان عام ١٩٤٤ عاد حزب العمال البريطانى فأصدر برنامجاً.. لسياسته فى الانتخابات المقبلة تضمن ما يلي:

(ليس شك فى أن الوطن القومى اليهودى فى فلسطين لا يعنى شيئاً، ولا يحمل أملا لليهود، إلا إذا أبحنا لهم أن يفتحوا أبواب فلسطين للهجرة حتى يصبحوا أكثرية فيها.. وقد كان هذا حقا قبل

الحرب، وقبل كارثة يهود أوروبا، أما اليوم فقد زاد هذا الحق قوة. أما عرب فلسطين فيجب أن يتركوا فلسطين كلما دخلها يهود.. ولا بأس من ان يعوض على العرب كلما زادت هجرتهم من فلسطين).

أما زعماء اليهود فقد استقبلوا برنامج حزب العمال البريطانى بدهشة، فأحد منا مهما بلغت به الحماسة لليهود لم يفكر قط بطرد العرب من فلسطين، وها نحن نجد اليوم الحزب الذى تولى الحكم بأكثرية ساحقة فى بريطانيا يضع لنا سياسة جديدة ضد العرب لم تخطر لنا نحن فى بال.

ولما عدت إلى فلسطين بعد غياب خمس سنوات عرجت قبل وصولى إليها، على لندن وقابلت تشرتشل، فأكد لى أن المستقبل لنا، وطلب منى أن اعرج على القاهرة وأن أزور اللورد موين، وقال لي: ان موين قد تغير الآن، وصار من انصار اليهود.

ولكن موين قتل، قتله المتطرفون من اليهود، وكانت فجيعتنا به عظيمة.

وتولى حزب العمال زمام الحكم ولكنه لم يفعل لنا شيئاً، وانما شرع فى حكاية لجان التحقيق من جديد، فجاءت اللجنة الانجلو أمريكية، ثم لجنة هيئة الأمم.

النقطة الفاصلة
فى تاريخ يهود فلسطين

ترومان يصدر تعليماته بالهاتف لوفد أمريكا بهيئة الأمم لتأييد مطامع اليهود

كانت النقطة الفاصلة فى تاريخ جهادنا لإنشاء المملكة اليهودية، يوم أن قرر أرنست بيفن فى ربيع عام ١٩٤٧م وضع قضية فلسطين بين يدى هيئة الأمم، فهناك وفى قاعة تلك الهيئة، وبعد عرض القضية ببضعة أشهر، نلنا القرار القاضى بإقامة المملكة اليهودية باكثرية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتًا.

وكان أول ما فعلته هيئة الأمم أنها عينت لجنة تحقيق دولية، وأمهلتها ثلاثة أشهر لزيارة الشرق العربي، وفلسطين، ووضع تقريرها، فاتمت اللجنة مهمتها تلك فى أقل من المدة المعينة.

وقد ذهبت أنا إلى مقر الهيئة فى أمريكا لأكون قريبًا من المسئولين أثناء بحث القضية، ومع أنى ألقيت بيانًا أمام الهيئة فلقد

كانت أعمالى الكبرى بين الكواليس.. لا فى قاعة الجمعية.

واغرب ما سمعته فى قاعة الهيئة هو الدفاع الذى تلاه جمال الحسينى عن قضية العرب، والذى قال فيه: إن اليهود فى هذا الزمن ليسوا يهودًا.. وأنهم قد يكونون من الخزر.. أو التتار.. أو ما شاء الله أن يكونوا.. ولكنهم ليسوا بيهود.

وقد قلت أنا فى ردى على هذا الهراء:

(إننا يهود، نشعر شعور اليهود، ونضطهد فى العالم كله لأننا يهود).

وكنت أنا، خلال نظر القضية أمام الهيئة، قد تحررت من رئاسة الجمعية الصهيونية، وتولى الدفاع عن القضية موشه شرتوك، واباهلل سلفر، أما أنا فظللت، كما كنت منذ خمسين سنة مضت، ممثل روح الصهيونية، وحقيقة شعور يهود العالم.

وانحصرت أعمالى فى النشاط الخفى دون النشاط العلنى فى قاعة الهيئة.

كنت كلما اصطدمت القضية بشيء تنقلت من مندوب إلى آخر من مندوبى الدول، أو اتصلت بالرئيس ترومان لأحل الأزمة قبل تأزمها.

ولم يتعاون يهود أمريكا فى سبيل الصهيونية تعاونهم فى تلك الفترة، وقد جلى فى ذلك الميدان باروخ، ومورجانتو ويكر،

وواربورج، وغير هؤلاء.

ولما أصبحنا على أبواب القرار الأخير شعر الوفد الأمريكي بأن اليهود قد ينالون حصة الأسد من أراضي فلسطين، فترددوا وعزموا على حرمان القسم اليهودي من أراضي النقب، وإخراج العقبة من منطقة اليهود. والعقبة مهمة لنا، لأنها إن هي ضمت إلينا، حولناها إلى ميناء عضيمة وفتحنا قنالا يصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر إما ما بين تل أبيب والعقبة، وإما بين حيفا والعقبة، واستغنينا بذلك عن قناة السويس، وما له لمصر وحدها، وعن خليج العجم، وطريقنا إليه يتحكم فيه العراق.

وهنا اضطررت إلى أن أذهب إلى ترومان بنفسي، ونشرت امامه الخرائط واقنعته بوجهة نظرنا، فسرعان ما اقتنع وأخذ سماعة التلفيون بيده، وأصدر أوامره للوفد الأمريكي في هيئة الأمم فتغير الموقف، وفزنا بالقرار التاريخي المعروف.

* * *

ولما صدر القرار كان علينا أن نثبت للعالم أننا خليقون بأن تكون لنا دولة تحسن الدفاع عن نفسها، وتحسن معاملة العرب الذين سيعيشون بيننا. أضف إلى ذلك أننا سنواجه كذلك مهمة إيجاد صلات حسنة بيننا وبين جاراتنا الدول العربية.

ووجودنا في فلسطين، وبالتالي على الساحل الشرقي للبحر الأبيض، وستيطلب منا إيجاد صلات مع اليونان وإيطاليا. وهناك تركيا، ومكانتها في شرق البحر الأبيض معروفة.

وكان علينا كذلك أن نبني أمة في فلسطين تترابط في وحدة من الاخلاق، والنظام، والعمل الواحد.

وكل هذه مهمات جليلة تتطلب العمل والجهد، ولكننا قبلناها راضين، معتزين أن نقوم بها في ثبات وعزم.

كنت وقفت بذكراتي عند هذا الحد، ولكن.. صدرت عن الإنجليز أشياء اضطرتني إلى أن أضيف فصلا واحداً إليها، وهو ليس من المذكرات ولكني أضفته للضرورة.

والفصل الأخير يتناول اتهام الإنجليز منذ إعلان قرار ٢٩-١١-٤٧ حتى تاريخ خروجهم.

اليهود يتعمدون نشر الفوضى والاضطراب

تغييرات مقلقة – تدهور الموقف فى لندن وفلسطين – نشوب الثورة العربية

مضت تسعة أشهر منذ كتبت آخر فصل من مذكراتي، وكنت أظن حين تممت ذلك الفصل الأخير، أني قد انتهيت من وضع ذلك التاريخ الطويل الذى قصصت حوادثه.. ولكن.. حدثت فى الفترة التى انقضت ما بين ٣٠-١١-٤٧ ومن بعد، حوادث ووقعت تطورات، اضطرتنى اضطراراً لأسباب خاصة، وأخرى عامة، أن اضيف الفصل التالى إلى كتابي، وأحب أن أعلن هنا أن ما كتبته حتى ٣٠-١١-٤٧ ظل كما هو، دون تغيير ولا تبديل، والفصل الذى أضفته لا شأن له بالماضي، وهو لا يتناول سوى بحث التطورات التى وقعت بعد ٣٠-١١-٤٧.

قبلنا نحن اليهود، قرار هيئة الأمم الصادر فى ٢٩-١١-٤٧،

على أنه قرار دولى قاطع، وعلى أننا كنا نعلم أن قراراً كهذا سوف تتولى الهيئة تعزيزه حين الحاجة، إلا أننا كنا نعلم أكثر من ذلك، أننا نحن اليهود سوف نحمل المسئولية الكبرى فى تنفيذ القرار.

وكنت أشعر أنا بأن سرعة رجوعى إلى فلسطين كانت لأزمة.

وفى طريق عودتى من أمريكا إلى فلسطين عرجت على بريطانيا، ومكثت مدة ما فى منزلى القديم. ولما كانت الحكومة البريطانية قد أعلنت عن عزمها على احترام قرار هيئة الأمم، فلم أجد أنا ما يدعو إلى قيامى بأى نشاط سياسى فى لندن، وإذا استثنينا خطابا القيته فى (دار فلسطين) فى لندن، وحضورى حفلة أقيمت فى جمعية الجمع المشتركة اليهودية، فأنا لم أفعل شيئاً آخر سوى التمتع بقرب أولادي، وأصحابى إلى حين. وفى ٢٥-١-٤٨ كنت فى طريقى الجوى إلى فلسطين.

وخلال تلك الأسابيع التى انقضت من ٢٩-١١-٤٧ لغاية ٢٥-١-٤٨ وقعت فى ليك سكسس تغيرات مقلقة بسبب تدهور الموقف فى لندن، وفى فلسطين معا، أما بريطانيا فلقد شرعت تفسر (عزمها على احترام قرار هيئة الأمم) تفسيراً خاصاً.. غريباً..

فأنت تذكر أن هيئة الأمم كانت قد عينت لجنة خماسية لتذهب إلى فلسطين، ولتشرع فى العمل على تعزيز قرار الهيئة وكان مقرراً

كذلك إنشاء (ميليشيا) يهودية، وتأليف مجلس حكومى مؤقت. وإذا تبين، بعد انسحاب المنتدبين، أن العرب ستشتد معارضتهم، فإن الهيئة ترسل قوة دولية للقيام على شئون الأمن والسلام، مع تمام العلم بأن الدولة المنتدبة تظل، طول مدة وجدوها فى فلسطين مسئولة عن النظام.

وبعد اجتماع مجلس الأمن بأيام، وبعد صدور قراراته، شرع العرب يهاجمون اليهود فى تنقلاتهم فى الطرق العامة دون أن يتخذ المنتدبون إجراءات لوقف ذلك.

ويبدو أن الإنجليز اعتبروا صيانة حياة اليهود فى فلسطين معناها تعزيز لفكرة التقسيم.. وهذا ما لا يتفق مع دعواهم باحترام قرار هيئة الأمم، ولا مع حيادهم.. فى المسألة.

ومع أن اضطرابات العرب كان يمكن وقفها فى الحال، ولكن الإنجليز تركوها تزداد وتنتشر، تماماً كما كانت الحالة فى جميع اضطرابات العرب الماضية مع فارق بسيط كشفته الأيام من بعد.

وكانت قوات اليهود حتى ذلك الوقت لا تزال تعمل تحت الأرض.. أى أنها كانت قوات سرية.. لم تظهر بعد لمقابلة أعدائها وجها لوجه.

ولم يكن اليهود يستطيعون استيراد السلاح من الخارج، وكانت

الأسلحة التى عندهم عرضة للمصادرة إذا عثر عليها.. الإنجليز.

ومع أن الإنجليز رفضوا حماية أرواح اليهود من اعتداءات العرب، فلقد رفضوا كذلك أن يسمحوا لليهود بتولى الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم.

وكان الإنجليز يفتشون قوافل الهاجانا، ويعتقلون أفرادها الذين كانوا يدافعون عن حياة اليهود وأملاكهم وفى الجملة فلقد أصبح احترام الإنجليز لقرار هيئة الأمم يعنى عند الإنجليز التوسل بكل وسيلة غير مشروعة للقضاء على ذلك القرار.

ومضى الإنجليز فى احترامهم.. لقرار هيئة الأمم فرفضوا دخول اللجنة الخماسية إلى فلسطين، ورفضوا تأليف ميليشيا يهودية، ورفضوا فتح ميناء للهجرة كما قالت الهيئة، ورفضوا تسليم اليهود أى دائرة كانوا ينسحبون منها.

وزاد الإنجليز فى احترام القرار، وفى الحياد.. ففصلوا الجنيه الفلسطينى عن الاسترليني، وصاروا ينسحبون من دوائر الحكومة دون أن يقيموا بديلاً عنها متعمدين نشر الفوضي، والاضطراب فى البلاد.

اشتداد الأزمة

وتجهم الجو ضد التقسيم

المرحلة التي سبقت نهاية الانتداب ومجيء اللجنة الخماسية الدولية

وبينما كان الإنجليز يرفضون السماح للجنة الخماسية التى عينتها هيئة الأمم بدخول فلسطين لتدبير شئون الأمن والحكم فيها عند خروج الإنجليز منها، كان هؤلاء الإنجليز أنفسهم يفتحون حدود فلسطين لدخول قوات عربية غازية إليها، وكانت تلك القوات تجتاز جسر اللنبى فى حرية وهو نقطة حدود من السهل جدًا حراستها ومنع التهريب منها.

وإذن، وتلك كانت حالة القوات العربية الغازية، وحرية تنقلاتها، كان طبيعيًا أن تزداد الاضطرابات العربية، وأن تشتد الهجمات على اليهود، وأملاكهم.

وشعر العرب بأنهم يستطيعون الحصول بالقوة على ما لم يستطيعوا الحصول عليه بالسلام فى هيئة الأمم.

وزاد فى غرور العرب وخديعتهم أن اضطراباتهم كان لها أثرها فى الرأى العام فى أمريكا، وفى هيئة الأمم.

وسرعان ما تسرب إلى الرأى العام فى العالم تلك الفكرة الخاطئة وهى أن اليهود أعجز من أن يدافعوا عن أنفسهم بأنفسهم، وأن إنقاذ مشروع التقسيم من الفشل يوجب على هيئة الأمم أن ترسل حملة مسلحة إلى فلسطين لتنفيذ المشروع، ولكن.. كيف يتسنى هذا لهيئة الأمم؟ إن فكرة التدخل المسلح من قبل هيئة الأمم كانت تضعف يومًا بعد يوم.

وشرع العالم يتحدث عن (فشر)اليهود، وأن اليهود بالغوا فى الوهم حين قدروا قواتهم بأكثر من حقيقتها، وحين استهانوا بقوة العرب، عرب فلسطين، وعرب الأقطار المجاورة، وبحكم أوهام اليهود، و(فشرهم) نالوا حق إقامة دولة لهم فى فلسطين، وهو ما لا طاقة لهم على الاحتفاظ به، والدفاع عنه.

وزاد فى الطين بلة أن أمريكا أصدرت أمراً يضع حظراً على إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط، فتعذر بذلك على العرب المعتدين -كذا- وعلى اليهود المعتدى عليهم، الحصول على السلاح.

وكان كل هذا الذى دعاه العالم الخارجى مجرد أوهام، وأن (فشر) اليهود هونفسه وهم و(فشر) وابتدأت القوات الخفية من

اعداء اليهود تعمل لإلغاء قرار هيئة الأمم.

وبينما كنت أنا فى طريق عودتى إلى فلسطين انهالت عليَّ البرقيات، والمكالمات اللاسلكية بوجوب رجوعى إلى نيويورك بسبب اشتداد الأزمة، وتجهم الجو ضد قرار التقسيم، فاضطررت إلى العودة، ومكثت فى لندن حتى ٤ شباط عام ١٩٤٨ -حين نشرت البيان الصحفى التالي:

انا أعلم بأن تنفيذ قرار هيئة الأمم يثير مصاعب جمة، ولكن العدول عنه سيثير مصاعب، أخطر شأنا، لاسيما أن العدول هنا سيكون تحت ضغط تهديد، واضطرابات من العرب. وإذا جرى هذا، وهو ما لا اعتقد أنه سيجري، فإن هيئة الأمم ستتضاءل كرامتها، وهيبتها. اضف إلى هذا ان العدول عن قرار سيطيل أمد الصراع فى فلسطين. إن مصلحة أمريكا توجب تعزيز هيئة الأمم، لإضعاف هيبتها. وأنا واثق كل الثقة من شجاعة، اليهود فى فلسطين وثباتهم، وأنه من حق يهود فلسطين ان يرجوا من العالم المتمدين الذى قرر لهم حق الاستقلال، أن لا يتركهم فريسة لحملات التقتيل، والتخريب التى تنظمها قوات الشر فى البلاد العربية.

إن أهم ما يجب أن يعمله العالم المتمدين الآن هو إفهام العرب أنه لا يمكن الحيلولة دون إنشاء المملكة اليهودية.

البريطانيون
يشيعون الفوضى فى البلاد

ترومان وحده يعطف على اليهود- فكرة الوصاية تلى موجة مقاومة التقسيم

وكنت أنا واثقًا كل الثقة بأن اليهود فى فلسطين قادرون القدرة التامة على الدفاع عن أنفسهم ضد العرب، كذلك كنت أعلم أن الزعم بأن خروج الإنجليز من فلسطين سيشيع فيها الفوضي، كان زعمًا خياليًا، وقد حاول الإنجليز متعمدين وبكل وسيلة ممكنة، ان يشيعوا الفوضى وأن يهدموا البناء الإدارى للبلاد هدمًا لا يصلح معه ترميم، ولا إعادة بناء، ولكن غاب عن الإنجليز ان حب النظام المتأصل فى حياة اليهود أفسد عليهم كل محاولتهم فى المناطق اليهودية.

ومهما كان من ثقة اليهود بقدرتهم على الدفاع ضد العرب، وعلى افساد محاولات الإنجليز لإشاعة الفوضى فى إدارة البلاد، فلقد كان من العسير، فى تلك الفترة، إفهام العالم الخارجى أن

الصورة التى تصورها عن الحالة فى فلسطين كانت مغلوطة.

ففى واشنطن أصبح الاعتقاد السائد أن الحالة فى فلسطين توجب إحداث تغيير أساسى فى السياسة التى تقرر اتباعها، وان قرار التقسيم يجب أن يلغي، أو على الأقل أن يوضع على الرف.

ولما شرع مجلس الأمن يبحث القضية فى آخر شهر شباط عام ١٩٤٨م، كانت الروح التى تسيطر على الوفد الأمريكى ضعيفة. ومن جميع الدول التى وافقت وناصرت قرار التقسيم، لم يثبت على فكرة وجوب إصرار هيئة الأمم على الأخذ به وتنفيذه سوى روسيا. إلا أن مجلس الأمن فشل فى اتخاذ قرار يعزز به قرار هيئة الأمم بشأن التقسيم.

وبحكم ذلك، وبحكم التطورات التى ذكرتها طلبت أن أقابل الرئيس ترومان مقابلة خاصة، لكن لسوء الحظ تأخرت المقابلة لأسباب عديدة منها سوء صحتى بتأثير الإرهاق فى العمل.

وقبل أن أصل أنا إلى واشنطن، لمقابلة الرئيس فى ١٨ آذار عام ١٩٤٨م، كان التيار الذى جرى ضد التقسيم قد اصبح جارفا، لا يقاوم. إلا أن ترومان كان وحده هو الذى احتفظ بعطفه علينا وحاول جهده أن ينفذ القرار، ولست أدرى هل كان الرئيس يدرك تمام الإدراك مبلغ ما كان أصحاب المناصب من موظفى وزارة

الخارجية، يعملونه لإفساد سياسته نحونا؟

وفى ١٩ اذار عام ١٩٤٨م أعلن أوستن، رئيس الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم، تبدل السياسة الأمريكية، واقترح أن يوقف تنفيذ قرار التقسيم، وتعقد هدنة فى فلسطين، وأن تدعى الجمعية العامة لهيئة الأمم إلى اجتماع خاص لتوافق على مشروع وصاية على فلسطين يبدأ من نهاية الانتداب عليها، أى فى ١٥ أيار عام ١٩٤٨.

وقد كان إعلان أوستن هذا ضربة قاصمة لليهود، ولأمانيهم.

وكانت فكرة الوصاية فكرة غير واقعية، فلقد كان اليهود فى فلسطين يرفضون أى شكل من أشكال الوصايات، والانتدابات، كذلك فإن كل الأسباب التى جعلت الانتداب فاشلاً هى نفسها التى ستجعل الوصاية فاشلة.

ولو قبل اليهود بمثل هذا القرار لجعلوا أنفسهم أضحوكة التاريخ.

إعجاب وايزمان بما فعلته السياسة البريطانية

عندما قبل اليهود بجزء يسير من فلسطين وارتضوا تدويل القدس

وفى آذار عام ١٩٤٧م أذعت أنا البيان التالي:

إن مشروع التقسيم الذى توصلت إليه الجمعية العامة لهيئة الأمم، كان نتيجة عملية طويلة من البحث والتحرى للحكم فى

المطالب المتباينة بين فريقين على ضوء المساواة الدولية. وفى سبيل إيجاد تسوية بين المطالب الوطنية لليهود والعرب، طلب من اليهود أن يكتفوا بجزء واحد من ثمانية أجزاء من المساحة الاصلية لفلسطين المنتدب عليها. كذلك طلب من اليهود أن يتعاونوا فى سبيل وضع تسوية لمدينة القدس تصبح بموجبها دولية برغم ان القدس مدينة يغلب عليها الطابع اليهودي.

قبلوا بكل هذا الذى طلب منهم قبوله لسبب واحد هو أن مصدر الطلب كان محكمة دولية لها سلطانها، ولأن اليهود سيكونون أحراراً فى جلب المهاجرين إلى القسم الذى اختصوا به من فلسطين، وسينعمون بالسيادة في منطقتهم، وهذه السيادة هى ميزة يتمتع بها العرب فى أقطارهم.

والآن يقوم بعض الفرقاء ليقولوا بوجوب وضع مشروع التقسيم على الرف لأنه لم ينل موافقة الطرفين المعنيين. ولكن دعوى الدولة المنتدبة، وتأكيدها بأنه ليس هناك سبيل للتوفيق بين العرب واليهود، واتفاق الطرفين على حل واحد، هما اللذان اضطراهما إلى إحالة القضية إلى هيئة الأمم. وإذن فكل حل للقضية يجب أن يفرض فرضًا، وأن يفرض بالقوة.

وإنه لحق أن نطالب ببذل الجهود لتنفيذ هذا الحل الأخير الذى

قالت به اللجنة الملكية البريطانية ولجنة التحقيق الدولية، وأقرته هيئة الأمم. وقد قضيت أنا سنين طويلة فى معالجة هذه القضية. والذى أعرفه أنه لا يوجد اليوم حل آخر لها وليس هناك حل آخر أخلق بالثبات فى النهاية من هذا الحل.

ولولا السماح بدخول قوات عربية غازية إلى فلسطين لما كان هناك شيء يمنع الميليشيا اليهودية، بحدودها التى حددتها هيئة الأمم، من القيام على الأمن فى البلاد. وإنى لعاجز الآن، وسأظل عاجزاً إلى الأبد، عن أن أفهم كيف أباحت الدولة المنتدبة على فلسطين لمثل تلك القوات ان تدخل إلى البلاد حرة غير ممنوعة؟

ولماذا؟ لتحارب اليهود، ولتمنع تنفيذ قرار اتخذته هيئة الأمم.

إنى كنت دائمًا من المعجبين، والمعترفين بفضل السياسة البريطانية، وحكمتها بما فعلته لليهود، ولوطنهم القومي. ولكن تعريض الإنجليز البلاد، ومن فيها للدمار الآن هو عمل يناقض كل تقليد شريف، وسيورث البلاد محنة إلى الأبد.

وأنا ادعو يهود العالم الآن إلى التكاتف، والوقوف موقف البذل والتضحية لنحارب فى سبيل ضمان حريتنا.

أمريكا وفرنسا
تسعيان إلى فرض الوصاية

تبدل سياسة واشنطن وعدولها عن فكرة التقسيم - انهيار الجهاز الحكومي

وقد بعثت إليَّ الرئيس ترومان فى ٩- ٤- ٤٨ برسالة خاصة فصلت له فيها وجهات النظر التى ضمنها بيانى الصحفي، ثم تحدثت فى الرسالة عن الشائعات القائلة بأن خروج الإنجليز من فلسطين سوف يشيع فى البلاد الفوضي، فقلت، تعقيبًا عليها:

(إن اليهود والعرب فى فلسطين ناضجون النضوج الكافى للاستقلال، وهم حريصون على التمسك بتقاليدهم وأساليب حياتهم، بينما انهار كيان الجهاز الحكومى لحكومة فلسطين. وفى مناطق عديدة من فلسطين تجد اليوم أن اليهود والعرب يقومون، كل فريق على حدة، على شئون المناطق التى يحتلونها، ويعيشون فيها. إن ساعة الزمن لا يمكن أن ترجع إلى الوراء، وإنه من المستحيل أن

تعاد فى فلسطين الحالة التى كانت عليها قبل قرار التقسيم فى ٢٩- ١١ - ٤٧ وإنى أود كذلك أن أحذر من النتائج النفسية بين اليهود إن هم منحوا الاستقلال فى تشرين الثانى عام ١٩٤٧م ثم حرموا منه فى اذار عام ١٩٤٨م).

وبعد ان أعلن الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم تبدل سياسة أمريكا، وعدوله عن فكرة التقسيم إلى فكرة الوصاية، جاءنى أعضاء الوفد المذكور، وهم الشيخ أوستن، والأستاذ جيسوب، والمستر روس، وحاولوا إقناعى بقبول، فكرة الوصاية وتعضيدها، وقد أجبتهم أنا فى صراحة، وفى تحدٍ لا حيطة فيه، ولا حذر بقولي:

(أنا لا أضارب بمليم واحد فى بورصة أسطورة قوة العرب.. واليهود فى فلسطين سيعلنون استقلالهم التام الناجز يوم ينتهى فيه الانتداب، وهم على حق فى ذلك).

وجاءنى من بعد المسيو بارودى ممثل فرنسا، وتناول الغداء معي، وحاول إقناعى بقبول الوصاية، فأجبته أنا:

(يا قوم! أعطونا، نحن اليهود، نصف فرصة ونصف فرصة فقط ونحن نكشف للعالم أن حكاية قوة.. العرب، وتماسك العرب ونفوذ العرب هى حكاية كلها كذب فى كذب).

وكان المسيو بارودى أديبا معي، إلا أنه لم يصدق ما قلته له.

وبعد ذلك بزمن قصير، وحين كشفنا العرب للعالم قال المسيو بارودي. كنت أظن أن ما قاله لي الدكتور وايزمان عن العرب دعاية يهودية فإذا هو الواقع الذى لا يختلف فيه اثنان الآن).

العرب واليهود يقتتلون وبريطانيا تتفرج

حديث بين وزير المستعمرات ووايزمان.. اليهود يديرون ظهرهم للإنجليز

وأخيراً زارني كريتش جونز، وزير المستعمرات البريطاني، وكانت زيارته لي وأنا طريح الفراش.

وكان موقف بريطانيا شاذاً، متناقضاً إذ كانت، فى تلك الفترة، السبب فى فشل مشروع التقسيم، وعدم تنفيذه، ثم إنها لم تبد حماسة لمشروع الوصاية. والذى يظهر أنها كانت ترمي، فى تلك الفترة، إلى غاية واحدة هى ترك اليهود والعرب يقتتلون إلى حين، ويهرقون دماءهم. وكان الانجليز يتوقعون أن يزداد تسلل العرب إلى فلسطين، فيأخذوا من أراضى اليهود الشيء بعد الشيء، ومن ثم، وبعد ازدياد قوات العرب، واعتداءاتهم، يستطيع العرب الحصول على حل للقضية افيد لهم من مشروع التقسيم أو مشروع الوصاية.

وإنه لغباء ظاهر أن ينظر الإنجليز مثل هذه النظرة، وأن يعتقدوا مثل هذا الاعتقاد بعد خبرة ثلاثين عاما فى فلسطين.

وسواء أكان الإنجليز اعتقدوا فعلاً أن العرب مستطيعون قهرنا، أو أن اليهود سوف يستسلمون للعرب دون مقاومة، وبمجرد تظاهر العرب بقوتهم، فإن النتيجة واحدة، وهى أن الإنجليز كانوا أغبياء حقا فيما اعتقدوه.

وقد زعم كريتش جونز لى أن دخول القوات العربية كان مفاجأة للإنجليز، وأنه جاء على غرة ثم قال: ومهما يكن من أمر فلقد دخلت تلك القوات إلى فلسطين، وانتهى الأمر، وعلى اليهود أن يحسبوا حساب، هذه القوات.

وقد أجبته بأننا نحن اليهود لن نتنزل عن شبر أرض من أراضينا، وعلى أني حزين أن ينتهى انتداب الانجليز على فلسطين مثل هذه النهاية التى تخالف البداية التى بدأ بها، فالذى أراه أن الخطأ على كل حال، ليس خطأ اليهود.

إن بريطانيا قد أعلنت أنها ستظل هى المسئولة عن الأمن والنظام إلى آخر لحظة، ولكن يبدو أن بريطانيا قد فقدت الغيرة على كرامتها، وإلا فأين الكرامة عند دولة تزعم قيامها على الأمن ثم تبيح لقوات عربية تعدادها ٧٥٠٠ محارب بأسلحتهم يدخلون إلى البلاد؟

ثم قلت له: وهل من الكرامة أن تشيع بريطانيا كل تلك الفوضى فى البلاد قبل خروجها منها؟

أما كريتش جونز فكان يتملص من الإجابة، لأنه لم يدر عما يجيب.

ولما اجتمعت الجمعية العامة في منتصف نيسان عام ١٩٤٨م للنظر في القضية، كنا نحن اليهود قد تجاوزنا دور الاحتجاج والترضي، والرجاء، ودخلنا الاجتماع وفي أيدينا أوراق أخرى رابحة.

وكان اليهود، حين دخلوا الجمعية العامة لهيئة الأمم في منتصف نيسان عام ١٩٤٨ قد أداروا ظهورهم للإنجليز، [illegible] قوامهم هم وحدهم على الأمن في البلاد، وتولى اليهود هذه [illegible] بأنفسهم. وفي أيام معدودة مزق اليهود جيش الإنقاذ بقيادة بطل العرب فوزي القاوقجي كل ممزق، ثم.. ثم.. خرج اليهود من دور الدفاع إلى دور الهجوم وأثبتوا للملاء أنهم أهل للمهمة الكبرى التي قالوا إنهم سيحملونها وحدهم، دون غيرهم من الناس.

ولما اجتمعت الهيئة تغير الجو، غيره اليهود، وأعمال اليهود في فلسطين فقام ممثل نيوزيلندا يدعو إلى وجوب احترام قرار التقسيم، ثم ناصره في ذلك مندوب أستراليا، ومندوب شرق أوروبا.... ثم.... ثم.... زاد الأنصار، وانضم إلينا تريجفي لي وسمنر ويلز، وأخيرا تغيرت لهجات صحف أمريكا والعالم أجمع.

[illegible]

[illegible]

اليهود [illegible] الإنتداب البريطاني

ولما شعرت الجمعية العامة لهيئة الأمم أن مشروع الوصاية لا يمكن قبوله [illegible] في [illegible] للتأخير والتأجيل [illegible] فكرة الهدنة المؤقتة وكانت خلاصتها أن توقف القرنان [illegible] النار، وأن لا تتخذ قرارات سياسية، وأن لا يسمح [illegible] محدود من المهاجرين اليهود بدخول فلسطين لبضعة أشهر، وفي مقابل هذا الضمان المصطنع [illegible] الأمن في فلسطين، يمتنع [illegible] عن [illegible] قرار هيئة الأمم [illegible] في ٢٩ - ١١ - ٤٧، [illegible] كما يبدو [illegible] من الضرر، إلا أنه كان في حقيقته بالغ الخطورة، شديد الأضرار، [illegible] أنه مشروع للتهرب من الحقائق، والتملص من قرارات هيئة الأمم، وفي هذا [illegible] وتشجيع لأعداء اليهود [illegible]

وهمهم بأن المملكة اليهودية يمكن منع قيامها.

وكنت أنا على صلة وثيقة بشرتوك، وجماعته في هيئة الأمم، وقد أفهموني أنهم على بينة من أضرار المشروع، إلا أنه نال عطف معظم أعضاء الهيئة. وطلب مني شرتوك وجماعته تدخلي الشخصي.

أما أنا فقد كنت شخصيًا ضد فكرة الوصاية. وفكرة الهدنة. وكنت واثقًا من ان اي تراجع سيكون معناه الانتحار، وكنت أعلم أن الفرصة الوحيدة التي أمامنا هي خلق الحقائق، ثم مواجهة العالم بها. وأخيراً العمل على أساسها. وكنت أعلم، كما يعلم كل رجل عاقل ان الاستقلال يؤخذ ولا يعطي، وان الاستقلال حين يكتسب يجب أن يدافع عنه اصحابه.

وجميع اصدقائنا الذين كانوا ينصحوننا بتجاهل قرار هيئة الأمم، وبأن نؤخر عملية استقلالنا، سوف لا يحترموننا، وانما سيحترموننا ان نحن تجاهلنا نصائحهم، وعملنا بوحي مصالحنا الوطنية.

وكنت واثقًا كذلك بأننا حين نأخذ مقدراتنا بأيدينا، وحين نعلن قيام جمهوريتنا، ثم ندافع عنها، ونحسن الدفاع، فإن الشعب الأمريكي سيجد في عملنا صورة من عمله هو حين جاهد في سبيل استقلاله، وناله بالقوة.

وبينما كانت حكومة الولايات المتحدة مشغولة بمعارضة

إعلان الدولة اليهودية، كنت أنا مشغولا بتدبير الوسائل اللازمة لاعتراف أمريكا بتلك الدولة حين نعلن قيامها ١٥-٥-١٩٤٩.

وفي ١٣- ٥- ١٩٨٤ بعثت إلى ترومان بالرسالة التالية:

عزيزي الرئيس:

أرجو أن لا تحجب حوادث الشهور الماضية عن الأنظار مبلغ ما كان لكم من فضل على إقامة الدولة اليهودية، وهي الدولة التي سوف تساهم بالقسط الأوفر في حل مشكلة اليهود العالمية كما أنها ستكون من لوازم التطور، والرقي، ودوام السلام في الشرق الأوسط.

والشعب اليهودي في فلسطين سائر إلى النتيجة المحتومة، بموجب قرار التقسيم، وغداً- يوم ١٤ أيار، ينتهي في الليل، الانتداب البريطاني. وستتولى الدولة اليهودية مسئولياتها في المحافظة على الأمن الداخلي، وحماية حدودها من كل اعتداء خارجي.

إننا في حاجة الآن إلى أن نضع حداً للتفتيش عن حلول جديدة، وحسبنا الحل الذي وضعته هيئة الأمم بفضل تدخل أمريكا، والذي نرغب فيه الآن هو اعتراف أمريكا بدولتنا حين نعلن قيامها غداً.

الساعات الفاصلة

التي سبقت انتهاء الانتداب

أمريكا تفاجئ حلفاءها باعترافها بسلطات اليهود وتغضب الجيوش العربية

وفي يوم ١٤ – ٥ – ١٩٤٨م، كان ترومان ومستشاروه على اتصال دائم لبحث الموقف في فلسطين، وكانت الجمعية العامة لهيئة الأمم لم تلغ، ولم تؤيد من جديد قرارها الصادر في ٢٩ – ١١ – ٤٨.

وكانت الانتداب البريطاني في فلسطين لم يبق له من العمر سوى ساعات معدودة.

وفي يوم ١٤ أيار عقد مجلس المنتخبين اليهود جلسة تاريخية في تل أبيب وأعلنوا للعالم استقلال الدولة اليهودية منذ الساعة التي ينتهي فيها الانتداب على فلسطين.

وقد وصلت إلى ليك سكسس أنباء غير رسمية عن إعلان اعتراف أمريكا بالدولة اليهودية، قبل دقائق معدودة من الساعة

السادسة حسب توقيت أمريكا، وقد تشكك الممثلون، والوفود في هيئة الأمم في صحة تلك الأنباء، وكان وفد أمريكا نفسه يجهلها، وأخيرا وبعد اضطرابات، وتباين في الأنباء، وقف الأستاذ جيسوب في هيئة الأمم، وتلا البيان التالي الصادر من البيت الأبيض:

(لقد بلغ مسامع الحكومة الأمريكية أنه قد أعلن في فلسطين قيام دولة يهودية فيها، وقد طلبت الحكومة المؤقتة في فلسطين أن نعترف بها. إن الحكومة الأمريكية تعترف بأن الحكومة المؤقتة المذكورة هي السلطة المشروعة لدولة إسرائيل).

وهذا البيان التاريخي لم يدل على نضوج السياسة الأمريكية فحسب، وانما هو أضاف إلى هذا أنه توج مساعي أمريكا الطويلة في سبيل الأماني الصهيونية، باحسن تاج.

وفي ١٥ – ٥ – ١٩٤٨ م سرى بين اليهود في العالم كله، شعور بالغ من الفرح، والسرور. وبقيت حكاية الجيوش العربية التي ارسلتها الدول العربية السبع أو الست، أو الخمس إلى حدود فلسطين لتغزونا ... وكان الخطر مضروبًا على استيراد الأسلحة.

وحوصر اليهود في فلسطين، وكان تعدادهم نحو نصف مليون، يقابلهم سبعون مليون عربي. وتحركت جيوش الدول العربية لغزوتنا، وإذن فلقد رمينا أوراقنا، ولا مفر من مواجهة الواقع مهما كان.

وكان اليهود في فلسطين قد تخيروا على فكرة الوصاية وفكرة الهدنة مع العرب ووثقوا وحدهم في الميدان ليدافعوا عن بلادهم أو يموتوا.

وكان يوم ١٥ – ٥ – ٤٨ يومًا تاريخيًا، علقت فيه الدولة اعترافات الدول بنا وفي ذلك اليوم نفسه تسلمت أنا البرقية التالية:

(بمناسبة إقامة الدولة اليهودية نرسل إليك بأحسن تحياتنا إنك قد عملت في سبيل خلق هذه الدولة ما لم يعمله أحد آخر من الأحياء وكان عزمك وصلابتك قوة لنا ونحن نتطلع إلى اليوم الذي نراك فيه رئيسًا للدولة).

التوقيع: بن جوريون، كابلان، جولدا مايرسون، دافيد ريمز، موسى شرتوك.

وقد أجبت أنا على البرقية برسالة ضمنها شكري.

وبعد يومين وصلت إليّ أنباء وأنا في الفندق في أمريكا بأن مجلس المنتخبين احتارني رئيسا للجمهورية.

وكانت أول زيارة رسمية قمت بها بوصفي كرئيس لدولة إسرائيل تلبية لدعوة من ترومان للنزول في البيت الأبيض ضيف شرف كأول رئيس لدولة إسرائيل

مراجع للتوسع

١ – إظهار الحق رحمة الله الهندي.

٢ – اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم زكي شنودة – ط ١ – مكتبة نهضة مصر – ١٩٤٧م.

٣ – تاريخ الأقباط زكي شنودة.

٤ – الله عباس محمود العقاد.

٥ – خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية عبدالله التل.

٦ – مقارنة الأديان (اليهودية) د. أحمد شلبي – ط ٤ – النهضة المصرية – ١٩٤٧م.

٧ – اليهود في تاريخ الحضارات الأولى غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر – طبعة عيسى البابي الحلبي.

٨ – التوراة عرض وتحليل ...

٩ – تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ...

١٠- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة عبدالقادرة شيبة الحمد- مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١١- جذور البلاء عبدالله التل.

١٢- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية فى غزو العالم الإسلامى أنور الجندي.

١٣- بروتوكولات صهيون ترجمة أحمد عبدالغفور عطار.

١٤- القوى الخفية لـ. فراي.

١٥- مؤامرة الصهيونية على العالم أحمد عبدالغفور عطار.

١٦- الصهيونية وربيبتها إسرائيل عمر رشدي.

١٧- الصهيونية العالمية عباس محمود العقاد.

١٨- اليهودى العالمى هنرى فورد.

١٩- هذه هى الصهيونية إسرائيل كوهين.

١٠- إسرائيل الزائفة فريد عبدالله جورجي.

مراجع اجنبية

1- Berry: Religions of the World.

2- Reinach: History of Religion.

3- Smith J.W.d: God and man in Early Israel.

4- Kir: A Short History of the Middle East.

5- Max margolis and Alexander marx: A History of the Jewish Peeple.

6- Hertzl: The Jewish State.

7- Weech: Civilization of Neer East.

8- Wells: A Short History of the World.

مذكرات حاييم وايزمان

تقديم	5
اليهودية والصهيونية	13
1 ـ اليهودية	15
1 ـ الصهيونية ZIONISM	32
حاييم وايزمان والمنظمة الصهيونية العالمية	45
كيف يفكر .. حاييم وايزمان(1)	50
وفاة (هرتزل)	61
هجرة اليهود إلى فلسطين	82
حاييم وايزمان فى الميزان	95
النص الكامل لمذكرات حاييم وايزمان	103
مدخل	105
حياة الدكتور وايزمان	107
الجامعة العبرية	126

مذكرات حاييم وايزمان

مذكرات حاييم وايزمان [illegible] .... [illegible]
كيف انتقلت [illegible] القدس إلى اليهود؟ 134
كيف تأثرت [illegible] البرلمان اليهودي الأول؟ 141
[illegible] اليهود! .... [illegible]
أول مذكرة [illegible] البرلمان [illegible] .... [illegible]
بريطانيا [illegible] البرلمان [illegible] .... [illegible]
تآمر وايزمان ليل الحرب الأولى [illegible] .... [illegible]
بريطانيا تحمل اليهود أكثر من [illegible]! .... [illegible]
وايزمان يفاوض الحكومة البريطانية ([illegible]) 174
[illegible] بريطانيا لمشروع الوطن القومي 178
وايزمان في طريقه إلى فلسطين 185
[illegible] الصهيونية في مصر وفلسطين 188
بروتوكول حكماء صهيون في [illegible] 192
كيف أصبح وايزمان واللنبي [illegible]؟ 195

مذكرات حاييم وايزمان

بدء [illegible] في القدس 220
مصيدة العرب [illegible] البريطانية الموضوعية 230
وايزمان يشرف على مسودة صك الانتداب! 236
الحركة الصهيونية تتأرجح بين مد وجزر 244
ثورة العرب عام 1929 م تعقب اتحاد اليهود 251
وايزمان يمتدح حملة مكدونلد على اليهود 255
اتفاق زعماء فلسطين وأعداء اليهود بلندن 259
تعيين واكهوب كان ترضية للصهيونية..! 262
وطن قومي غريب عديم المشكلات 265
عندما شرع هتلر في حرب اليهود! 268
رجال الحكم في فرنسا يمقتون اليهود 271
بريطانيا الدولة الوحيدة التي ساعدت اليهود 277
وايزمان يستعين بالأتراك على تهدئة العرب 280
بريطانيا تعرض التقسيم ثم ترفضه 287
النقطة الفاصلة في تاريخ يهود فلسطين 302

مذكرات حاييم وايزمان

اليهود يتعمدون نشر الفوضى والاضطراب 306
اشتداد الأزمة وتجهمر الجو ضد التقسيم 310
البريطانيون يشيعون الفوضى فى البلاد 313
أمريكا وفرنسا تسعيان إلى فرض الوصاية 318
فضل ترومان على إقامة الدولة اليهودية 323
الساعات الفاصلة التى سبقت انتهاء الانتداب 326
مراجع للتوسيع 329

مذكرات

حاييم وايزمان

Chaim Weizmann
1874 - 1952

חיים עזריאל ויצמן

دار الخلود للنشر والتوزيع

دراسة وإعداد وتقديم
د. الحسيني الحسيني معدى

حاييم وايزمان
دار الخلود

חיים עזריאל וי

مذكرات ...يم وايزمان
Chaim Weizmann ... 1952

ولد حاييم ... في روسيا، وكان نشيطا في الحركة الصهيونية منذ ... نها. شارك عام 1903 في تأسيس الكتلة الديمقراطية ... دت بالصهيونية العملية، في عام 1904 هاجر إلى بر... حيث حصل على شهادة جامعية في الكيمياء من ... ة مانشستر.

ساهم في ... ات التي أدت إلى صدور "وعد بلفور" عام 1917. ... الرابع من حزيران (يونيو) عام 1918 التقى مع الأ... صل، الذي أصبح بعد ذلك ولفترة قصيرة ملكاً على سو... بعد ذلك على العراق، وتحدث معه عن التعاون ال... ربي. ترأس وايزمان اتحاد النقابات الصهيونية ...، واعتبر رجل الارتباط الأساسي مع حكومة ... بين عامي 1921 و1946 مع تو... قصير بين عا... 1931 و1935. أيد قرار ... وكان يميل إلى ... ضمام إسرائيل إلى ...

ISBN 978-977-5313-33-1

العربية

دار الخلود للنشر والتوزيع